عبد الرزاق عبد الواحد

المجلد الثاني

عَبْد الرَّزَّاق عَبْد الوَاحِد

الأعْمَال الشّعْريَّة

تدقيق وتحرير
كريـم راهـي

إعداد ومراجعة
عبد الرزاق الربيعي
عـلاء الفـريـجي

ملشورات كلمات

سطور للنشر والتوزيع

الأعمال الشعريّة
عبد الرزّاق عبد الواحد
٢

◉ - الأعمال الشعرية، عبد الرزاق عبد الواحد
◉ - إعداد ومراجعة، عبد الرزّاق الربيعي .. علاء الفريجي
◉ - تدقيق وتحرير: كريم راهي

◉ - الطبعة الأولى ٢٠٢٤

◉ - جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة، حسب قوانين الملكية الفكرية للعام 1988، ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر.

ISBN: 978-9922-628-92-9

◉ - هام: إن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، أو محررها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر

سطور
دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد- شارع المتنبي- مدخل جديد حسن باشا
00964 7700492567 - 00964 7711002790
Email: bal alame@yahoo.com

SUMER
Printing, Publishing&distribution

منشورات كلمات

الأعمال الشعريّة
عبد الرزّاق عبد الواحد

المجلّد الثاني

إعداد ومراجعة

عبدالرزّاق الربيعي - علاء الفريجي

تدقيق وتحرير

كريم راهي

منشورات كلمات

سطور

الصوت[1]

ملحمة شعرية في أربعة فصول

1972 ـ 1993

(1) نُشر القسم الأول من قصيدة «النبوءة والسفر» في مجلة (أسفار) العدد 1 يوليو 1985 مع المقدمة التالية:

«قصيدة رؤيوية طويلة، موضوعها السفر إلى سبأ.. وسبأ عند الشاعر رمز للمدينة الفاضلة. تقع القصيدة في أربعة أقسام:

- النبوءة والسفر
- إرم قبل الطوفان
- الطوفان
- إرم بعد الطوفان

وتبقى سبأ حلماً».

النُّبوءَةُ والسَّفَر

أقفَلَت القُرَّاءُ حَناجرَها
الصُّحُفُ الأولى طُوِيَتْ
هذا عصرٌ لا آذانَ لَهُ
مَن أمطرَ فَليُمطِرْ مِن سِجِّيلْ
فالأرضُ السَّاعَةَ لا تشرَبُ ماءً
قُطِعت
أعناقُ النُذُر الأولى
وتخطّت عُنُقٌ واحدةٌ سَيفَ العَصرِ
هيَ الصَّيحَةُ
هذي سِمَةٌ أعرفُها
يَتَدَلَّى الرَّعدُ
فَتَشرَبُهُ الأرضْ
تَطلعُ شمسٌ سَوداءْ
لا يَلبَثُ ماءٌ في مَجراهُ سِوى يومٍ

ثمَّ يُغَيِّرُهُ

يُولَدُ أطفالٌ لا أسماءَ لهُم

ثمَّ يَجيءُ الصَّوت

هيَّ الصَّيحَةُ

مَن يُوحَ إليهِ فَلا يَرتَبْ

أو يَزجُرْ وَحيَهُ أو يَهربْ

منهُ

فهذا عصرٌ يَصْدُقُ حتى الشَّيطانُ

نبوءَتَهُ

عُنُقٌ تَتَخَطَّى

السُّلطانُ الصَّمتُ المُتَرَبِّعُ في ناقوسِ العالَمِ

يَتَأرجَحُ هذي السَّاعَةَ

فالعُنُقُ التَقَطَتْ حَبلَ النَّاقوسِ

وَلَفَّتْ لَوزَتَها

يا شَجَرَ المَوتى

أورِقْ آذاناً

وتَرَصَّدْ

هذا أوَّلُ عَهدي بالدَّينونَهْ

أفتَحُ عيني

تَنبُتُ كالبَرقْ

يَدخُلُ جلدُ العالَمِ في اللَّحمِ

تَشِفُّ الأشياءْ

الأفْقُ يَلُمُّ جَناحَيهِ

وَيَفتَحُ قَوسَهْ

الصَّوتُ سيَأتي

مِن مَنبَتِ عَينٍ عَبْرَ القوسِ المَفتوحَةِ

يأتي الصَّوتُ

فَأورِقْ يا شَجَرَ المَوتى

السَّاعَةَ يَنهَضُ رَبٌّ

يَبرَحُ عَصراً مَرجوماً

يَمتَدُّ إلى عَصرٍ راجِمْ

تَتَفَتَّحُ بينَ يَدَيهِ الأسماعُ

وَتَنعَقِدُ الألسُنْ

يأتي بحروفٍ تَبيَضُّ لها الأعيُنْ

تَلصَقُ بالجَبهَةِ

تَجري نَبْعاً

أو تُورِقُ جَمرا

تُلغي الأسماءَ

وتَحفُرُ في الأوجُهِ أسماءً أُخرى

مَن يَسمَعْ هذا الصَّوتَ

فَقَد وَجَدَ اسماً يَحملُهُ عندَ الطُّوفانْ

أمَّا مَن لا يَبلُغُهُ الصَّوتُ

وَمَن يَبلُغُهُ الصَّوتُ فَلا يَسمَعُ

أو يَحشو بأصابعِهِ أذنَيهِ فَلا يَسمَعُ

فالوَيلْ

أولاء يَهيمونَ على الأرضِ بِلا أسماءٍ

وَيَدُقُّونَ الأبوابَ فَلا تُفتَحْ

أولاء يَطوفونَ على النِّيرانِ بأوجُهِهِم

يَستَجدُونَ حَريقاً

يَتَدَلَّونَ إلى المَوجِ رِقاباً مَمدوداتِ
تَتَوسَّلُ أن تُغرَقْ
يَبتَعِدُ الماءُ
وتَمتَدُّ
ويَبتَعِدُ الماءْ

أولاء يَظلُّونَ نِداءً مَرفوضا
ليسَ لهُ اسمٌ يُدعى في الحَشْرِ بهِ
يَسعَدُ أو يَشقى

سَيقولُ مُكابِرُهُم لم نَسمَعْ صَوتا
وَيَقولُ الكاذِبُ
بَل جاءَ الصَّوتُ
وما خُيِّلَ لي أنِّي المَعنيُّ
ولم يَتَوَقَّفْ كي أستَوضِحَهُ شَيًّا

وَيَقولُ مُنافِقُهُم
بَلْ جاءَ الصَّوتُ

وَدَقَّ عليَّ البابَ

وناداني

وَيلُمِّي

لم تُسعِفْني قَدَمايَ لأتبَعَ مَن لَبَّى

قُلْ كلُّ مِن فَجٍّ يؤتى

سَيَموتُ النَّاسُ وَيَحيَونَ

يَموتونَ وَيَحيَونَ

وأنتُم

لا أحياءٌ في النَّاسِ

ولا مَوتى

طُوبى لِلمُغتَرِبينْ

طُوبى لِلمَنفيِّينْ

طُوبى لِلمَزروعينَ جذوعاً في أرضِ المَوتِ

سَيَبلُغُهُم صَوتي

ها أنذا أفتَحُ سِفْرَ الرُّؤيا

إنِّي مُمتَدٌّ عَبْرَ فضاءٍ أبيَضَ في قرطاسٍ أبيَضْ
فَلتَغرَقْ كلُّ لُغاتِ العالَمِ
هذا مَوجٌ لا تُبحِرُ فيهِ الكَلِمات
ولكنَّ الحُلُمَ الرُّؤيا
يَنسابُ عليهِ شِراعاً مَسكوناً بالصَّوت
هوَ الوَحيُ
فَهَل تَسمَعُ آذانُ المَشبوحينَ على الشَّاطئ؟

إنِّي بالِغُ سَبأْ
آتيكُم بِنَبَأْ
مَن صَدَّقَ
فَليَخلَعْ مِن رَملِ الشَّاطئ كَتِفَيهِ
فَيَلحَقْ بي
أو يَهرَبْ مِن كَتِفَيهِ
فَيَلحَقْ بي
فإذا كَذَّبتُم
فانتَظِروا حتى يأتيَكم مَدُّ الرَّملِ فَيَطغى

ها أنّذا مالِكُ ضَفَّتيَ الأخرى

فَمُطِلٌّ عَبْرَ المَجرى

فَمُبَلِّغُكُم ما ألقى..

وَحيداً

مَرايا مِن الصَّمتِ تَنداحُ..

تَلصِفُ..

تَستَنزفُ الرُّوح

لا شيءَ يَجرَحُها

هَبَطَتْ خُطوَتي

فَتَكَسَّرَ مِن تَحتِها الصَّمت

لم أنقُل القَدَمَ الثّانيه

وَقَفتُ..

تَرامَتْ أمامي المَسافاتُ

مَلساءَ مَصقولَةً

أيُّ سَيرٍ لو أنَّ الخُطى تَخلَعُ الآنَ أقدامَها!

أورَقَتْ غُربَتي
المَسافاتُ تَنهَبُ عَينَيَّ
تَنهَبُ أوردَتي
أتَمَدَّدُ حَدَّ التَفَصُّمِ
يَسحَبُني مَنبَتُ القَدَمِ المُستَقِرَّةِ في لَحمِها

أيُّها المَطهَرُ السَّرمَديُّ
إليكَ حَمَلتُ لَهيبي
أنا القادِمُ المُتَصبئ
المُنْبئُ المُتَنَبِّئْ..
تَحَطَّمَ لَوحٌ مِن الصَّمتِ
جَرَّحَني
لم أفُهْ
لم أدَع أيَّ هاجسَةٍ تَتَحَرَّكُ
كانتْ جراحيَ تَنزفُ
يَنسَلُّ منها الضَّجيجُ
وكنتُ أشِفُّ روَيداً..

وألفَيتُني عائماً

مُرهَفاً

مثلَ خَيطٍ من الضَّوء أنأى

وكانَتْ بَقاياي تَرمُقُني

أيُّها الجَدوَلُ المُتَرَقرِقُ بينَ العيونِ وأهدابِها

السَّماواتُ تَكسرُ أختامَ أبوابِها

تَتَنَحَّى المَجَرَّات

يَنهَضُ مِن بَينِها نَيْزَكٌ

يَتَحَدَّرُ

تَنفَتِحُ القَوسُ

ها أنذا مِلْءَ مَوجِكَ يا جَدوَلاً يَتَرَقرَقُ

بينَ العيونِ وأهدابِها

آتياً

مِلْءَ حُنجُرَتي الصَّوت

يا شَجَراً عَثكَلَ الموت

أغصانَهُ السُّودَ

أورِقْ

تُنَصَّبْ ضِفافُ الخَطيئةِ آذانَها

إنَّهُ الصَّوتُ يأتي..

إرَم قبل الطُّوفان

أيَّتُها الآذانُ عَبرَ شاطئ القيامه
أبصِرُ أرضاً
كلُّ رؤيا فَوقَها يُكسَرُ صَولَجانُها..
مَن أذِنَ السَّاعَةَ أن تَنهَضَ هذهِ العِماد؟
مَن دَعا إرَمْ
فانزَرَعَتْ مَهَبَّ عَيني؟؟

تَكذِبُ الرُّؤيا فَلَم تَبرَحْ مَكانَها؟
أم المَوجُ الذي أبحَرَ بي أعادَني؟
يا نَيزَكاً كلُّ المَجَرَّاتِ تَنَحَّتْ عن طريقِهِ
انتَظِرْ
إن كانَ لَوحاً قد حَفظتَهُ فَلا تَقرأ
إنِّي نَذَرتُ سَفَراً أبيَضَ لم تُبحِرْ عليهِ عَينْ
فإنْ تَكُنْ يا نَيزَكاً أنشَبتُهُ عَبْرَ مَدارِ الكونِ

لم تُخطئْ
فإنِّي قد وَلَجتُ إرَماً عَذراءَ
لم يَهبُطْ سوى هذا السَّديمِ البِكرِ
في تُرابِها

تَنهَضُ مِن مَوطئ أقداميَ أقواسٌ
تَدورُ الكون
وتنتهي في نقطَةٍ وَقَفتُ فيها
كلُّ لَحظةٍ هي الدَّهرُ جميعاً
كلُّ خطوَةٍ هيَ المَدى
وهيَ لا شيء..

هُنا يَفقُدُ كلُّ قادِمٍ سيماءَهُ
يُلمَحُ طفلاً
ثمَّ شَيخاً طاعِناً
تَختَلفُ الجدودُ والأبناءْ
في وَجهِهِ في لَحظةٍ،
وتَختَفي جَميعاً

يَبلُغُني

أراهُ دونَ وَجهْ

تُزرَعُ في راحَتِهِ عَلامَهْ

أرنو لَهُ يَمضي بها

وبينَ عَينَيَّ وَصَوتي رَهَجُ القيامَهْ..

أيَّتُها الآذانُ كوني في مَهَبِّ الصَّوتْ

أبصِرُ ما لم ترَ قَطُّ عَينْ

ذَكَرتُني طفلاً..

وعندَ لحظةِ التَّذَكُّرْ

رأيتُني

مَرَرتُ مِن أمامِ عَينَيَّ ابنَ عَشرِ سَنَواتِ

نَفسُ ثَوبي

نَفسُ مَحفوظتيَ الأثيرَه

أقرؤها..

ثمَّ اختَفَيتُ

لم أكُنْ طَيفاً

فَها آثارُ أقدامِيَ ما تَزالُ

والصَّوتُ الذي سَمِعتُهُ
أعرِفُهُ..

لَنْ أكذِبَ الرُّؤيا
وإنْ كذَّبَ قومُ نُوحْ
يا عَطَشَ الأنهُرِ والضِّفافْ
أرخي على شَفرَةِ سَيفٍ عُنُقي
مِن أجلِ نَظرَةٍ خلالَ الذَّبحِ بينَ مُقلَةِ السَّيَّافْ

أحفِنُ مِن تُرابِ هذي الأرضْ
فَتَصهَلُ النِّيرانُ مِن مَوضِعِ كفِّي..
سِمَةٌ أعرِفُها

إرَمْ
إلَيَّ يا مَهيبَةَ النِّيرانْ
يا تَوأمي مُشتَعِلَ الأغصانْ
يا شَجَناً أعرفُهُ..

أيَّتُها الآذانْ

تَعَرَّت اللَّعنَةُ مِن إهابِها

إرَمْ

تُكَسِّرُ الأختامَ عن أبوابِها

تَخرُجُ لي عاريةً

أقبَلَ قومٌ يَركضونَ دونَ أرجُلٍ

رأوني

انكفَأوا

قَلَبتُهُم

لستُ أرى لهم وجوهاً

غيرَ أنَّني أرى

مَواضِعَ العيونِ والأنوفِ والأفواهِ

في التُّرابْ

سَألتُهُم

لم يَنطقوا

لكنْ سمعتُ رعدَةً تَصعَدُ في يَديَّ من رؤوسِهِم

تَوَسَّلَتْ ألاّ أمسَّ خوفَها

قالَتْ

تَرَكنا شَجَراً أغصانُهُ تَفرُّ مِن جذوعِها

قالَتْ تَرَكنا كلَّ أمِّ طائرٍ تأكلُ فَرخَها

تَرَكنا الرِّيحْ..

أيَّتُها الآذانْ

أبصِرُ أرضاً فتَحَتْ أفواهَها

تَشرَبُ رَعداً

بَطنُها تَمَزَّقَتْ

أبصِرُ سَبعَ سُنبلاتٍ تَنهَضُ السَّاعةَ

أومَأتْ لِسَبعِ بَقَراتٍ

أكَلَتْها

فاختَفَتْ ضروعُها..

حَوليَ قَومٌ شُغِلوا بِناقَةٍ مَعقورَه

أكُفُّهُم تَرفَعُ جِذعَها إلى قائمَتَيها

كلَّما أوشكَ

مالَ الجذعُ مِن جَديدْ

وَيْ.. إنَّها ثَمودْ

مأخوذَةٌ بهذِه النَّاقَةِ حتى يُرفَعَ الميزانْ

ثَمودُ يا ثَمودْ

أحملُ عنكِ لَعنَةَ الأبَدْ

لو أنتِ صَدَّقتِ بأنَّ صالِحاً ليس هو النَّاقَه

وإنَّهُ يَعود

يَعودُ يا ثمود

مِن رِحلَتِهِ الكُبرى

وناقَةٌ تَتبَعُهُ أخرى

أدفَعُ رأسي ثَمَناً

لو أنتِ لم تُحاولي

أن تَعقريها مَرَّةً أخرى

يَدخُلُ بَهوَ الصَّمتِ قَومٌ حَمَلوا قبورَهُم

صِيحَ بِهِم

تَوَقَّفوا

تَلَفَّتوا إلى وجوهِ بَعضِهِم

وأنزَلوها..

دَفَنوا أنفُسَهُم.

صِيحَ بِهِم
عادوا وقوفاً
حَمَلوا قبورَهُم
وساروا

صِيحَ بِهِم..

أيَّتُها العَوالِمُ المَقطوعَةُ الألسُنِ واليَدَينْ
تَمتَلِكينَ أعيُناً لِلخَوفْ
تَمتَلِكينَ أرجُلاً لِلخوفْ
فَلتَركُضي،
لا تَسألِيني أينْ

يا قَدَراً أكونُهُ
يا قَدَراً صاحبُهُ أوَّلُ مَن يَخونُهُ
في هذهِ الأرضِ التي تأكلُ أنبياءَها
باسمِكَ في هذا الجَحيمِ أبدأ القيامَه

أيَّتُها الآذانْ

أقبَلَ نحوي حامِلو قبورِهِم

عيونُهُم مَقطوعَةُ الأجفانْ

رئاتُهُم فوقَ صدورِهِم تَدَلَّتْ

أسقَطوا عيونَهُم عليَّ صامتينْ

تَجاوَزوني دونَ أن يَلتَفِتوا..

نَشَرتُ صَيحَتي وراءَهُم

رأيتُ صَوتي يَتَدَلَّى مِن فَمي

يَسقُطُ قَيدَ خُطوَتَينْ

يا حَمَّالَةَ القبورْ..

غابُوا،

وظَلَّ الصَّوتُ قَيدَ خُطوَتَينِ في مَكانِهِ..

مَلعونَةٌ أسماعُكُم

مَلعونَةٌ أسماؤكُم

مَلعونَةٌ خُطاكُم..

دَنَوتُ مِن صَوتي

كَوَّرتُ رأسي عندَهُ

رأيتُني مُنخَلِعَ السُّلطانْ

أغمَضتُ عَيني

لاحَ لي كالحُلُمِ الغائِمِ نَسرٌ هائِلٌ

طافَ على الكونِ جَريحاً

يَعبُرُ الآفاقَ

يَنثالُ دَماً

يَدوي دَوِيّاً

ثمَّ يَهوي خَيمَةً مَخضوبَةً

أحسَسْتُهُ يَلفُظُ بينَ أضلُعي أنفاسَهُ..

ألمَحُ أرضاً خَلَعَتْ عِذارَها

ألمَحُ صبياناً يُمارسونَها

تَرقُصُ بَينَهُم

تَعَرَّتْ

يَطأونَ عُريَها

تَضحَكُ

يَركلونَها

تَضحَكُ

شَدُّوا مُقلتَيها

رَقَصَتْ عَمياءَ

دارَتْ بَينَهُم

مَدَّت يَدَيها

بَصَقوا في يَدِها..

تَوَقَّفَتْ..

بَكَتْ..

وَمَسَحَتْ راحَتَها بِعُرِيِها

داروا عَليها يَضحَكون

بَصَقوا في يَدِها الأخرى

طَوَتْها

زَخَرَتْ دموعُها

سالَتْ بِهِم..

وانفَتَحَتْ حَدَّ التِقاءِ طَرَفَيها القَوسُ،

مَدَّتْ سبَأ يَدَيها..

أيَّتُها الآذانُ

تَستَقرَّ بينَ مُقلَتَي إصبَعٌ لَستُ أراها

إنَّني أُسلَبُ

ـ يا عابرَ نَهرِ المَوتْ

هذا تُرابٌ لم تَطأهُ رؤيَةٌ قَبلَكَ

فانشُرْ مُقلَتيك

ـ يا مُنادي سَبَأٍ عُصيتُ..

هَل صَوتيَ صَوتي؟

إنَّها الرِّيبَةُ

هَل عَينيَ عَيني؟

دارَت الإصبَعُ دَورَتينْ

لَمَحتُ ظلَّها على مَعابِرِ الأفلاك

ثمَّ انحَدَرَتْ تَهوي هُويّا

واستَقَرَّتْ بينَ مُقلَتَيّ

فَتَحتُ عَيني

نَبَتَتْ بَرقاً وراءَ القَوسْ

يا رُجُمَ المَدينَه

يا عاد..

يا ثمود..

إنِّي وجدتُ مَعبَراً

تداخلَتْ في لَحمِها الجلودْ..

يا جُثَثَ المَدينَه

لقد وجَدتُ مَعبَراً

فَلتَتبَعوني

وَيلَكُم

جلودُهُم تَقسو

جلودُهُم تَنمو إلى الداخِلِ

صارَ اللَّحمُ

صارَت العِظامُ

صارَ الرُّوحُ جلداً

وَيْ..

لقد ماتُوا إلى قَرارِهِم..

يا أهليَ اخلَعُوا جلودَكم لعَلِّي أبصِرُ ارتِعاشَةَ الحياةْ
يا أهليَ افتَحوا اللَّحمَ طَرِيّاً
واغرزوا جذورَ خَوفِكم
جذورَ حُبِّكم
جذورَ قلقٍ يَصلُّ تحتَ العَظمِ
يا أهلي هَبوني صِدقَكُم..
لا تَرِثي الدَّمعَ ولكنْ كوني أيَّتُها الآذانُ شَهيداً
أنَّ الرَّبَّ بَكى
تَتَلَّمُ شَفرَةُ عَينَيَّ فَتَختَلِطُ الرُّؤيا
مَن مُنذِرُ هذا الرَّبِّ
بأنَّ رَهيباً،
سَدَّاً يُدعى مأرِبَ
يَتَهَدَّمُ هذي السَّاعَةَ في عَينَيهِ
فلا يُبصِرُ شَيَّاً

إنِّي عندَ حدودِ سَبَأ
أيَّتُها الآذانُ انكَسَرَ البَرقْ
ليلٌ أسوَدُ هَمَجيٌّ كالغِرِينْ
كلُّ شهابٍ أفرِعُهُ يَفقأ عينَيهِ ويغطسُ في بيرْ

إنَّ هَديراً دَمَويّاً يَزحَفُ مِن كلِّ فِجاجِ الأرضِ

فَيَبتَلعُ الصَّوت

أنا المَخنوقُ بِدَمعي

بِدَمٍ يَتكَثَّفُ في حَلقي

أدعوكم أن تَلتَقِطوا هذا الصَّوتَ الوَحشيَّ

هيَ الرُّؤيا تَتَمَثَّلُ جَسَداً حَيّاً

فَلتُورِقْ أشجارُكُمُ آذاناً

تُفرِعْ أذرِعَةً

كلُّ ذراعٍ تَفتَحُ راحَتَها عَيناً

إنَّ الطُّوفانُ أتاكُم

الطُّوفانُ أتاكُم

الطُّوفانُ أتى

الطُّوفان[1]

حَبَّةُ رَملٍ تَدفعُها قطرَةُ ماءْ
ضِرسٌ تَنبعُ مِن حُفرَتِها قطرَةُ دَمْ
حَبَّةُ رَملٍ أكبَرُ
تَدفعُها قطرَةُ ماءٍ أكبَرْ
الضِّرسُ المَخلوعَةُ تَنمو
حُفرَتُها تَنمو
دَمُها يَنمو
مأرِبُ يَتَهَدَّمُ
يَزحَفُ
الطُّوفانُ أتى..

رملٌ في الأهدابْ
رملٌ في الرُّوحِ،

(1) في الفصل إشارات لا يخطِئُها القارئ إلى السيد المسيح، وتشي جيفارا، وباتريس لولومبا.

ورملٌ في الأثوابْ

رملٌ في الأبوابْ

وصَفيرْ..

سُدُمٌ تَنهارْ

وجَرادٌ مِن نارْ

بملايين الأنيابْ

يَهوي ويَطيرْ..

تَنتَشِرُ الصَّحراءُ،

وتَركضُ هاربَةً

كلُّ حُبَيبَةِ رَملٍ تَنمو جُمجُمَةً

تَتَدَحرَجُ،

والأنيابُ تُلاحقُها

قَرقَعَةُ الرَّملِ العَظميّ تَصُكُّ الآذانْ

الطُّوفانُ أتى

الطُّوفانُ أتى

جاءَ الطُّوفانْ..

دِهلَةُ لَحمٍ تَختَلِطُ الأيدي والأرجُلُ والأحشاءْ
أفواهٌ مَفغوراتٌ يَندَلِقُ الدَّمُ منها واللَّبَنُ المَرضوعُ
بِلَونِ القارْ
الدِّهلَةُ تَزحَفُ،
تَمضَغُ وَجهَ الأرضِ
وأحشاءَ الأرضِ
وأضرحةَ الأرضِ
فَتَسمَعُ طولَ اللَّيلِ صِراخَ الموتى
فإذا أشرَقَت الشَّمسُ اختبَأَ الآكِلُ والمأكولُ
فلا تَسمَعُ صَوتا

تَنتَشِرُ بِعَرضِ الكونِ ذراعانْ
وَيَعلو المَدُّ
فَتَظهَرُ ساقانْ
وَمَساميرُ وقُضبانْ
ورأسٌ يَتَدَلَّى
يَبكي،
وَيَسيرْ
تَتبَعُهُ آلافُ الصُّلبانْ..

تَخرُجُ مِن قلبِ المَوجِ رِقابٌ
تَمتَدُّ
تَلوبُ بأرؤسِها فوقَ الدِّهلَه
مَفغوراتِ الأفواهْ
مَفغوراتِ الأحداقْ
تَنظرُ عُمقَ الكونْ
تَصرَخُ عُمقَ الكونْ
ثمَّ تَعودُ إلى الدِّهلَةِ مَلويّاتِ الأعناقْ

أصدافُ الأعيُنِ تَطفو،
تَبكي،
ثمَّ تَغيبُ إلى القاعْ..

أتَقَرَّى دَرباً بيَدَيَّ خلالَ الجَسَدِ الدَّمَويَّ الزَّاحِفْ..

كَفٌّ حَجمَ البَيضةِ
قُطِعَتْ مِن مِعصَمِها
تُمسِكُ ثَدياً

والثَّديُ يَسِحُّ حَليباً فوقَ أصابِعِها المَخضوبَةِ

بالدَّمْ..

أتَعثَّرُ،

والتَصقَتْ شَفَتايَ بِقُرصٍ لَحميٍّ

أرفعُهُ..

فأضاءَتْ بينَ يَدَيَّ شَظيَّةُ بَرقٍ

وإذا القُرصُ اثنينِ التَصَقا عندَ الفَمْ

الأكبَرُ مَعجونٌ بِضَفائرْ

والأصغَرُ خصلَةُ شَعرٍ

ثَقَبَتْ هامَتَها خِضرِمَةٌ

تَتَدَلَّى فوقَ الجَبهَه

تطفو عَدَدَ الرَّملِ عيونٌ

تَبكي

ثمَّ تَغيبُ إلى القاعْ

يَرتَفعُ المَوجُ ويَنهَدُّ

فَتركضُ أجسادٌ عاريَةٌ

تُدركُها الأمواجُ
تُغَطِّي الأقدامَ
تُغَطِّي السِّيقانَ
تُغَطِّي الأعناقْ..
تَطغى..

تَنفَتِحُ القَوسْ
سَبأٌ عَبرَ القوسِ المَفتوحَةِ تُومئ
وَيْ..
لو كانَ معي أقدامي
لو لحمي وعِظامي..

تَرتَفعُ الدِّهلَةُ زَبَداً بُركانيّاً
تُفتَحُ فُوَّهَةٌ
تَنهَضُ غابَةُ قَصَبٍ تَحملُ جَسَداً أبيَضَ
مَفغورَ العَينَينِ
تَدَلَّى مِن فَمِهِ السِّيجارُ فَمَسَّ الذَّقنْ
وانخَسَفَ المَوجُ
فَمالَ الجَسَدُ المَحمولُ إلى القاعْ

مأرِبُ يَزحَفُ مِن كلِّ فِجاجِ الأرضِ
انثَقَبَ الطُّوفانُ
وَنَدَّتْ كتلَةُ لحمٍ أسوَدَ تَصرخُ
واختلَطَ المَوجُ فلَم أتَبيَّنْ مِن وَجهِ الصَّارخِ
إلاّ عَينَينِ مُمَزَّقَتَينِ تَخُرَّانِ دَماً
ورأيتُ أكُفّاً سُوداً تُغرَزُ في العُنُقِ السَّوداء
فَتَزرَقُّ إلى أن يَتَفَجَّرَ منها الدَّمْ..
تَسحَبُها الأيدي السُّودُ إلى الأعماقِ
فَتَغمُرُها الدِّهلَه

أيَّتُها الآذانْ
ما زلتُ أخَوِّضُ في الطُّوفانْ
ألقُطُ أعلاماً لِسَبأ

أبصِرُ صَفصافاً يَحكي
وعَجائِزَ نَخلٍ تَبكي
وَعَصافيرْ..
مِلءَ الأرضِ عَصافيرْ

يَخرُجُ منها الدُّودُ

عيوناً ومَناقيرْ..

أبصِرُ أثداءً مَبتورَه

تَرشَحُ لَبَناً

فوقَ مُهودٍ مَهجورَهْ..

وَعَويلْ

وجذوعَ نَخيلْ

كُلاًّ يَحضُنُ شَعفَتَهُ المَقطوعَه

والطَّلعُ يَسيلْ..

تَبلُغُها الأمواجُ

فَتطفو شَعَفاتُ النَّخلِ

وَيَطفو الطَّيرُ

وَتَطفو الأثداءْ

وَتَغيبُ جميعاً

لا يَبقى غير جذوعٍ جَرداءْ

ومهودٍ خاليَةٍ تَتَأرجَحُ فوقَ الماءْ..

يا أحداقاً ليسَ تَرَى
يا آذاناً لا تَسمَعْ
مَن يُبلِغُكَ الآنْ
أنَّ مَرايا الدُّنيا أجمَعْ
لا شَيءَ يُرَى فيها
إلاّ جُرحٌ يَدمى
أو عينٌ تَدمَعْ..
أتَخَبَّطُ في الدِّهلَةِ
لا أدري أينْ
منطفئ الرُّوحْ
مُنطفئ العَينَينْ

وإذا بِرؤوسِ شَياطينْ
في عَوَّاماتٍ مِن طينْ
تَختَرِقُ الدِّهلَةِ نحوي..
تُدركُني

وَيْ..
هذي الأوجُهُ أعرفُها

وارتفَعَ المَوجُ فَطَوَّقَ أوساطَ النَّخلِ إلى أن مَجَّتْ
كلُّ الأعذاقِ دَماً
أوشَكتُ أصيحُ
فَغَطَّتْ وَجهي كومَةُ لَحمٍ
وصُراخُ امرأةٍ
في يَدِها رأسُ رَضيعٍ
يَنظرُ لي وهوَ يُحَرِّكُ فَكَّيه..

مَسَحتُ الدِّهلَةَ عن وَجهي
ونَظَرتُ إليه
فإذا لَحمٌ يَنزِفْ
وأصابيعُ رَضيعٍ تَرجِفْ
تَبحَثُ عن شيءٍ تُمسِكُهُ
فَسَقَطتُ إلى الأعماقْ..

كم في حِسابِ الزَّمَنْ
مَرَّ على مَوتي
حتى استطاعَ أن يُعيدَني إلى صَوتي

مَن لستُ أدري مَن..؟

حينَ استَفَقتُ

كنتُ في عَوَّامَةٍ من الطِّينْ

وكانَ حولي بَشَرٌ كأرؤسِ الشَّياطينْ

رَفَعتُ رأسي،

أسقَطوا عيونَهُم عَلَيَّ

مَليئَةً بالنُّورْ

ياه..

إنَّهم حَمَّاةُ القبورْ..

تَبَسَّموا حينَ رأوني مَعَهُم أجري

يَحملُني قبري

عَرَفتُهُ مِن مَلمَسِ الطِّينِ

تَكوينُهُ كانَ كَتَكويني

رائِحَتي.. ذاكِرَتي.. حتى شَراييني

أحسَستُها تَنقُلُ بينَ جَسَدي وبَينَهُ الدِّماءْ

صَرَختُ..

ضَجَّ الصَّوتُ في مَعابِرِ الفضاءْ

وأورَقَتْ كلُّ الدُّنا آذانْ

أدَرتُ عيني..

كانتْ الرُّموزُ والأسماءْ

تَعلو رويداً فوقَ سَطحِ الماءْ

وكانَ، مَدَّ البَصَرْ

يَنحَسِرُ الطُّوفانْ..

إرَم بعد الطُّوفان

هذا أنا الحامِلُ في راحَتِه عَلامَه
الخارِجُ الآنَ مِن القيامَه
يَبحثُ عن سَبَأ
سألتُ حتى الموتَ عن دَربِكِ فاختبَأ

هل أفزَعَ الزَّمانْ
شَكلي؟..
أمِن سُلالَةِ الكَهفِ أم الطُّوفانْ
أنا؟؟..
وَإذنْ،
فأنا في زَمَنٍ ليسَ زماني
ومَكانٍ ليسَ مَكاني
أم أنَّ الطُّوفانْ
مَكيدَةٌ أخرى

لِلنَّومِ مِن جَديدْ
عَوَّضَ فيها الدَّمُ والنَّارُ عن الجَليدْ؟..

إرَمْ
يا أعظَمَ زلزالٍ في التَّاريخْ
يا أرهَبَ كَهفٍ في الدُّنيا
لو تَصدُقُ هذي الرُّؤيا..

آخِرُ أنفاسِ الطُّوفانْ
تَلفُظُ ما بَلَعَتهُ الآنْ..
ياه..
صَمتٌ مَدَّ العَينْ
وخَرابٌ مَدَّ العَينْ

صَمتٌ..
وخَرابْ..

جُثَثٌ لِبَشَرْ

جُثَثٌ لِقِطَطْ

جُثَثٌ لكِلابْ

جُثَثٌ في كلِّ مكانْ

يَنخرُها الدُّودُ،

وتَقضُمُها الجُرذان

وَحِجَارْ..

مَدَّ العَينِ حِجارْ

وهُنا بُقيا بَشَرٍ

وهُنا بُقيا دارْ

وَمَخاليقُ صِغارْ

تَقتُلُ بَعضٌ بَعضا

تأكلُ بَعضٌ بَعضا

وَتُقَفقِفُ بينَ الأحجارْ..

دَنَوتُ منهُم

أغلَقوا الطَّريقْ

وَوَقفوا..

عيونُهُم بَريقْ

ظنونُهُم بَريقْ

وَجِلدُهُم إبَرْ

نادَيتُهُم

تَكَوَّروا..

والتجأوا كلٌّ إلى حَجَرْ

تَراجَعتُ مُنكَسِراً

خَرَجوا مِن مَكامِنِهِم

نَظروا يَمنَةً

نَظروا يَسرَةً

وَمَضَوا هاربينْ..

يا بَقايا إرَمْ

جئتُ أحملُ صَوتي

بينَ مَوتي ومَوتي

باحِثاً عن سَبَأ

فَقطعتُم عليَّ الطريقْ

أعَدوٌّ أنا؟

أم صَديقْ؟..

كلُّ العيونِ خَوفْ

وكلُّهُنَّ اتِّهامْ

وليسَ مِن نَفَسْ

وليسَ مِن كلامْ..

رأيتُكُم أعيُنُكُم تَلوبُ في المَحاجِرْ

وخوفُكُم يَذبَحُكم ذبحاً

ولا يُهاجِرْ

رأيتُكُم دماؤكُم تَجري

ودُورُكُم تَنهارْ

جَعَلتُ مِن أورِدَتي أنهارْ

وجئتُكُم أركبُ في قَبري

خَرَجوا مِن مَكامِنِهِم

نظروا باتِّجاهي

نظروا في سكونٍ إلى بَعضِهم

ثمَّ عادوا وَراءَ الأكَمْ

يا بَقايا إرَمْ

رُبَّما لستُ أبصِرُ ما تُبصِرونْ

غيرَ أنِّي أعلمُ أنَّ العيونْ

لا تُخادِعُ أصحابَها

فأنا أبصِرُ الآنَ كلَّ الفَجيعَه

أبصِرُ النَّظراتِ المُريعَه

وهيَ تَبرَحُ في السِّرِّ أهدابَها

لِتُفَتِّشَ عن سَبَبٍ لِلقَطيعَه

أبصِرُ اللهَ يَبكي

والمروءاتِ تَبكي

وأرى كلَّ أعناقِكُم وهيَ تُلوَى

بينَ خوفٍ وشَكٍّ

وا وَلَداه..!

وا أبَتَاه..!

وا بَيتاه..!

يا بَقايا إرَمْ

لا يأكُلْ واحِدُكُم أطفالَ أخيهْ
لا يَذبَحْ والِدَ أولاد بَنيهْ
لا يُبصِرْ واحِدُكُم مُحتَضَراً
فَيُدَشِّنْ خِنجَرَهُ فيهْ

حتى لو أبصَرَ قاتِلَهُ مَطعوناً
يا أهلَ إرَمْ
لا يَقْسُ عليهْ
لا يَذبَحْ شاهِدَهُ بيَدَيه

لكأنِّي أرى أنهُراً مِن دموعْ
وَهَياكِلَ مُنخَلِعاتِ الضُّلوعْ
وأرى سُفُناً دامياتِ القُلوعْ
وأرى النَّاسَ تَظما
وأراها تَجوعْ
وأرى كلَّ جِذعٍ صَليباً
وأرى كلَّ شَخصٍ يَسوعْ
وأرى كلَّ آصِرَتي يَرحلونْ..

يا بَقايا إرَمْ
لَكأنّي أرى كلَّ مَن في دَمي
مِن دَمي يَنسِلونْ..
دامياً يَتَعَثَّرُ صَوتي
بينَ هذي الرِّجامْ
كلُّ شيءٍ ظلامْ
أتَخَبَّطُ بينَ الخَطايا
وبينَ الضَّحايا
السَّبيُّون قبلَ السَّبايا
والفَطيمونَ قبلَ الفِطامْ
ثمَّ أبصِرُ لِلقَوسِ مَفتوحَةً
وبأعماقِها هاتِفٌ مِن سَبَأ:

يا عابِرَ نَهرِ المَوتْ
هل تَملِكُ نَفسَ الصَّوتْ؟
أم غُيِّبَ عنكَ النَّبَأ؟

كلُّ الوجودِ اختبَأ
فَأنا الآنَ وَحدي

مُفرَدٌ لِلقرارْ

مَن يُصَدِّقُ وَجدي؟

مَن يُصَدِّقُ أنِّي عَبَرتُ المَدارْ

ورأيتُ الذي كان قَبلي

ورأيت الذي كانَ بَعدي؟

يا ضَحايا إرَمْ

عندَما تُوقِظونَ لكم شاهِداً

مَرَّةً ثانيَه

افقأوا مُقلَتَيهْ

وَغُلُّوا يَدَيهْ

واجعَلوا حَشْوَ آذانِهِ

صَوتَكم وَحدَهُ

لا يُنازَعْ

عليهْ..

يا ضَحايا إرَمْ

كلُّ صَوتٍ لَهُ شارَةٌ

وَلَهُ دارَةٌ

يَتَوَسَّطُها

فاحذَروا أن تَقولوا لِصَوتٍ

على ضَعفِهِ:

قِفْ بهذا المَدارْ

سَيُبالِغُ في رَفضِهِ

أو يُبالِغُ في الانكِسارْ..

وصدقت النبوءة

الحُرّ الرِياحي

مسرحية شعرية في ثلاثة فصول

شخصيّات المسرحية

الحُرّ بن يزيد الرِياحي: قائد أموي

أبو حفص، عمرو، زياد: قادة في جيشه

حارث: ابن الحرّ

يوحنا المعمدان

الدليل: دليل يوحنا

شمر بن ذي الجوشن: قاتل الحسين (ع)

سهيل، مالك: من رجاله

هاجس الحُرّ

هاجس الشمر

عمار، حارث، ياسر: من أنصار الحسين (ع)

عائشة: زوج ياسر

سليم: ابنه

رشيد: صاحب شرطة عبيد الله بن زياد

كورس أطفال

كورس رجال

جنود

آخرون

الفصل الأوّل

المكان: معسكر الحُرّ بن يزيد الرياحي قرب الكوفة.

الزمان: فجر موقعة الطف.

يُلاحظ هنا: أنّ صوت الهاجس يسمعه الحُرّ الرياحي وحده

«الحُرّ وحيدٌ في خيمته»

الهاجس: إنَّها لحظةُ الصَّمت

فلتَخْتصِرْ كلماتُكَ أنفسَها

تَتراجعُ؟

أن تقتلَ الآن؟

أيُّ طريقَيكَ أوضَحْ؟

عقربٌ تضرب الليلَ بين ضلوعكَ

مأكولةَ الظَهر

إنَ تنتشرْ

تفتقدْ خيلُك الآن حتى حوافرَها

السيوفْ

لا تُفلسفُ في رَهَجِ الموتِ أفعالَها

«صهيل»

كِلْمةً لانتظار الرجال

تُحدِّدْ مواقعَها

«صهيل وجلبة»

الحُرّ: ها هي الشمسُ تنهضُ

والناسُ تنهضُ

والكلماتُ القليلة تنهضُ

تنهضُ أحرفُها كالعماليقِ عمياءَ مجنونةً

تتخبَّطُ بين حناياك

أيُّ الطريقين أوضَحْ؟

الهاجس: كان لسيفك رأيٌ هو الحَدُّ

حَدٌّ هو الرأيُ

أصبح رأيكَ والسيف حدَّين

رطوبةُ أدناهُما تلمسُ الآن رأسَكَ يا حرُّ

الحُرّ: «لنفسه»

وي..!

لو أنَّ هواجسَكَ الآنَ مسموعةٌ

«يدخل الربيئة»

الحُرّ: ماذا وراءكَ؟

الربيئة: أبشِرْ

الحُرّ: «بفرح مفاجئ»

هل أفلتوا؟

الربيئة: حاشا

وهل إفلاتهم بشارةٌ أزفُّها إليك؟

الهاجس: البشارةُ الوحيده!

من أين للطاردِ أن يرى صراخَ اللّه

بين عينَيْ الطَّريده..؟

الحُرّ: أوجزْ إذنْ

الربيئة: رأيتُ مواقدَهم

الحُرّ: خمدَتْ؟

الربيئة: ما يزال الرمادُ بها دافئاً

الحُرّ: وتَتَّبعتَهم؟

الربيئة: قد فعلت.

الحُرّ: فَصِفْهم.

الربيئة: قليلٌ حوافرُهُم

قليلٌ مواطئُ أقدامِهم

جُلُّهم صبيةٌ

خِلتُهُم موَّهوا الدَّرب..

الحُرّ: هل فعلوا؟

الربيئة: لا

ولكنني أوهَمتْنيَ أقدامُ أطفالِهم

فرطَ ما تتشعَّبُ

الحُرّ: هم..م..

الربيئة: «وهو يضحك»

أمنوا الموت

فانتشروا يلعبون

الحُرّ: «غاضباً»

أأوجزْتَ؟

الربيئة: عفوَكَ أيُّها الأمير

الحُرّ: لا تزدْ

أدركتَهم؟

الربيئة: أجل

الحُرّ: أين هم الآن؟

الربيئة: مسارَ فرسخَين في الطريق للكوفه

الحُرّ: قُلْ للرجال يُسرجوا خيولهم

الربيئة: أمركَ أيُّها الأميرْ

«يخرج ويبقى الحُرّ وحيداً»

الحُرّ: «لنفسه»

أمنوا الموتَ فانتشروا..

وأمنتُم

فَجلُّهُمُ صبيةٌ

أصغرُ الجرحِ أكبرُ منهم

وأمنتم.. فهم نَفَرٌ

يصرخُ الحقُّ بينهُمُ صرخةً

ثمَّ يهوي على وجههِ

الهاجس: ويْكَ يا حُرُّ

تأمرُ أن تُسرَجَ الخيلُ

صافَيتَ نفسَك؟

ها أنتَ

لا سرجَ فوق حصانِكَ غيرُ الهواجس

لا نصلَ في غمدِ سيفِكَ

غير الهواجس

الحُرّ: أعلَمُ أنَّ لسيفي جواباً إذا سُئِل الآن

أعلمُ أنَّ حصانيَ يعرفُ كلَّ مهمَّتِهِ

وأنا..

الهاجس: أنتَ تخدعُ نفسَكَ يا حُرّ

تمتلكُ السيفَ

لكنَّ مقبضَهُ في يدٍ لستَ صاحبَها

ها أعنَّةُ ألفٍ من الخيلِ تُمسكها الآن كفُّك

تملكُ عنانَ حصانِكَ من بينها

«شعاع من ضوء الشمس يسقط على يد الحُرّ وهو يذرو الرمل»

إنَّها الشمسُ

ها كلُّ ذرّةِ رملٍ تَميَّزُ عن أختِها

هل لظُلمةِ روحِكَ من كوكبٍ؟

هل لهذا الخليطِ شعاعٌ يميِّزُهُ؟؟

لو تَعِدُ المياهْ

فتَحتُ بالخنجر درباً نحو هذا العَطَشْ!

«منادياً»

مَسعده

الربيئة: «وهو داخل»

لبيكَ أيُّها الأمير

الحُرّ: قُلْ لأبي حفصٍ وعمروٍ وزيادٍ

يقدموا إليّ

الربيئة: أفعلُ الساعه

«يخرج»

الهاجس: ثمَّ ماذا؟

جيشُكَ الآن استوى فوقَ ظهورِ الخيل

قُوّادُكَ آتون

وما زالَ نزيفُ الليل

لم يَنبتْ ولا خيطُ ضياءٍ بين أضلاعِكَ

ما زالَ نزيفُ الليل

ما زالَ نزيفُ الليل

«القُوّاد يدخلون»

أبو حفص: عِمْ صباحاً يا حُرّ

الحُرّ: عمتُمْ صباحاً

اجلسوا

زياد: والرجالُ فوق ظهورِ الخيل؟

الحُرّ: لا بأس..

فما بينكم والحسينْ

غيرَ أنْ تمضغَ الخيلُ أرسانَها مضغةً

«وهم يجلسون»

الهاجس: ها أنت ذا تهربُ من نفسكَ

ما جدوى الذي أخبرتَهم عن المدى بينهم

الساعةَ والحسين

ما دام المدى بينك أنت والحسينْ

لا تعرفُه؟

الحُرّ: كيف تركتُم الرجال؟

زياد: يكبَحون خيلَهم

لكن ترى الصهيلَ في عيونِهمْ

الحُرّ: وأنتُمُ؟

عمرو: «ينهض مجرداً سيفه»

سل هذه السيوف

مَنْ أظمأ للدماءِ: نحنُ أم نصالُها؟

الهاجس: أرأيتَ؟..

لو أنكَ تملكُ من نفسِكَ الآن ما يملكون

أكنتَ تردَّدت في أن تجرِّد سيفك؟

الحُرّ: «وكأنّه يخاطب أحداً»

لو كنتُ أملكُ بيِّنةً

الهاجس: أيُّ بيِّنةٍ مثل أن يتشرَّخ في غمدهِ السّيف؟

الحُرّ: ثم يقولون:

أقعى الرياحيُّ يعلقُ قيحَ وساوِسِه

أبو حفص: هل.. قلتَ شيئاً أيّها الأمير؟

الحُرّ: «منتبهاً إلى وجوههم»

كنتُ أقولُ...

الهاجس: قلْ لُعِنتَ

أنزِلْ كلَّهم من نفسِه منزلَكَ الساعةَ

من نفسِكَ

ثمَّ انظرْ إلى سيوفِهم مِن بَعد

الحُرّ: كنتُ أودُّ أن..

الهاجس: تودُّ ماذا؟

أنَّ كلَّ كلْمةٍ تنطُقها في هذه اللحظةِ

سيفٌ

أنْ تجسَّ الوتَر اللَّينَ من نفسِكَ

مثل امرأةٍ تبكي؟؟

تبيِّن قدراً تصنعُه أنتَ بهذا الخوف

كنْ سيّدَهم وقلْ

أو عبدهم وعبدَ طغيانِكَ

واسكتْ

الحُرّ: «غارقاً مع نفسه»

بل أقولُ

أبو حفص: إنّنا مصغون أيُّها الأميرْ

الحُرّ: «منتبهاً إليهم مرّة أخرى»

تعلمون لماذا دعوتُكم الآن؟

أبو حفص: مِن أين نعلمُ

إنْ كان شيئاً سوى الأمرِ بالحرب؟

الهاجس: من أين يعلم غيرُك

من أين يعلم..؟

«القُوّاد يطيلون النظر إلى بعضهم»

أبو حفص: مذ أمسِ وشيءٌ ما يشغلُ بالكَ يا حُرّ

الحُرّ: أجلْ

زياد: مُرْ، أقطعْ عنقَ الصحراءِ الساعةَ

ما تنزفُ هاجسةً!

الحُرّ: مَهْ..

قد أحتاجُ لسيفكَ في ضربٍ أقسى

عمرو: تمتحنُ اليومَ سيوفَك..

أبو حفص: «**مقاطعاً**»

يا عمرو..

عمرو: «**مواصلاً**»

فترضى

أبو حفص: يا عمرو اهدأ

ليخيَّل لي أنَّ سيوفَ الأرضِ جميعاً

تعجزُ أن تقطعَ ما يشغلُ بالَ أميرِكَ

عمرو: لكنْ..

أبو حفص: لكنْ ماذا..؟

إنَّ علينا أن نسمعَ

ثمَّ علينا الطاعه

الحُرّ: مهلاً أبا حفصٍ

لو أنّني أمرتُ أمراً الساعةَ

هل أنتم مخالفوه؟

أبو حفص: حاشا

الحُرّ: فأنا

لم أدعُكم لكي تُطيعوا

بل دعوتُكم

لكي تَروا معي

عمرو: فهاتِ ما عندكَ أيّها الأمير

الحُرّ: يا عمرو

عمرو: لبيك

الحُرّ: لو أنّني خُضتُ بكم جيشاً من الجنِّ

يقاتلونكم

ولا ترونَ واحداً منهم

أخائضوهُ أنتُمُ ورائي؟

عمرو: أنت تدري أنّنا نفعلُ

الحُرّ: أدري...!

«يطيل النظر إليهم»

هَبوني حملتُ بسيفيَ هذا

ورمحيَ هذا

على صِبْيةٍ

يهرعون أمامي وينكفئون

فتحملهم أمَّهاتُهُمُ حاسراتٍ من الرُّعبِ

يركضْنَ في كل مُتَّجهٍ

ثم قلتُ: أغيروا عليهم معي...

تفعلون؟؟

زياد: أتفعلُه أنتَ يا حُرّ؟

الهاجس: تفعلُه أنتَ يا حُرّ؟

تفعلُه أنتَ؟

الحُرّ: جِدْ لي جوابَ سؤالِكَ هذا زياد

فمن أجلِ هذا دعوتُكم الآن

الهاجس: تكذبُ!

تكذبُ أنتَ

وجُبنُك ما زال سيِّدَ موقفِه

منذُ أمسِ

وأنتَ تقاتلُ نفسَك

ما كنتَ تعرفُ من أمرِ جيشِ الحسينِ

فتيلاً

أتصطنعُ العطفَ

تستُر من كبريائِكَ مذبوحةً

ثمَّ تُلْبِسُهُ للحسينْ؟

إنَّه يتقبَّل سيفَك قدْر تقبُّلِك الذلَّة الآن

إذ أنتَ تكذبُ

تكذبُ يا حُرّ

تكذبْ

زياد: أيأذنُ الأميرُ أن أسألَ..؟

الحُرّ: مَنْ..؟... زياد؟؟

زياد: أجل.

الحُرّ: وهل وضعتُ بيننا حجاباً قبلْ؟

زياد: كلّا أيّها الأمير

الحُرّ: ففيمَ تستأذنْ؟؟

الهاجس: أمغالطةً نفسَك؟

أم تسألُ كي تتبيَّنَ مقدارَ الشكِّ بأنفسِهم؟

إنَّهم يتَّقونَكْ

يتَّقون يدَ الخائفِ المتحفِّزةَ الآن فيك

ولو شعروا أنّها قبضةُ الواثِق المطمئنِّ

إلى نفسه الآن

ما استأذنوا

أنتَ تعلمُ أنَّ يدَ الخوفِ بطّاشةٌ

وتلحُّ ليزدادَ خوفُك

ها أوَّلُ الغيث

أصبحتَ تبصرُ في أيِّما كِلْمةٍ نطقوا

غمزةً

فتضاعفُ حِملاق عينيكَ فيهم

أبو حفص: يا حُرُّ

لقد كنّا ندخلُ من نفسِكَ باباً مشرعةً

لا يستأذنُ داخلُها

الحُرّ: والآن؟

أبو حفص: الآن يُخيَّل لي أنَّ عليها أقفالاً

وعليها حَرساً

الهاجس: باسلٌ

لغةٌ ملكتْ صدقَها فاستقرَّتْ

تجرَّدْ وضوحاً كهذا

وقلْ كِلْمة

تقف الشمسُ في مُستقرٍّ تُعيّنُه أنتَ

لولا أضأتَ مسافةَ ما بين قلبِك والشفَتين..

الحُرّ: يا أبا حفص

أبو حفص: لبَّيك

الحُرّ: لو خلعتْ نفسُ صاحبِكَ الآن

أقفالَها

أبو حفص: عُنوةً؟

الحُرّ: بل رضىً واختياراً

أبو حفص: دخلَ الناسُ

لا خوفَ منها

ولا خوفَ منهم عليها

الحُرّ: «ملتفّتاً إلى زياد»

فسَلْ إذن زياد

زياد: ما شئتُ؟

أم الذي تشاءُ أنتَ تُسأل؟

الحُرّ: بل ما شئتَ

زياد: هل أوجزُ؟

الحُرّ: ما استطعتَ

زياد: «بشيء من التردّد»

يا حُرُّ

الحُرّ: قُلْ

زياد: مع الحسين نحنُ أم عليه؟

عمرو: «مباغَتاً»

زياد

الحُرّ: مهلاً عمرو

فلْنحتمِل الكيَّ

إذا استفحلَ فينا الدّاء

«إلى زياد»

يا زياد

زياد: لبيك

الحُرّ: قبيلَ برهةٍ كنتَ مع الجيش

زياد: أجل

الحُرّ: تركتَهم يلتمعُ الصَّهيلُ في عيونِهم

زياد: حقٌّ

الحُرّ: فهم في عدَّةِ الحرْب إذنْ

«يلتفت إلى عمرو»

وأنتَ يا عمرو بنَ عبدِ الله

عمرو: لبَّيكَ

الحُرّ: ترى نفسَك أظما للدماءِ الآن من سيفِك

عمرو: بل زدتُ إليها عطشاً

الحُرّ: جميعُ أُهْبةِ القتالِ فيك

«يلتفت إلى أبي حفص»

يا أبا حفصٍ

أبو حفص: مُطيعاً كلَّ ما تأمرُ

الحُرّ: هذا عسكرٌ يمطر نصراً

«يتّخذ بينهم هيأة الخطيب»

فنحنُ أمامَ عدوٍ أتى يُهلكُ الحرثَ والنَّسل

يُخرج من يدِنا أمرنا

يدَّعيه له ظالماً

زياد: «مقاطعاً»

يُهلِك الحرثَ والنَّسل؟

عمرو: لكنَّنا ما رَمينا الحسينَ بما قلتَهُ

الحُرّ: «مواصلاً وكأنّه لم يسمع اعتراضهم»

فتَن الناسَ

ألَّبهم حولَهُ

صدَّقوا أنَّه ابنُ النبيِّ

وأنَّ على وجهِه صفحةً للرسالةِ ما قُرئتْ

فهو قارئُها

يدَّعي أنّهُ جاء يحملها منقذاً

صدَّقوا أنّهُ كلُّ ذلك..

أبو حفص: «**مقاطعاً**»

لكنَّهُ كلُّ ذلك يا حُرّ

الحُرّ: ها؟

أبو حفص: إنَّهُ كلُّ ذلك

الحُرّ: أعلمُ

أبو حفص: تعلمُ ثم تقول الذي قلتَ فيه؟؟

الحُرّ: تُريدونني أن أقودَ رجالي لقتلِ الحسين

سأفعلُ

لكنْ..

لكي يقتلوه

فلا بدَّ أن يؤمنوا أنَّ هذا الذي تطأ الخيلُ

جبهتَهُ

الذي يجرأون عليه

فتنشبُ فيه الأسنَّةُ

ليس الحسين

ولكنَّه رجلٌ

يدَّعي باطلاً

يخدعُ الناس

يُهلكهم في غدِ

بل سأجعلهم يؤمنون بغربتِهِ عن محمَّدْ

أبو حفص: وتعلمُ أنَّ جميعَ الذي قلتَه كذبٌ!

الحُرّ: بعد أن نربحَ الحربَ

يُصبح لا صدقَ إلاّه

أبو حفص: لكنَّه كذبٌ

إنَّه كذبٌ يتصبَّب سامعُه عَرقاً

الحُرّ: الويلُ لكم

قُبيلَ لحظةٍ بدتْ كبيرةً كلُّ دعاواكُم

وها أنتم أولاءِ

لو أشرتُ نحو أيّ من سيوفِكم

بأنَّه الذي يبدأ

لأقشعرَّ في قرابِه

لم تقتلوا الحسينَ بعدُ

ثم ها أنتم تخافون مجرّد اتّهامه

بأيِّ شيءٍ

أيُّكم يحمل وزرَه غداً؟

زياد: يحملُه الذين أوعزوا لنا بقتلِه

الحُرّ: وأنتم

زياد: جنودٌ تطيعُ أوامرَ قادتِها

الحُرّ: بل كلابٌ يصاد بها

أبو حفص: أنت يا حرُّ تشتُمنا دونَ حقٍّ

الحُرّ: ولكنّني مثلكم

كلبُ صيدٍ سيلهثُ خلفَ الفريسةِ

يُنشبُ أنيابَهُ في مقاتِلها

ويعودُ بها كلبَ صيدٍ لسيّدِه

«لحظة صمت»

عمرو: هل لنا أن نرى منبتَ السّهم في رأيكَ الآن؟

الحُرّ: لو كُنت أبصرُه

أبو حفص: إنما يومضُ البرقُ في الغيمةِ المدلهمّةِ يا حُرّ

الحُرّ: فالتمسوه إذنْ

أمسكوا أيَّما إصبعٍ من أصابعه

ودعوني أرَ جوفَ نفسي يضيء

لكُم أنْ أُفقئَ عينَيَّ بالضّوءِ

لكنْ أرونيهِ

أبو حفص: يا حُرّ

برقُك أمسكتَ أنتَ جميعَ أصابعِه

الحُرّ: هل فعلتَ؟

أبو حفص: فعلتُ

الحُرّ: فدلَّني أنتَ أبا حفصٍ عليها

أبو حفص: آمناً؟؟

الحُرّ: ويْ....

كيف لا تنبتُ للسماءِ ألفُ مخلبٍ

تُغرَز كلُّها بعينيَّ

عمرو: لماذا أيُّها الأميرْ؟

الحُرّ: هَبوني سوى الشكِّ عيناً أراكم بها

قبضةً أتحسَّسُكم

تزرعونَ الظنونَ بكلِّ مسامات جلديْ

ثمَّ تخشونَها

كيف آمنُ في عطشي بينكم

وأنا كلَّما امتدّ دلوي إلى قاعِ آباركم

هربَ الماء؟

أبو حفص: هلا تفحَّصت دلوكَ يا حُرّ؟

الحُرّ: «يطيل النظر إليه»

ماذا عنيتَ أبا حفص؟

أبو حفص: ما كنتَ تحذرهُ

الحُرّ: فأبِنْ

أبو حفص: أنتَ ترسلُ دلواً إلى الماءِ

تعلمُ من قبل إرسالها أنها ستعودُ

وما علقتْ قطرةٌ في جوانبها..

إنَّ دلوكَ مخلوعةُ القاعِ يا حُرّ

الحُرّ: أنتَ تحاولُ أن...

أبو حفص: «مقاطعاً»

أن أقولَ بأنَّكَ تعلمُ ذلكَ

بل تتقصدَّهُ

ثمَّ تشتُم آبارَنا

الحُرّ: يا نهارَ العواصفِ والرّجمِ المستحيلةِ

أيُّ نبوءاتِكَ اليُطمانُّ إلى صدقِها الآن؟

أبو حفص: أقسمُ لو أني صيّرتُ الصحراءَ بأجمعها ماءً

وطغى الموجُ فغطّاكَ إلى الأذنين

لأطبقْتَ شفاهَك في جوفِ اللّجَّةِ

حتى تقضي عطشاً

الحُرّ: وبعد

أبو حفص: أن تقولَ:

لن نقاتلَ الحسين

ثم لا تضيف كِلْمةً

الحُرّ: «بعد أن يطرق لحظة»

وأنتَ يا عمرو؟

وأنتَ يا زياد؟

زياد: في الذي قال أبو حفصٍ كفاءٌ أيُّها الأميرْ

الحُرّ: «مع نفسه»

أيُّ خصمُ بليتَ بهِ اليوم؟

عُمرَك أسرجْتَ للريح كلَّ مهبّاتِها

كلُّ أرسانِها تتقاطعُ تحتكَ

ما انكفأتْ صهوةٌ أنتَ فارسُها

ثمَّ ها أنت...

«إلى عمرو»

يا عمرو

عمرو: لبَّيك

الحُرّ: قلْ لي وأصدقنيَ القولَ يا عمرو

إنْ لم أكنْ خصماً لهذا الرجل الواقفِ في انتظاريَ

الساعةَ بين قبرِه وشفرةِ السيفِ الذي أحملهُ

فما أنا؟

وأيّ شيءٍ جاء بي إليه؟

عمرو: حين يُطلَقُ صقرٌ وراءَ فريستِه

أتراهُ يسائلُ صاحبَهُ فيمَ أطلقهُ خلفَها؟

الحُرّ: فأنا مثلما قلتُ

كلبٌ يُصادُ به

عمرو: بل..

الحُرّ: «مقاطعاً»

رويدَك يا عمرو

لو كنتُ صقراً لأنشبتُ منقاريَ الآن

في جؤجؤي غَضباً

أو لأنشبتُهُ..

أبو حفص: «مقاطعاً»

أينَ يا حُرّ..؟

الحُرّ: في أيّما صخرةٍ يتحطّم من فوقها يا أبا حفص

في أيّما صخرةٍ يتحطّم من فوقها

أبو حفص: أنتَ يا حُرُّ تملُك سيفَك

الحُرّ: أملكُه الآن حتى قرارتِهِ

حدّ أني أحسُّ بهِ يتقوَّسُ ضلعاً على القلب

«ينهض»

ملأتُم وعائي

فعودوا إلى جندكم راشدينْ

وبيني وبينكُمُ لحظةُ

أرِدُ الماءَ أو أتهيَّبهُ

زياد: طوعَ أمرك

«يخرجون.. ويبقى وحيداً»

الهاجس: هيهات

أنتَ المكابرُ لن تشربَ الماء يصَّدّقون عليكَ بهِ

أنتَ تبحثُ عن مائِكَ الآن

لا شيءَ يصدَع لهذا الظما غير مائك

الحُرّ: لولا اهتديتُ لمنبعِه..!

«يدخل عليه ابنه حارث»

حارث: أنعِمْ صباحاً يا أبي

الحُرّ: حارثُ؟

ما أتى بك الساعةَ يا بُنيّ؟

حارث: رؤيا أفزعْتني أيّها الأميرْ

الحُرّ: يا مرحبا يا مرحبا!

أبطالنا تُفزعهُم في غَبشِ الحرب الرؤى!

حارث: تعلم يا أبي لستُ هيَّاب وَغى

لكنني أسمعُ ما يدور حولي... وأرى

الحُرّ: وماذا رأيت؟

حارث: رأيتُكَ تُسلمُ عينيكَ للريح

كفَّيك للريح

حتّى لقد عقَدتْ ساعدَيك ببعضهما عُقدةً

تخلعُ اليدُ جارتَها لو هَممْتَ بها!

الحُرّ: هم... م..

وماذا سمعت؟

حارث: سمعتُ الذي أنتَ تسمعُ من نفسكَ الآن

الحُرّ: «يطرق»

حارث: يا أبتي.. إنني مشفقٌ

الحُرّ: ويْكَ..

تشفقُ أنتَ على مَنْ؟

حارث: على امرأةٍ زارني طيفُها أمسِ يبكي

الحُرّ: عليكَ بكى؟

حارث: بل علينا معاً يا أبي

الحُرّ: فهي أمُّكَ

هل قال شيئاً لكَ الطَّيف؟

حارث: كنتُ مستلقياً يقظاً بعدُ

حين سمعت نشيجاً توهّمتُه الريح

أصغيتُ..

كان الصّدى يدنو

يمكن أن أخطئَ وجهي

لكني لا أخطئ هذا الصوت

وسرَتْ بي قشعريرةٌ حينما انحسر الليلُ عنها

قطُّ لم أرَ في وجهِها هلَعاً كالذي لاحَ فيه

«خلال ذلك يلوح وجه الأمّ تدريجياً في أفق المسرح، حتى يظهر جلياً»

الأمّ: أي ولدي

أي ولدي

أي ولدي

أعلمُ أنّي بعدَ هذا الليلِ لن أراك

ولن أرى أباك

أعلمُ أنّي سأكونُ أثكلَ الثَّواكلْ

وأفجعَ النساءِ يُتماً

وأقلَّهنَّ بارقاً

أذلَّهنَّ طارقاً

لكنَّني جئتُ إليكَ أحتمي من هلَعٍ

أكبر من فَجيعتي الموشِكه

أي ولدي

إنْ كان لا بدَّ لكلِّ الماءِ أن يَغيضْ

إن كان لا بدَّ لهذا الدم أن يَفيضْ

فلا تكونا أنتما السيفَ الذي يضربُهُ

ولا تكونا أنتما الرَّملَ الذي يشربُهُ

إني سمعتُ هاتفاً

الهاتف: «صوت مليء بالرهبة يُسمع من عمق المسرح، وكأنه آتٍ من المجهول»

سيُقتَل الحسينْ

وسوفَ تبقى هذهِ العلامهْ

كلُّ السيوفِ الوالغاتِ في دمِهْ

كلُّ الرِّمالِ الشارباتِ من دمِهْ

قانيةً تبقى إلى القيامهْ

قانيةً تبقى إلى القيامه

«ينتهي الصوت ويختفي وجه الأمّ من المسرح»

حارث: وبعد ذاك يا أبي سمعتُهم يبكون

الحُرّ: مَنْ ويحكَ؟

حارث: كلُّ الفقراءِ يا أبي

كلُّ اليتامى..

كانت السماءْ

تنشقُّ عن عويلهم ويهمرُ البكاءْ

طولَ الليلْ

ينهمرُ البكاء

كورس أطفال: «صوت من خلف المسرح»

حسين

يا حسين

يا موثَقَ اليدَينْ

يا مطلَقَ اليدَيْنْ

بعدَكَ سوفَ تُطفأ الشموعْ

وتكثرُ الدموعْ

وكلُّنا نعرى

وكلُّنا نجوعْ

يا حسين

يا حسين

يا حسين

«المسيح يظهر مصلوباً في أفق المسرح»

صوت المسيح:

لأني فرّقتُ في الناسِ لحمي

لأني حملتُ عذاباتِهم

لأني تَسميَّتُ باسمي

«يختفي المسيح.. يظهر تشي جيفارا قتيلاً في أفق المسرح»

صوت جيفارا:

لأنَّ المسافةَ بين الرصاصةِ والقلبِ ضيقةٌ

لأنَّ الذي يقطعُ الدَّربَ بين القتيلِ وقاتلِهِ

شاهدٌ وقتيلْ.

صرتُ في زمني الشاهدَ المستحيلْ

«يختفي جيفارا، يظهر المعمدان مقطوع الرأس في المسرح»

يوحنا: ملعونٌ مَنْ يُمسكُ للقاتلِ جذعَ المقتولْ

ملعونٌ مَنْ يخدعُ إنساناً عن عينيه

أو عن كفَّيه

ملعونٌ مَنْ يأمنُ ذئباً في مرعى

يا أولادَ الأفعى

ألفَي عامٍ أبحثُ عن رأسي بين الأكتافِ

وبينِ الأرؤس

كم جسداً مثلي يسعى؟

طفل: يا يوحنا خُذْ مني شفةً

طفلة: يا يوحنا خُذْ مني عيناً

رجل مقطوع: يا يوحنا..

الرأس: ارشدْ كتفيَّ إلى رأسي

يوحنا: كم جسداً مثلي يسعى

كم جسداً مثلي يسعى

كورس: «الصوت يُسمع من وراء المسرح»

يا حسينْ

يا حسينْ

عهدٌ علينا يا حسين يوم الظما أن نتبعَكْ

بينَ بينْ

بينَ بينْ

ويلٌ لمَنْ هم بينَ بينْ ليسوا عليك أو معك

صوت[1]: يا بلاد الظما

والشجيراتُ خلفَ الظما تستريحُ

لم أعدْ سُلَّما

حاصرتْني العيونُ بأوجاعها

والزمانُ الجريحُ

الحُرّ: لا، لن تكونَ سُلَّماً يا حُرُّ

لن تقطعَ رأسَ المعمدانِ مرةً أخرى

(1) الأبيات للشاعر فوزي كريم.

ولن تُعلّقَ المسيحْ

«منادياً»

يا مَسعَدهْ

«يدخل الربيئة»

الربيئة: لبَّيكَ

الحُرّ: أرشِدْني إلى مَرابِض الحسينْ

«إلى حارث»

وأنتَ يا حارثَ

أسرعْ لزياد وأبي حفصٍ وعمروٍ

يتبعوني

«لنفسه»

لم أعدْ سُلَّماً

حاصرتْني العيونُ بأوجاعها

والزمانُ الجريحُ

والآن يا حسينْ

هامةُ هذي الشمسْ

أدنى إلى سيفيَ من رأسِكْ

«ستار»

الفصل الثاني

الوقت: مساء، بعد شهر واحد من مقتل الحسين

المكان: بيت الشمر بن ذي الجوشن

الأشخاص: الشمر، مالك وسهيل؛ من رجاله

الهاجس: الصوت الداخلي للشمر.

الصوت: صوت الشمر في أحداث الطف

ملاحظات:

المسرح جزءان:

* الحاضر: حيث الشمر وجماعته

* الماضي: حيث صوت الشمر وجماعته وأحداث الطف

* كلّ الأصوات، وكلّ الأشباح، يراها ويسمعها الشمر وحده

* في الفصل صوتان: هاجس الشمر، وصوته

سنميّز الصوتين عن بعضهما بتسمية صوت الشمر «الصوت»، والآخر «الهاجس»

الهاجس: لماذا؟

لماذا؟

لماذا؟

لماذا؟

الصوت: كفٌّ بلونِ القار

فيها إصبعٌ بيضاء

لو كانت يدي لأفزعتْني

صوت طفل: عطشانْ..

الصوت: «مواصلاً»

هذا الصَّفاءُ المطمئنُ

هذه النظرةُ النبيّةُ العينينْ

أكرهُها

صوت طويل: آه...

أصوات أطفال: النار

النار

النار

صوت امرأة: وا حسيناه

الشمر: «منتفضاً من شروده»

مَنْ التي تندبْ؟

مالك: هل.. سمعت شيئاً؟

سهيل: وَيْ..

أسبوعٌ وهذي الريحُ لا تهدأ

الشمر: «متلفتاً إليه بغضب»

كلُّكم صُمٌّ إذنْ

أرسلوا رجلاً يتحرّى

مالك: يا شمرُ

تدري أنّنا مُذْ قُتِلَ الـ...

الشمر: «مقاطعاً بهياج»

مَنْ؟؟

مالك: «مستدركاً»

مذ رجعتَ منذُ شهرٍ

وكما أمرتَ

أنفذْنا العيون بين كلِّ الناسْ

سهيل: أوصينا ألّا تندبَ ثاكلةٌ

أو يعلو صوتُ بكاءٍ

أو..

الشمر: «مقاطعاً»

يكفي

صوت طفل: عطشان

«بكاء طفل»

صوت طفل: عطشان يا حسين

عطشان يا حسين

صوت 1: سأسكتُهُ

ناولني يا حنظلةُ الماءَ

لأغمسَ هذا السَّهمَ بهِ

صوت طفل: عطشان..

صوت 2: لا تَعْجَلْ

هذا السهمُ المبتَلُ سيملأ أحشاءكَ ماءً

والآن

هاك اشربْ

«صرخة طفل»

الهاجس: لماذا؟

لماذا؟

لماذا لماذا؟

الصوت: أئمَّهْ

جميعُهم أئمَّهْ

بعد غدٍ سيُثقلونَ الأرضَ بالتّقوى

الهاجس: لكنَّهم أطفالْ

ما ذنبُهُم؟

الصوت: ما ذنبُهُم؟؟

أتراني أقطِّرُ هذي المرارةَ

أعصرها من حناجرِهم

بطَراً؟

لا

وخَسِئتُ إذا كنتُ أفعلها

إنَّني بدماءِ حناجرِهم

سأكدِّرُ هذا البياضْ

أرغمُ هذي الإصبعَ المُريبهْ

أن ترتدي لونَ اليدِ التي عليها نبتَتْ

أجعلها سوداءَ حتى العظم

سوداءَ حتى العظم

سوداءَ حتى الـ..

«يختفي الصوت، بينما تظهر في أفق المسرح كفّ سوداء، سبّابتها بيضاء.. السبّابة تشير إلى الشمر»

الشمر: «ينتفض من مكانه مفزعاً، ويتّجه إلى الكفّ»

ها أنت ذي

بيضاء حتى العظم

تخترقين الباب والجدارْ

وتملأين الدارْ

تروّعينَ يقظتي

تروّعين نومي

ستنبتينَ بين عينَيَّ إلى القيامهْ

بيضاءَ حتى العظم

سهيل: «وهو يهمّ بالنهوض إليه»

يا شمر..

مالك: «يمسك بسهيل مقاطعاً»

دَعْهُ يا سهيلُ حتى تنجلي النَّوبَهْ

الشمر: «وهو يحملق في الكفّ مرتعباً»

أفزُّ جميعي عيوناً

ولكنني مُكْرَهٌ

لو أنَّ اختفاءكِ مرتهنٌ بالعمى

لأنشبتُ هذي الأظافرَ في محجريَّ

إلى أن يسيلَ بياضُهُما كلُّه في يدي

ولكنني مُكْرَهٌ

مُكْرَهٌ

وأحملقُ فيكِ

مُكْرَهٌ

وألاحقُ لونَكِ

لا..

إنَّهُ هوَ

حتى دمي فرَّ

لكنَّ لونَكِ ظلَّ يلاحقني

«وكأنّه يخاطب أناساً يراهم»

كلُّ أصواتِكم

كلُّ آهاتِكم

كلُّ أعينكم تتجمَّعُ حولي

تحاصرني

أريني وجوهَكِ أيتُها الأعينُ اللستُ أبصرُ

إلّا محاجرَها

أفأحملُ أوزاركم كلَّها

وأنا لستُ أعرفُ حتى ملامحَكم؟

«وهو يلتفت في كلّ اتّجاه»

مَنْ أنتما؟

مَنْ أنتما؟

مَنْ أنتَ؟

أنتِ؟

أنتَ

مَنْ؟؟

قتلتُكم أنا جميعاً؟؟

أم تطالبونني بواحدٍ منكم؟

ألستم تملكونَ غيرَ أن تُحملقوا فيَّ؟؟

إذنْ فانفجروا غيظاً

لقد قتلتُهُ

قتلتُهُ

قتلتُهُ

مالك: «ينهض إليه ويمسك به»

يا شمر..

الشمر: «مواصلاً»

قتلتُهُ

قتلتُهُ

مالك: «وهو ممسك به بعنف»

يا شمرُ اهدأ

أجُننتَ تطاردُ أشباحاً؟

الشمر: أطاردُها؟!

أنا محضُ فريستِها يا مالك

مالك: بل صانُعها يا شمرُ

ومُكسبُها حولاً لا تملكُه

ها نحنُ من حولك لا نرى ولا نسمعْ

الشمر: وهل رأيتَ أو سمعتَ أنت شيئاً قبلُ

يا مالكْ؟

إن شئتَ أن تسمعَ يا مالكُ فابحثْ عن حسينٍ آخرَ

واذْبحْهُ

ثم انظرْ إلى يديكْ

مالك: أنتَ الكائنَتْ ترتعدُ الخيلُ إذا صاحَ بها

تتصبَّبُ عرَقاً من خوفكْ؟

الشمر: يا مالكُ يا مالكُ يا مالكُ

تُعيِّر مثليَ بالخوف؟!

ضَعْ قِبَلي الموتَ أفعىً لها ألفُ رأسٍ

أقاتلُها الآنْ

جيشاً بِعَدِّ الحصى

أتقحَّمُهُ

أنْ تقاتلَ شيئاً تراهْ

شيئاً تجرؤ يا مالكُ أن تضربَهُ

أن تُرهِبَهُ

لكنْ،

أن تصبحَ، تُضحي، تُمسي

منهوباً

ماخوذاً بعيونٍ دون محاجر

أصواتٍ أغلقُ أذنيَّ فتصرخُ

من داخلِ جمجمتي

وهذي الكفُّ

هذي الإصبعُ البيضاءُ يا مالك

مالك: هَوناً.. هَوناً

لا تسلم نفسك للوهم

فلستَ صغيراً.. يا شمرُ على أن تقطعَ

رأساً

الشمر: ولكنْ

أيّ رأسٍ!

أيّ رأسٍ!

مالك: افرخ من روعك

افرخ من روعك

«وهو يجذبه إلى حيث كان يجلس»

تعال معي

إنَّ عندي حديثاً يغيّر ما نحنُ فيه

الشمر: **«وهما يجلسان»**

أتعلَمُ ما قال لي حينَ..

سهيل: **«مقاطعاً»**

دَعْ عنكَ هذا التَذَكُّر يا شمر

أبعِدْهُ عنكَ ولو لحظةً ريثما تتنفَّس

الشمر: لكنهُ حاضرٌ يا سهيل

إنّهُ حاضرٌ

إنني وأنا أتحدَّثُ عنهُ لكم

أتشاغلُ عنهُ بهِ

أفتفهُم هذا سهيل؟

أتفهمُهُ؟

أنْ تتحدَّثَ عن موتِكَ حتى تألفَهُ؟!

أنْ توهمَ نفسَكَ أنَّكَ لستَ وحيداً؟

تُودعَ خوفَكَ عندَ صديقٍ.. جارٍ

إنسانٍ تعرفُهُ؟

تَفهمُ معنى هذا؟؟

سهيل: أفهمُهُ

مالك: إنّا أكثرُ مِن إنسانٍ تعرفُهُ يا شمرُ

فأودِعْنا وتخَفَّفْ

الشمر: تنفضُ الغيمةُ المدلهمَّةُ أمطارَها

وأنا مثلما البِير

البراكينُ تُفرغُ أجوافَها ثم تهدأ

وأنا مثلما البيرْ

كلَّما أخرجوا منهُ يزدادُ عمقُا

كلَّما أخرجوا منهُ يطفحُ بالماءِ

كلُّ شيءٍ سَيَبرِدْ

وأنا تتناسلُ في جوفي النار

أزفرُها ثمَّ تنهض

أزفرُها ثم تنهض

أزفرُها..

«طرق على الباب»

سهيل: مَنْ بالباب؟

صوت من الخارج:

شيخٌ يسألُ معروفاً

الشمر: أدخلْهُ يا سهيل

أدخلْهُ يا سهيل

عَجِّلْ

سهيل: «ينهض متجهاً إلى الباب ليفتحه»

الشمر: «مواصلاً»

شهرٌ ولا يقربُنا أحدْ

شهرٌ وهذي الباب لا تطرقُها إلّا أكُفُّ

الريح

«يدخل شيخ بادي الإعياء»

الشيخ: السلامُ عليكم

الحضور: وعليك السلام

مالك: استرحْ

«الشيخ يجلس»

مالك: حيَّاك الله

الشيخ: وحيَّا هذي الدار وصاحبَها

الشمر: لو يسمعُ منكَ اللهُ دعاءكَ هذا

الشيخ: «بشيء من الاستغراب»

إنَّ اللهَ سميعٌ يا ولدي

الشمر: ومجيب؟

الشيخ: «باستغراب أشدّ»

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

الشمر: «مع نفسه وهو مطرق»

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

«منادياً»

يا وهب

يا وهب

وهب: «وهو يدخل»

لبيك

الشمر: أحضرِ الطعام

وأصلحوا للشيخِ موضعاً ينامُ فيه

الشيخ: لو شربَةُ ماءٍ عافاكَ الله

إني عطشانْ

عطشانْ

«أصداء كلمة «عطشان» تتردد في جميع جوانب المسرح، وتتضخم تدريجياً، بينما وهب يخرج»

«الشمر يبدو مأخوذاً»

صوت طفل: عطشانْ

«بكاء طفل»

صوت طفل: عطشان يا حسين

عطشان يا حسين

صرخة طويلة: آه....

الشمر: **«مع نفسه»**

أيُّ داعٍ أحرُّ وأوجعُ منكَ دعاءً؟

أيُّ داعٍ به بعضُ ما بِكَ من حاجةٍ

لطمأنينةِ الروحْ؟

تتمرَّغ مثل اللديغ يضجُّ بهِ السُّم

مثلَ اللديغ يضجُّ به السُّم

يا حرقةً ليس تهدأ

يا هلعاً ينتهي ثمَّ يبدأ

ينتهي ثمَّ يبدأ

ينتهي.....

سهيل: «مقاطعاً»

اتّقِ اللهَ في نفسِكَ الآن

عندكَ ضيفٌ، تشاغلْ بهِ

الشمر: كنتُ أحوجَ أن أتقّي الله في هذه النفسِ

ساعتَها يا سهيل

كنتُ أحوجَ أن أتّقي اللهَ ساعتَها

غيرَ أنيَ كابرتُ..

لا..

لم يكُ الكِبْر.

أذكرُه

كنتُ أنضحُ بالخوف

حتى لقد كان في وسع خوفي أن

يذبحَ الأرضَ أجمعَها

«يلتفت إلى مالك»

ويلٌ لك مِن خصمِكَ يا مالكُ حينَ

يُجرَّؤُه الخوفْ!

مالك: لكنَّك كنتَ الأقوى

الشمر: هيهاتْ..!

أنا أيضاً أخِذتُ بهذا التَّوهُّم

كان ورائي ثلاثون ألفاً

أتحسبُني كنتُ أقوى من الجيشِ أجمعِهِ؟

كنتُ أشجعَ منهُ جميعاً؟

كلُّهم أحجموا

وهو فردٌ يجودُ بأنفاسِهِ

وتقدَّمتُ..

كنتُ ضحيَّتَهم

وضحيَّةَ خِسَّتِهم كلِّها

الآن يا مالكُ أدري فيمَ تلدغُ العقربُ نفسَها

إذا ما حُوصرَتْ

كنتُ محاصراً بهم

كانوا جميعاً يندبونني لقتلِ خوفِهم

«يحضر وهب حاملاً جرّة ماء وقدحاً... يصبّ للشيخ ماء»

الشمر: «مواصلاً»

وحملْتُ مخاوفَهم كلَّها

كنتُ فرداً تحمَّل خوفَ ثلاثينَ ألفاً

وتحمَّل جُبنَ ثلاثين ألفاً

وبهذا قَتلت

الشيخ: «وهو يردُّ الماء مجفلاً»

أنت ابنُ ذي الجوشَنْ؟

الشمر: «ملتفتاً إليه»

أجل

فهل أدخلَ شكلي الرَّوعَ في قلبِكْ؟

الشيخ: كلا

الشمر: إذن فيمَ رددتَ الماءَ؟

الشيخ: كان غيري أولى به

الشمر: فإذا فاتَ غيرَك

ترفضُهُ أنت؟

الشيخ: لي أسوةٌ

الشمر: «بعد إطراقة قصيرة»

لو أحسنتَ إلينا وإلى نفسِكَ في هذا الماءْ

الشيخ: «متعجباً»

أأصدِّقُ أنك تُلحِفُ كي تسقيَ عطشاناً؟!

الشمر: اشربْ لِتَصدِّق

الشيخ: يا عجباً!

الشمر: ماذا على مثليَ أن يفعلْ

أأحملُ الفراتَ فوقَ ظهري؟

أطوفُ في الناسِ

أنادي:

أيُّها الناسُ اصنعوا بالشمرِ معروفاً

فقد جاء وفوقَ ظهرِهِ الفراتْ؟

الشيخ: أتكابرُ؟

أم تتنَدَّرُ؟

سهيل: ويلك

الشمر: صَه يا سهيل

الشيخ: «مواصلاً»

وهَبْك فعلتَ الذي قلتَهُ صادقاً..

مَنْ سيقربُ ماءك؟

إنَّها ريبةٌ في مروءةِ مائكَ يا شمر

ريبةٌ صار حتى الفراتُ بها موحشاً

الشمر: أو أفسدتُ حتى مروءةَ ماء الفرات؟

الشيخ: أنت سوَّغت للناس أن يلعنوا الماء

سهيل: «بغضب»

وَي..

أصبحَ السكوتُ عنكَ غصَّةً

الشمر: تسكتُ يا سهيل

أريد أن أسمعَ هذا الشيخ

شهرٌ وجسمي كلُّه يضجُّ بالورمْ

شهرٌ وجرحي تضمدونَهُ على الصَّديدْ

أريدُ أن أسمعَ صوتاً واحداً يفتحُ هذا

الجرحْ

ولْيكُ ما يكونُ يا سهيلُ

ولْيكُ ما يكونْ

الشيخ: لا تَلُمْ صاحبيكْ

فهما أكثرُ الناس علماً بما أنت فيه

وأما أنا فلستُ بمُغنيكَ شيئاً

الشمر: أنتَ تُسمعُني صوتَ نفسي

الشيخ: فنفسُكَ تُغنيك

«وهو ينهض»

معذرةً

اتَّقي اللهَ فيكَ وفي نفسيَ الآنْ

الشمر: يا هذا

بِتْ ليلَك لا تطعمْ إنْ شئتَ ولا تشربْ

شيئاً

الشيخ: أطعمْ إنْ بتُّ هنا ندماً يا شمرْ

فأعتِقْني من إحسانِكَ هذا

أنا لم أر وجهَ قتيلك

لكنّي أحسْستُ الساعةَ أني أبصرُهْ

«يخطو نحو الباب»

الشمر: وكيف إحساسُك يا شيخُ به؟

الشيخ: «يتوقّف ويلتفت إليهم»

كأنّني ممتلئٌ بالماءْ

كأنّني ممتلئٌ بالماءْ

«يرين وجوم على الحضور، الشيخ يبلغ الباب ثم يلتفت»

الشيخ: تعلمُ ماذا حلَّ بالفراتِ يابنَ ذي الجوشنْ؟

مالك: «متهكماً»

هل جفَّ؟

الشيخ: لا

لكنَّني سمعتُ أنَّ صائحاً ينهضُ من مياهِهِ

في الليلْ

الشمر: منذُ متى؟

الشيخ: مُذْ قُتِلِ الحسينْ

وهو ينادي كلَّ ليلةٍ بهذا الصَّوتْ:

«يسمع صوت تلاطم أمواج»

صوت: يا أيُّها النيامْ

هذا أنا الفراتْ

مَفازةُ العَطشْ

رواسبي دماءْ

ورغوَتي دماءْ

وأنتَ كلُّ الماءْ

«صوت تلاطم أمواج»

واصغَري لديكَ يا حسينْ

واعطشي اليكَ يا حسينْ

كلُّ مياهي لا تُندِّي شفةً ظمأى

وسوف تسقي بكَ آلاف من السنين

عطاشا

فاجعلْ لمائي حصَّةً في مائكَ القادمْ

اجعلْ لمائي حصةً في مائكَ القادمْ

لعلَّني أبرأ يا حسينْ

لعلَّني أبرأ يا حسينْ

«ينقطع الصوت، ويكون الشيخ قد اختفى.. يبقى صوت تلاطم الأمواج الذي يهدأ تدريجياً حتى يتلاشى»

الشمر: **«مذهولاً»**

هل ذهب الشيخ؟

سهيل: أجلْ

الشمر: كأنَّما جاءَ به الليلُ نذيراً عاجلاً وابتَلَعَهْ

«يطرق.. ثمّ، كأنه يحدِّث نفسه»

سوف يجيء ماؤهُ القادمْ

ليُبْرئ الفراتْ

مالك: تُسرفُ حتى في تأويلِ كلامٍ ليس لهُ معنى

الشمر: ليس له معنى يا مالكْ؟

مالك: ستُرينا الأيامْ

الشمر: أو أكثرَ مما أرتْنا؟

صرتُ أشحذُ حتى الشَّتيمةَ

حتى الشتيمة أشحذُها

مالك: لا أصدِّقُ أذْنيَّ

مَنْ كان يجرؤ أن يتكلَّمَ حين تكونُ مهيضاً

أنتَ جرَّأتَ حتى الصعاليك أمثال هذا عليك

الشمر: أتسمِّي هذا صعلوكاً يا مالكْ؟

أنتَ لم تَشهد الحُرَّ حين انبرى وحدَهُ

ليقاتلَنا

«مشهد جانبي تسمع خلاله أصوات المعركة»

«الحُرّ، أبو حفص، آخرون»

أبو حفص: أما كفاكَ أنَّكَ اعتزلتَها يا حُرّ؟

أنتَ ما أرقتَ للحسين أو لصحبِه دماً

فما الذي تُنكرُ مِن نفسِكْ؟

الحُرّ: أتجَهَدُ في أن تُبرِّأني يا أبا حفص؟

مَنْ قادَهُ للهلاك إذنْ؟

مَنْ أصرَّ على منعهِ أن يعودَ إلى أهلهِ

في المدينه؟

أوَ لستُ أنا؟؟

مَنْ حالَ بينَهُ وبين الناس في الكوفه؟

مَنْ الذي أسلَمَهُ لهؤلاء؟؟

بَرِّئْني أبا حفصٍ إذا استطعتْ

أبو حفص: كان سيُقتَلُ في كلِّ الأحوالْ

الحُرّ: حتى ولو قوتِلَ دونَهُ بألفِ سيفْ؟

أبو حفص: ماذا تعني يا حُرّ؟

الحُرّ: فات الأوانُ يا أبا حفصٍ

تأخرنا كثيراً

لم أعدْ صاحبَ هذهِ السيوفِ الألفْ

كنتُ بها أملكُ أن أسحبَ أيَّ غيمةٍ أشاءُ

من شَعْفَتها

أنزلها للأرضِ قَسراً

وأقولُ: أمطري

كنتُ بها أملكُ أن أقصمَ ظهرَ الريح

أو تجري كما أريد

لكنَّني أحجَمْتُ ساعتين

تَعلمُ ما معيارُ ساعتينْ؟!

«يتناول أبو حفص درعه»

خُذْ درعي إليكَ لا أريدُها

أبو حفص: يا حُرّ

الحُرّ: «إلى قومه»

أنتم جميعاً أبرياءُ من دمي

«يلتفت إلى الآخرين»

وأنتم أيُّها الـ...

كيف أنعَتُكم؟

أيُّ مفرَدَةٍ سألوّثُها بكم الآن

تبقى ملوَّثةً للقيامهْ

لا سقى اللهُ عطشانكم

فيمَ بايَعتُموه؟

فيمَ أرسلتُم الرُّسْلَ تدعونَهُ

ثمَّ أعطَشتُموه؟

ثم أسلَمتُموه وأطفالَهُ للأسنَّه؟

صوت من عسكر الشمر:

أنادماً يا حُرّ؟

صوت آخر: أنتَ الذي أسلمَهُ

ونِعْمَ ما فَعلتْ

الحُرّ: أمَّا نَدَمي

فلأنّي كنتُ صباحاً أعطَش خلق اللهِ

وأبصرتُ الماءَ فلم أشربْ

ولأنّي كنتُ صباحاً أملكُ كلَّ نَواصيكم

لو كنتُ غضبتُ

ولكّني استسلمتُ إلى الحزنِ ولم

أغضبْ

يا أولادَ العقربْ

يوماً ما ينجابُ الليلْ

ويجيء السَّيلْ

ستحاسبكم حتى أطرافُ أصابِعِكُم

وسيلعنُ آخركُم أوَّلكَم

ستقولون خُدِعنا

وتقولونَ جَزعنا

وتقولون تقولون

ولكنِ جرّأتم أنفسكُم حتى أطفأتم

ضوءاً من أضواء الله

الويلُ لكم

كنتُ عدواً وتهيَّبتُ إراقةَ هذا الدَّمْ

صوت من العسكر:

والآن غدوتَ صديقاً؟!

«ضحك»

آخر: يا قوم

الحُرُّ فاءَ تائباً للحسينْ

الحُرّ: بل إنَّهُ لَدَينْ

صوت: عَجِّلْ إذنْ

الحُرّ: «وهو يشهر سيفه»

ها أنذا!

ها أنذا والموتُ نُصْبَ عيني

يعْلـقُ بالأرجـلِ واليَديـنِ

فـي عُنقـي دَيـنٌ وأيُّ دَيـنْ

أردُّهُ السـاعةَ للحسـينِ

«يهمّ بالخروج»

أبو حفص: يا حُرّ

قِف لحظةً

لقد أردتَ ماءْ

الحُرّ: «وهو يغادر المسرح»

هيهات

إنَّ الحسين ماءْ.. إنَّ الحسين ماءْ

إنَّ الحسين ماءْ

«يختفي المشهد»

الشمر: أكرهُهُ

مالك: لماذا؟

الشمر: رأيتُهُ ممزَّقاً

مُلقىً على الرمالْ

وكانَ في مفازةِ العَطَشْ

كأنَّ في عينيهِ غيمَتَينِ تُمطرانْ

أكرهُهُ

أكرهُهُ

مالك: «إلى سهيل»

أأبصرتَ مقتله يا سهيلْ؟

سهيل: شهدْتُ مقاتلَهم كلَّها

مالك: كيف ألفيتَهم؟

سهيل: لم يكونوا سوى نَفَرِ

أنفقوا موتَ جيشٍ بأكملِهِ

مالك: والحسينْ؟

سهيل: «مباغتاً»

مالك!

الشمر: ما خطبُكَ يا سهيلْ؟

تخافُ أن تسمعَ هذا الاسم؟

أم تُشفقُ أن أسمعَهُ أنا؟

إنّي أنا قاتلُهُ يا سهيلْ

قاطعُ رأسِهِ أنا يا سهيلْ

فما الذي تخافُهُ عليّ؟

شهرٌ وما أزالْ

أرى بعيني جسداً لا رأسَ لَهْ

ينهضُ كلَّ ليلةٍ

يطوفُ في الشوارعْ

أبصرُ كلَّ ليلةٍ رأساً عظيماً يتدلّى

يعبرُ السطوحْ

يلصقُ بالأبوابِ والنَّوافذْ

يبحثُ عن أكتافِهِ

أراهما يقتربان حدَّ أنْ يلتقيا

حتى إذا كادا

يموجُ الدَّمُ في الأرجاءْ

ثم أرى سيفي وكفِّيَ وقد علتْهُما الدماءْ

فما الذي تخافُهُ عليَّ يا سهيلْ؟

«يلتفت إلى مالك»

سأشفي غليلَكَ مالك

شهرٌ وأنتَ تحاولُ أن تَتقرَّى

أحسُّ بعينيكَ، كفَّيكَ

شكلِ اختلاجِةِ وجهَك

أسمعُ صوتَ لُهاثِكَ يركضُ خَلْفَ التفاصيل

أعلمُ أنكَ تبحثُ عن لحظةٍ

مالك: «مقاطعاً»

إنَّني لستُ

الشمر: «مقاطعاً»

لا تعتذرْ

أنا أيضاً أحاولُ أن أتحرَّر مِن هذه

اللحظةِ الآن

شهرٌ وأنا أحفظُها يا مالكُ سرّاً

أملكُ منها ما لا يملكُه أحدٌ

مالك: ماذا يا شمر؟

الشمر: أسئلةً

مالك: أسئلةً؟!

الشمر: لا يسألُها إلا مَنْ يقطعُ رأسُ حسينٍ آخر

مالك: ما أوّلها يا شمر؟

الشمر: «يحملق في وجه مالك مأخوذاً، بينما صدى السؤال التالي يأخذ بالتضخم طالعاً من جميع جوانب المسرح»

لماذا؟

لماذا؟

لماذا؟

لماذا؟

«يخفت الصوت تدريجياً»

الشمر: «شارداً»

لماذا؟

لماذا؟

مالك: لماذا؟

الشمر: كلَّ يومٍ أجرّئُ نفسي

أقول:

إذا كان لا بدَّ من موتك الآن يا شمر

فاعرفْ على أيِّما قِبلةٍ ستموت

ثم أمسكُ هذا السؤال

أثبّتُه نُصْب عيني

وأجمع نفسي جميعاً

أواجهُهُ

كي أردَّ عليه

ولكنَّه يتَشعَّبُ مالك

يورقُ.. يورقُ

حتى يصيرَ ألوفاً من الأسئلهْ

«يطرق لحظة ثم يواصل»

كنتُ أرفعُ سيفي لأقطعَ بلعومَهُ

كان مُلقىً على الأرضِ

جرحاً كبيراً...

توهَّمتُه ميّتاً

فجأةً

فكَّ عينيه

مالك..!

لم أرَ قطُّ احتجاجاً كعينيه!

لحظةً.. لم نكنْ غيرَ هذين:

قاتلاً خائفاً

وقتيلاً يلاحقُهُ

محضَ عينين!

مالك: ما قال شيئاً؟

الشمر: بلى

كِلْمةً واحدهْ

«لماذا»

لم يكنْ خائفاً قدْر ما كانَ مُستنكِراً

للحظةٍ

أحسسْت أنَّ كلَّ ما في الأرضِ

مِن سيوفْ

تعجزُ أن تقطع رأسَهُ..

نظرتُ بين عينيهِ سليباً مُفزَعاً

مالك: أجبتَهُ؟؟

الشمر: بدونِ وعيٍ

هكذا..

قلتُ لهُ:

لأنني أكرهُكْ

هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ

هذي النظرةُ النبيَّة العينينْ

أكرهُها

قلت:

إنَّك عبءٌ من الطُّهرِ

تكرهُك الأرض

إذْ أنتَ تفضحُها

إنما محنتي بكَ أضعافُ محنتكَ الآن بي

أنا مَنْ شاءَ لي سوءُ حظيَ

أن أبتلى بإزالةِ كلِّ المروءةِ

عن كاهلِ الأرض

«لحظة صمت»

مالك: ثمَّ؟؟

الشمر: أشحتُ بوجهيَ عن وجهِهِ

وبكلتا يديَّ شددْتُ على السيف

كان خوفي يكبرُ.. يكبرُ

حتى غدا ضعفَ حجمِ توجُّعِهِ

فتمكَّنتُ

أنهيتُ آلامَهُ

واحتفظتُ بخوفيَ يكبرُ من يومها

«لحظة صمت»

ثم رافقَني رأسُهُ

رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم

وشعورُ النساءِ وأصواتُهنَّ

الصراخُ العويل...

وقد كنتُ وحدي

غريباً عن الجيش أجمعِهِ

حاملاً رأسهُ فوقَ رمحي

وتبيَّنتُ في أوجُهِ الجُندِ

أنيَ شيءٌ يخافونهُ

يتحاشونَهُ

وأقولُ لكَ الحقَّ مالك؟

كنتُ أحسُّ كراهيةَ الجندِ لي

مالك: محضُ وهمِكَ

الشمر: لا

«مشهد من المسيرة برأس الحسين، صراخ وعويل وبكاء ولغط»

أحد الجنود: تعالَ هنا يا حُذيفةُ

مالَك تحشرُ نفسكَ في موضعٍ

لستَ صاحبَه

الجندي الثاني: إنَّني أتأمَّل وجهَ الحسين

فما كنتُ أبصرتُه قبلَها

الأول: شامتاً يا حذيفةُ؟؟

الثاني: لا والذي خلق الخلْق

إنّي أحسُّ له رهبةً يدخلُ الجلدُ

في اللحم مِن هَولِها

الأول: فتجنَّبْ إذنْ.

«يضع يده على كتفه ويبتعد به»

يا حذيفةُ، أنتَ أخي

أخشى عليكَ أن تكونَ مسقطاً لظلِّ

هذا الرأس..

دعْ مَنْ قطعوهُ يحملون وزرَهُ

هيّا بنا

وكُنْ بعيداً ما استطعتَ عن ظلالِ

الشمر

«مشهد آخر من المسيرة نفسها»

جندي 1: تعجَّلْ.. تعجَّلْ

جندي 2: علامَ حماسُكَ؟

جندي 1: نشهدُ كيف لقاءُ الخليفةِ للشمر

لا شكَّ يُثقلُه ذَهباً

جندي 2: ليس أثقلَ من حملِه الآن!

جندي 1: ماذا؟

جندي 2: «مستدركاً»

أقول: وما شأننا نحنُ.

نغرمُ في الغُرْم

أما إذا غَنموا

فغَنائمهُم بينهم

جندي 1: أراهنُ أنَّ يزيد سيُثقلُهُ ذَهباً

«يختفي المشهد»

الشمر: «وهو يضحك ضحكاً هستيرياً»

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

«مشهد جانبي»

صوت الشمر: املأ ركابي فضَّةً أو ذَهبا

إني قتلتُ السيدَ المُحجَّبا

وخيرَهم مَنْ يذكرون النَّسبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أمّاً وأبا[1]

صوت يزيد: أتزايد يابنَ اللئيمةِ؟

إنْ كنتَ تعلمُ مِن أمره ما ذكرْت

فكيفَ قتلتَه؟

أُخرجْ

(1) الأبيات لشمر بن ذي الجوشن

فما لَك عندي سوى نقمتي

إنْ رأيتُك ثانيةً

«يختفي المشهد»

الشمر: «وهو يواصل الضحك بصورة هستيرية»

أثقلَني يزيدُ بالذَّهب

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

«تتحول ضحكته إلى ما يشبه العويل»

أثقلَني يزيدُ بالفقرِ وبالجريمهْ

أثقلَني بالفقرِ والجريمهْ

بالفقرِ والجريمهْ

منبوذٌ كالجملِ الأجربْ

منبوذٌ لا يقربُني إلا مَنْ لا يعرفُني

والشامت المُشفقْ

منبوذٌ منبوذٌ منبوذٌ

سهيل: «إلى مالك»

«بينما الشمر ـ وقد عاودته النوبة ـ ينهض متّجهاً إلى أشباح لا يراها أحد»

لقد كنتُ أخشى مغبَّة هذا التَّمادي

وأسكتّني حينَ حاولتُ..

مالك: «مقاطعاً»

حاولتَ ماذا سهيل؟

أتوهِمُ نفسَك؟؟

مُرْ هذه الريحَ أن تهدأ الآن

إنَّ الذي فيه هذي الرياح

فهل في يَديك أعنتُّها؟!

الشمر: تعالي املئي وحدتي يا عيونَ الذين

تمرَّغتُ في دمِهم

يا شَخيرَ حناجِرهم

يا بكاءَ الصغار

ويا صرخاتِ الثكالى

بدّدي وحشةَ الصمتِ حولي

فإنّي وحيدٌ وحيدٌ وحيدٌ..

«ستار»

الفصل الثالث

الزمان: الوقت الحاضر

المكان: الكوفة.. أيّ مكان يمكن أن يجتمع فيه الرجال.

الكورس: يختلفُ الماءْ

تختلفُ الأوجهُ والأسماءْ

لكنْ مثلَ دِلاءِ الناعورْ

تتشابهُ وهيَ تدورْ

تتشابكُ وهيَ تدورْ

المسيح: **«مصلوباً عرض خلفية المسرح»**

لأنيَ فرَّقتُ في الناسِ لحمي

لأني حملتُ عذاباتِهم

لأني تسمَّيتُ باسمي

المسيح: **«مصلوباً أسود»**

لأني فرَّقتُ في الناسِ لحمي

المسيح: «مشنوقاً»

لأنّي حملتُ عذاباتِهم

المسيح: «مقتولاً بالرصاص»

لأني تسمَّيتُ باسمي

«أصوات من جميع أرجاء المسرح»

لأنّي فرقتُ في النا...

لأنّي حملتُ...

لأنّي...

لأنّي...

لأنّي...

لأنّي...

الكورس: كلُّ زمانٍ يحملُ قَتلاهْ

كلُّ مكانٍ يدفنُ قتلاهْ

والناعورُ يدورْ

يَلدُ الدَّهرُ الأزمانْ

يلدُ الموتُ الإنسانْ

لكنَّ الخوفْ

يَلدُ الطوفانْ

لكنَّ الخوفْ

يلدُ الطوفانْ

«يختفي الكورس»

عمار: «منادياً وهو يدخل على الجمع»

أيُّها الناسْ

هبطَ الغيمُ في أرضكم

هَبطَ الغيمُ في أرضكم

أيُّها الناس

- ماذا يا عمار؟

- ماذا يا عمار؟

عمار: غيمةٌ

غيمةٌ هبطتْ في مَداخلِ أبوابكم

وهي تسألُ

هل مسَّكم عَطشٌ

- أوضحْ يا عمار

- أوضحْ..

عمار: يا أهل الكوفهْ

ألفَ عامٍ تعضُّون فوق أصابعكم ندماً

ألفَ عامٍ وعطشانكم يرفعُ الكأس

يُبصر خيطاً من الدَّمِ في الماء

ألفاً

وأنتم تَخطُّون فوقَ الرؤوس

وفوقَ الظهورِ

وفوقَ الصدورِ

تواريخَ آبائكم

وتقولون يا لَيتَنا

وتقولون لولا...

ولو أنَّنا..

ها هو الآن إنْ كنتُمُ صادقين

- مَنْ هو الـ...

- مَنْ؟؟

- تكلَّمْ

عمار: رسولُ الحسينْ

«يثب إليه جماعة من الحاضرين، في حين يحدث الخبر هزّة عنيفة فيهم جميعاً»

- رسولُ الحسين؟؟

عمار: على مدخل الكوفة الآن هل مَنْ يبايعُه؟

«الحضور ينظرون إلى وجوه بعضهم، وألسنتهم معقودة، في حين يتسلّل بعضهم هرباً»

عمار: قد أتاكم رسولُ الحسين
فهل مَنْ يبايعُه؟

حارث: «وهو يثب إليه»
مهلاً
مهلاً
ما هذا يا عمار؟

عمار: ماذا يا حارث؟

حارث: أسؤالٌ تسألُه؟

عمار: بل خبرٌ أحملُه

حارث: فإذن كنت بشيراً
لكنَّك ما أحسنْتَ البشرى

عمار: أوَ لم أفعلْ؟

حارث: كلّا والله
إنَّها فَرحةُ العُمر
كِدْتَ تحوّلها كَدراً

وتسائلُ:

هل مَنْ يبايعُهُ؟!

لَكأنَّك تدفعُ أمراً يقيناً إلى الشكْ

«آخرون يتسلّلون هرباً»

عمار: «وهو ينظر إليه وإلى المتسلّلين»

هل.. برحَ الشكُّ يابنَ أبي عوف؟

حارث: «يسحبه جانباً»

ويحكَ يا عمار

أوَلم نُجمعْ أمسِ على البيعةِ؟

عمار: بلْ أجمعْنا

حارث: فلماذا تبدو وكأنَّك تستجدي؟

عمار: ويلك!

الأمرُ وصاحبهُ أكبرُ من شتْمِكَ هذا

حارث: فلماذا؟؟

عمار: إنَّك أوَّلَ مَنْ يعلمُ يابنَ أبي عوف

لماذا!

«يطيلان النظر إلى بعضهما»

حارث: «يتّجه إلى الحاضرين»

يا أهلَ الكوفهْ

أوَ ما أجمعْنا أمسِ على البيعه؟

عمار: «بحيث يسمعه الجميع»

أتظلُّ تُعيدُ سؤالَك هذا يا حارثْ؟

تعلمُ أنَّا أجمعنا

لكنْ تعلمُ أنَّا لم نُجمعْ إلا سرّاً

حارث: والآن سنعلنُها

وأنا أوَّلُ مَنْ يفعلُ يا عمار

أوَّلُ مَنْ يفعلْ

عمار: «مع نفسه»

أوَّلُ مَنْ يفعلْ

وستُسلمهُ قبل صياح الدّيكْ!

حارث: «يتّجه إلى مرتفع يقف فوقه، فيقاطعه معتوق»

معتوق: كلا والله

لن يبدأها غيري

آخرون: «ينهضون إليهما»

بل نبدأها نحنُ

آخر: مهلاً يا حارثْ

مهلاً يا معتوقْ

ما هذا؟

هل التبسَ الأمرُ حتى أضاعتْ جميعُ

الرجالِ مواضعَ أقدامِها؟

«يلتفت إلى الجمع»

يا أهل الكوفهْ

هذا شمرانُ الضّاري

هل فيكم مَنْ يجهلُهُ؟

أوسعِوا في الطريق لشيخ الفراتين

لا أحدٌ غير شمران يبدأها

عمار: **«لنفسه، بينما شمران يتّجه إلى المرتفع»**

هكذا دائماً

ألفَ عامٍ وأصواتُكم هكذا

ألفَ عامٍ وأجسامُكم هكذا

تتزاحَمُ حتى لتيأسَ أقدامُ كلِّ الحُفاةْ

أن ترى موضعاً بينكم دون أن تطؤوها

وفي لحظةٍ

يجدُ المستغيثُ بكم نفسَهُ عارياً

وخناجرُكُم تتسابقُ نحو مُقاتِلِهِ

قبل أن يتجاسر أعداؤه

شمران: «وقد استقرّ على المرتفع»

ألا فليستمعْ مَنْ شاءْ

ألا فليستَمعْ مَنْ شاءْ

أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ والَيتُ

بايعْنا الحسين خليفةً

يا قومْ

أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ..

«آخرون يتسلّلون هرباً»

- نحن أيضاً نُبايعُ

- هذي مواثيقُنا نحن

خمسون من بيتِ عبدِ العزيز

«اثنان ينسحبان إلى زاوية المسرح»

الأول: أيَّ رأيٍ ترى؟

الثاني: ما لَنا نحنُ؟

بيعتُهُم بينهم

لك رأسُكَ حمدان

فانجُ به

ثم طأطئهُ بين يَدَيْ مَنْ يكونُ الخليفة..

هيَّا بنا

«يخرجان»

- وعشرونَ من آل نِعمان

حارث: على رسلِكُمْ

- وثلاثونَ من آل عثمان

حارث: مهلاً

دعوني أسجّلُ أسماءَ مَنْ بايعوا

- سَجِّلْ من بيت الأنصاري عشرينْ

- مئةً من آل شهاب الدّين

«يتميّز في المشهد ثلاثة حفاة بائسو المظهر، يتحرك كلٌّ من ناحية»

الأول: هل مَنْ يسمعُني؟

الثاني: هل مَنْ يسمعُني؟

الثالث: هل مَنْ يسمعَني؟

الثلاثة معاً: «يجتمعون إلى بعضهم»

هل مَنْ يسمعُنا؟

- مئتا رجلٍ من بيت ضياء الدين

الثلاثة: ألا مَنْ يسمعُنا

نحنُ ثلاثةُ أشخاصٍ...

- مئةٌ وثلاثون يداً من بيت جلالْ

كلُّ يدٍ فوق زنادْ

الثلاثة: مَنْ يكتبُ عنَّا؟

نحنُ ثلاثة أشخاصٍ لا نملكُ

إلّا أنفسنا.

رشيد: «وهو يدخل على الجمع»

ما هذا؟

ماذا تفعلُ يا حارثْ؟

«بلبلة بين الحاضرين، ثم يسود صمت مطبق»

حارث: كما ترى

نوثّقُ البيعةَ للحسينْ

رشيد: ماذا؟؟

حارث: أقولُ إنَّنا هنا لبيعةِ الحسينْ

ولن يمرَّ اليومُ حتى نجمعَ الرجالَ والسلاحْ

الثلاثة: مَنْ يجمعُ عنَّا هذي الأسماءْ؟

نحن ثلاثةُ أشخاصٍ...

رشيد: «مقاطعاً»

أغلقوا فَمكُمْ

من بيتِ مَنْ أنتم؟

الثلاثة: ليس لنا من بيتْ

رشيد: فباسم مَنْ؟؟

الثلاثة: أسمائنا

رشيد: أنتُم؟!

حارث: رويداً يَا رشيد

رشيد: بل تَرَوَّ أنتَ يا حارثْ

ماذا تراكَ صانعاً بهذه الأسماءْ؟

حارث: قلتُ هي البيعةُ يا رشيدْ

رشيد: حارثْ

لعلَّكَ لم تنسَ أنَّ الحسينَ سيُقتَلُ

بعد ثلاثين يوماً

أصوات من بين الحاضرين:

سيُقتَلُ بعد ثلاثينَ يوماً؟؟

رشيد: وها أنتَ تجمعُ أسماءَ أعوانِهِ

حارث: كيف تجرأ..؟

رشيد: «مقاطعاً»

بل قُلْ لهم حارثْ بن أبي عوف

إنّك قبلَ الصباحِ ستُسلِمُ هذا الرسولَ

لأعدائِهِ ثمَّ يُقتَلْ

أصوات: مكيدةً إذنْ

آخرون: مكيدةٌ مدبَّرةْ

«يهجمون جميعاً على حارث»

هاتِ أسماءنا

هاتِ أسماءنا

عمار: **«وهو يحول بينهم وبين حارث»**

يا قوم

لا تُمكِّنوا عدوَّكم منكم

يا قوم..

المهاجمون: هاتِ أسماءنا

- سعيدْ

انتزع الأسماءَ من يَدَيه

«يتمكّنون من حارث، فينتزعون منه الأوراق»

- هاتِها

- هاتِها

«يخرجون جميعاً»

«يبقى في المشهد عمار وحارث ورشيد والحفاة الثلاثة»

عمار: شوَّه اللهُ أوجُهَكُم

شوَّهَ اللهُ مَنْ يستعينُ بكم

ألفَ عامٍ تُمنّونَ أولادكم

ألفَ عامٍ يشبُّ الرَّضيعُ بأحضانِ نسوتِكُم

وهو يحلمُ أن يرتدي كفناً

ليُقاتلَ عن شرفٍ باعَهُ أهلُهُ

كيف يدخلُ داخلُكُم بيته الآن؟

«يلتفت إلى الحفاة الثلاثة»

وأنتُمُ

يا أيُّها الحفاةُ حتى ساعة القيامهْ

يا مَنْ تجيؤون وتمضون ولا يعلقُ في ثيابكم

من أجرِها قُلامهْ

من ألفِ عامٍ وأنا أرقبُ

لو يسألُ منكم واحدٌ عن وجهةِ السَّلامهْ

لكن تجيؤون وتمضون..

ويبقى موتكُم في جبهتي علامهْ

هيَّا بنا

يا خير مَنْ تحملُ هذي الأرض

رشيد: «وهو يستوقفهم»

إلى أين عمار؟

«يقفون»

أتحسبُ أنَّكَ تنجو بهم؟

سوف تُقطع أعناقهُم قبلَ أن يبلغوا مدخلَ السوقْ

وأنت على رأسهم

الثلاثة: اسمعْ يا هذا

نعلمُ أنَّا سنموتْ

بايعْنا في الطَّفِّ ومتنا

بايعناهُ بسيناء ومتنا

بايعْناهُ بتلِّ الزَّعتر أمس ومتنا

ونبايعُه في الأرض المحتلّة كلَّ نهارٍ

ونموت...

«يلتفتون إلى عمار»

هيَّا بنا يا صاحب الحسينْ

«يخرجون»

«يبقى في المشهد حارث ورشيد»

رشيد: ما الذي جَدَّ حارثْ؟

ألفَ عامٍ ونحن نمثلُ أدوارَنا

كنتَ تُتقنُ دورَك حدَّ العمى

فلماذا تعمَّدْتَ أن تُفسدَ المشهدَ الآن؟

حارث: اسمعْ رشيد

لنَعُدْ ألفَ عام..

رشيد: «مستغرباً»

إلى أين حارث؟

حارث: للنهار الذي ابتدأتْ فيه هذي الروايه

رشيد: «ضاحكاً»

هكذا..؟

كنتُ أسأل نفسي:

لماذا يغيّر حارثُ في دوره؟

صرْتَ تنسى إذنْ..!

«وهو يواصل الضحك»

لا عليك

نعودُ لأوّل عرضٍ لها

سنُثبِّت كلَّ تفاصيلِ أدوارنا

حارث: سوف تبقى رشيدُ أميناً لدوركَ هذا

إلى أن تقومَ القيامه

رشيد: وأنت....؟

ودورُكَ أنت...؟

ألستَ أميناً عليه؟؟

حارث: دعْ أمر دوري الآن

فلي حديثٌ موجعٌ بشأنِه معكْ..

إني أبحثُ عن شيء آخر..

«وكأنّه يخاطب نفسه»

عن وجهٍ

أقسمُ أنّي أعرفُهُ

وكأني أبصرُ ختماً في جبهتِهِ

لكنَّ سنيناً ألفاً أكلتْ ذاكرتي

رشيد: لا يعنيني يا حارثُ ما تبحثُ عنهُ لنفسكْ

لكنْ يعنيني ألا تُهملَ تفصيلاً

مهما كان صغيراً

في دورك

حارث: اسمعْ يا هذا

أمّا ما أبحثُ عنه لنفسي

فكبيرٌ لا تدركُه أنت..

وأما دوري

فأعلمُ أنّي سأغيّر هذا الدَّورَ جميعاً

رشيد: ماذا؟؟

حارث: «ينفجر ضاحكاً»

جاء دوري لكي أضحك الآن

رشيد: قاتلَكَ الله...

للحظةٍ أوشكْتَ أن تُوقِعَ بي

حارث: كيف؟

رشيد: توهَّمتُكَ تعني ما تقولُ في الحديثِ عن دورِكْ..

أنتَ تتقنُ أن تُلبِس الهزْل وجهاً مخيفاً من الجدّ

حارث: بل إنّني الآن أُلبسُ جدّيَ وجهاً مخيفاً

من الهزْل

سأرفضُ دفعَ رسولِ الحسينِ لجندِك

رشيد: أنتَ؟؟!

حارث: أجل

رشيد: «وهو يضحك هازئاً»

ألفَ عام وأنتَ تجيءُ به صاغراً

حارث: كنتُ أفعلُ ذلكْ

رشيد: وستفعلهُ الآن

حارث: هيهات...

اسمعْ رشيدْ

بماذا تفسّرُ أني تخلّيتُ عنهُ لكم وقتَها؟

رشيد: «بتردّد»

تريد الصَّراحهْ؟

حارث: طبعاً

رشيد: بخوفِكَ حارث

لا شيءَ عندي يُفسّر تسليمَهُ غير خوفِكْ

حارث: صدقتَ

رشيد: وسوف تعاودُ تسليمَه الآن

حارث: كلّا

رشيد: إذنْ فسنأخذُه عُنوةً

ثم نقتلُهُ بين عينيك

حارث: ها نحنُ نبدأ...

هذي البدايةُ أقبلُها

رشيد: أفتدري إلى أين سوف تقودُك هذي البدايهْ؟

حارث: ماذا ترى أنت؟

رشيد: كلُّ التفاصيل تبقى كما وقعتْ

غير شيءٍ صغيرْ

مصيرُك أنت...

مصيرُك أنت الوحيدُ الذي يتغيَّرْ...

سوف تُقتَلُ حارث

حارث: «ينفجر ضاحكاً بعنف»

يا ليتْ..!

«وهو يواصل الضحك»

كنتُ أحسبُ أنكَ أذكى

تهدّدني الآن بالموت..؟

مَنْ لي بهِ؟

يومَها يا رشيدْ

حين طوَّق جُندُكَ بيتيَ من ألفِ عامْ

كنتُ مِن أوَّلِ الليلِ

أمسِكُ ميزانَ أمري لأرفعَهُ..

كنتَ أنتَ وبهرجةُ العيش في كفَّةٍ

ورسول الحسين مع الموت في كفَّةٍ

ويَدُ الخوفِ ترجفُ بينكما

وهي ترفعُ ميزانَها

تعلمُ يا رشيدْ؟

لم أحتقرْ نفسي كما احتقرتُها لحظةَ جاءَ الموتْ...

حملتُ ذاك النَّدم

حملتُ طولَ العمر إحساسيَ بالجُبن وبالخيانهْ

ومثلما تطرِفُ عينٌ أقبل الموت

لماذا؟

قُلْ.. لماذا؟

باسمِ مَنْ إذنْ؟؟

وتجيءُ تُهدّدني الآن بالموت!

يا ليت..

مَنْ لي به؟

ما الذي ستُضيفُ سوى أنْ تُقدِّم ميعادَهُ

ساعةً؟؟

«لحظة صمت»

حارث: «مباغتاً»

ها هو ذا!

رشيد: مَنْ؟

حارث: ذلك الوجهُ الذي أبحثُ عنه منذُ ألفِ عامْ

مشهد

«ياسر. عائشة زوجته. أصوات جنود عبيد الله»

«المشهد يدور في بيت ياسر والجند يطوّقونه»

عائشة: ماذا تنوي أنْ تفعلَ يا ياسرْ؟

ياسر: لا أدري ماذا أفعلُ يا أمَّ سُليمْ

عائشة: أطبقت السّكينهْ

إنَّهم الآن يراقبون حتى الظلَّ في مسالِك المدينة

أُوصدتِ المنافذْ

أُوصدتِ الأبوابْ

وبيتُنا

لا منفذٌ منهُ

ولا مِن منفذٍ إليه

كلُّ حجارةٍ من الجدرانْ

وراءها سيفٌ

وفي أعقابها عينانْ

رشيد: «إلى ياسر الغريق في مشهد يراه وحده»

عسى أن تراجع نفسك حارث

حارث: «مقاطعاً بمرارة»

صمتاً رشيدْ

أنا الآن في حضرة الحقِّ كلِّهْ

وفي حضرة الموت كلِّهْ

فهبني سكوتَك عني ولو لحظةً

«يصمت رشيد مستغرباً.. بينما يستمر المشهد»

صوت من الجند خارج البيت:

يا ياسرْ

بيتكَ نُصْبَ العينْ

سلِّمنا أعوانَ حسينْ

تْنجُ بنفسِكَ وبأولادكْ

أو فالويلْ

إنَّا منتظروكَ إلى أن يعتكرَ الليلْ

إنَّا منتظروكَ إلى أن يعتكرَ الليلْ

عائشة: «مباغتة»

وا ويلَتا ياسرْ

سُليمُ خارجَ الدارْ

ما عادَ مُذْ أرسلتَهُ لعمار

ياسر: «بقلق شديد»

تأكَّدي يا عائشه

لا بدَّ أن يكونَ في إحدى زوايا البيتْ

عائشة: إحدى زوايا البيت؟؟

أرسلتَهُ لكي يرى عمار

فكيف عاد دونَ أن يراك؟

«منادية وهي تبحث في أنحاء البيت»

سُليم

سُليم...

ياسر: «منادياً هو الآخر وهو يبحث»

يا سُليم..

يا سُليمْ

سليم: «من خارج الدار وقد أمسك به الجنود»

اتركوني

اتركوني

ياسر: هذا صوت سُليم

«منادياً بفزع»

سُليم

سليم: «منادياً من الخارج»

أبتاه

عمار يُقرئُك السلامْ

عمار ماتْ

عمار يُقرئك السلامْ

عمارٌ ماتْ

«الجنود يكمّمون فمه»

عائشة: «صارخة»

سُليم

ابني.. حبيبي

«تهمّ بالخروج فيمسكها ياسر»

دعني أرَ ولدي

دعني أرَه

صوتٌ من الخارج:

يا ياسرْ

هذا ابنُكَ في أيدينا

افتحْ بابَ البيتْ

أو نذبحهُ الآنْ

عائشة: «وهي تحاول التخلّص من يد زوجها»

لا..

لا..

نفتحُها

نفتحُها

ياسر: «وهو يتشبّث بها بكلّ قوّته»

يا عائشه

يا عائشه

لسنا سوى مسلمَينْ

تذكَّري

بمثل هذا امتحنوا محمَّدْ

عائشة: «وهي تجاهد للتخلّص من يديه»

ابني الوحيدْ

ياسر: عائشه

استغفري اللهَ فنحنُ معشرٌ مؤمنونْ

أيَّ حياةٍ تحفظينَ لسليمٍ لو فتحت الآن

هذي البابْ؟

عائشة: حياتهُ رهنٌ بهذي الباب يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُ هذي البابَ يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُها

يعيشْ..

ياسر: يعيشُ.. لا

لكنَّهُ ينجو من الموتِ

لكي يموتَ ألفَ مرةٍ في اليومْ

أتعلمينَ عائشهْ

إن أنتِ أبقيتِ عليهِ الآن بالخيانه

بأنْ تُبيحي هذهِ الأمانه

لأيِّما مهانه

أيِّ عمرٍ ملؤهُ العارُ ستُسْلمينَهْ

سوف يظلُّ عمرَهُ

خطوتُهُ لعينه

طلعتُهُ لعينَهُ

يُثقلُها العارُ

فلا يرفعُ فرطَ عارِهِ جبينَهْ

صوت من الخارج:

يا ياسرْ

عنقُ ابنِكَ تحتَ السيفْ

إن لم تفتحْ هذي البابْ

فسنَلقي الآن إليكَ برأسِهْ

سليم: «صارخاً من الخارج»

أبي..

عائشة: ولدي

ياسر: عائشه

لحظةٌ يتَعذَّبُها

لحظةٌ ثم يسكتْ

ثم يبقى لهُ الصوتُ حتى تقومَ القيامه

عائشة: ولدي

ياسر: عائشه

إنَّهُ ولدي أنا أيضاً

ولأني أموتُ عليه

سأجنِّبُهُ أنْ يكونَ مُهاناً ذليلاً

إنْ يكنْ عمرُهُ رهنَ أن تفتحي هذه الباب

فلتعلمي

أنَّ في فتحها

فتحَ بابٍ لهُ في جهنَّمْ

سوفَ يلعنُنا كلَّ لحظه

إننا لم نصُنْ حرمةَ اللهِ فيه

لم نصُنْ حرمةَ الأبِ والأمِّ فيه

عائشه

إنَّها حكمةُ اللهِ

فاحتسبي في سُلَيمْ

سليم: «يصرخ مذبوحاً»

«ياسر يذهل، تفلت زوجه من يديه وتصعد إلى سطح الدار وهي تصرخ»

عائشة: وا ولدَاه

وا ولدَاه

ياسر: «يحاول اللحاق بها فلا يدركها»

عائشة

يا عائشة

عائشة: «وهي تلقي بنفسها من سطح البيت»

سُلَيم...

أعوان البيعة: «يخرجون من البيت الخلفي إلى ساحة الدار حيث ياسر»

- ما هذا؟

ماذا يجري يا ياسرْ؟

ياسر: «مع نفسه باكياً»

حسبي اللهُ فيكما

حسبيَ الله وكيلاً فيكِ يا أم سليمْ

- ماذا؟؟

- هل قتلوا طفلَكَ يا ياسرْ؟

- ولم تَقُلْ شيئاً لنا؟

- تركُنا مختبئينَ عن مَهَبِّ العاصفه

ويذبحون ابنكَ، ثم يقتلون أمَّهُ

ولم تقلْ؟

- ماذا تظنُّنا؟

نعاجاً خائفه؟

- ماذا أقولُ الآن يا ياسرْ؟

- استغفر اللهَ لنا؟

لا غفرَ اللهُ لمَنْ يظلُّ حيّاً بيننا الساعةَ

يا ياسرْ

«إلى صاحبه»

سيوفكَم يا أخوةَ الحسينْ

ياسر: «يعترض طريقهم مقاطعاً»

مهلاً أبا أمامه

مهلاً أبا سُهيلْ

واللهِ لن يُسلم بيتي وفيهِ عَصبٌ ينبضُ بالحياة

- نخرجُ كُلّاً

ياسر: لا وَرَبِّ البيت.

هَبونيَ راحة أن أسبقَ الناسَ لابني وزوجي

وراحةَ ألّا أرى مَنْ تكفَّلتُهم يُقتَلونَ أمامي..

ما بينَنا

لحظةُ أن أجتازَ هذي البابْ

ثم احملوا ورائي

«يفتح الباب ويخرج شاهراً سيفه»

لبَّيكِ يا عائشهْ

لبيكَ يا سُلَيمْ...

«يخرجون خلفه ويختفي المشهد»

حارث: «يلتفت إلى رشيد وكأنّه أفاق من حلم»

كنتُ أشرفُ من سطحِ بيتي

ورأيتُ ابنَه كيف قطّعتموه

وزوجتَهُ وهيَ تلفظُ أنفاسَها

كيف عذّبتُموها

ورأيتُ مروءَتَهُ وهو يدفعُكم عن محارِمِهِ

وكان مثلَ الأسدِ الجريحْ

ينضحُ كلُّهُ دماً

وما هوى

كأنَّهُ كان يجولُ بينكم بألفِ سيفْ

رشيد: فإذنْ..

كنتَ تستذكرُ الآن ياسرْ؟

حارث: كنتُ أستجمع الآن ياسرْ؟

وأوزانُ ما بيننا

رشيد: لكنَّهُ ماتَ

وماتَ كلُّ مَنْ معَهْ

حارث: كلُّنا بعد ذلك متنا رشيدْ

كلُّنا بعد ذلك متنا

فرقُ ما بيننا

إنّني ألفَ عامٍ قطعتُ لأجتازَ خوفي

بينما اجتازَ ياسرُ في لحظةٍ

مرَّةً في حياتي بكيتْ

حين أبصرتُ ياسرَ يهوي

ما بكيتُ عليه

ولكنَّني مثلما تَنشجُ امرأة ثاكله

كنتُ أبكي لنفسي التي خنتُها

رشيدْ

أعدْ إليَّ اللحظة الأولى لكي أرفضَ أن

أدفعَ ذلك الرَّسول

ثم هذي عُنُقي

أمدُّها لتقطعوها ألفَ مرةٍ رشيد

عدَّ هذهِ السنين أرجعوا رأسيَ واقطعوه

شرطَ أنْ أستعيدَ البدايهْ

رشيد: لا تعجَلْ حارث

يبدو لي أنّا سنواجهُ ما لم نألفْهُ الليله

اذهَبْ لتستقبلَ صاحبَكْ

وانتظرني وجُندي

عزيزٌ عليَّ وأنتَ صديقي من ألفِ عامْ

أن أطيح برأسكَ حارث

وبسيفيَ هذا

حارث: لا بأسَ يا رشيدْ

يأتي يومٌ تخجلُ أن تنظرَ فيه لسيفك هذا

تندى عَرَقاً حتى من نَظَرات الأطفالِ إليك

حينئذٍ

يتغيَّر في تمثيليَّتنا دورٌ آخر

رشيد: أنت تحلمُ حارث

حارث: بل أكادُ أرى ذلك اليوم..

كم يستغرقُ ذلك...؟

لا أدري

لكنَّني كما أراك الآن يا رشيدْ

بنفس هذا الصدقِ والوضوحْ

أراهُمُ..

كل الذي مثَّلوا في هذه الروايةِ الملعونه

وهم يثورون على أدوارهم

سيدخلون نفسَ هذا المسرح الرَّهيبْ

لكنْ لكي يُغيِّروه لُوحةً لوحهْ

عندها

ستكونُ بدايةُ عصرٍ لا تعرفُه أنتَ الآن

رشيد: ما أعرفُه

إنك ما أبقيتَ ليَ الآن خياراً في رأسِكَ هذا

هيَّا بنا

«يخرجان»

«يدخل المعمدان مقطوع الرأس ومعه دليل يقوده»

المعمدان: ماذا ترى يا دليلْ؟

الدليل: مدى المَدى صُلبانْ

جفَّت على أعوادِها الأذرعُ والسّيقانْ

هذا غلامٌ لَم يزل يرفسُ

المعمدان: سلْهُ

الدليل: **«يذهب إليه»**

أيُّها الصَّبيُّ.. مَنْ؟

الغلام: **«صوت من خلف المسرح»**

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن

المعمدان: أحياناً يا ولدي

أسألُ نفسي:

ما جدوى أنْ تبحثَ عن رأسك يا يحيى

كلُّ عامٍ يمرُّ

يزيدُ يقيني بأني إذا عادَ رأسي إلى عُنقي

فسأفقدُه بين يومٍ وليله

الدليل: مَنْ سيجرؤ يا سيدي؟

المعمدان: الزَّمانْ

الزَّمانْ سريعٌ هنا يا بُنيّ

يومَها

كلُّ شيءٍ هنا كان يأتي بطيئاً

لكي يصلَ الموتُ يحتاجُ وقتاً

لكي يصلَ الخوفُ ذَروتُهُ حَدَّ أنْ يستوي قاتلاً

كان يحتاجُ وقتاً

ولكنْ..

تغيَّرت الآن كلُّ الأمورْ

يأتي الفرحُ ويمضي في طُرفةِ عينْ

يأتي الحزن ويمضي في طُرفةِ عينْ

أما الخوفْ

فإنه لحظة يبتدي يكونُ قاتلاً

وهكذا يا ولدي

يبدو عبثاً أن أبحث عن رأسي

إني أعلمُ إنْ عاد إلى أكتافي

كم سيثيرُ الخوفْ

الدليل: أتحاولُ يا سيدي أن تعودَ بنا دونَ أن..

المعمدان: «مقاطعاً»

لا..

سنواصلُ يا ولدي البحث.

هيَّا بنا

«يخرجان»

الشمر: «يدخل إلى المسرح بملابس معاصرة، ويوجّه كلامه إلى جمهور القاعة»

يا أهلَ هذا العصرْ

أيُّكم الحسينْ؟

شابّ من القاعة:

مَنْ أنت أيُّها الغريبْ؟

الشمر: «مستنكراً»

مَنْ أنا؟؟

هلّا دنوتَ أيُّها السائلْ

الشابّ: لماذا؟

الشمر: أدنُ إليَّ كي ترى وجهيَ عن كثبْ

فربما عرفتَني

الشاب: «يخرج من صفوف المشاهدين، ويصعد إلى المسرح حيث الشمر، ثم يتأمله ملياً..»

ما زلتُ أسألُ:

مَنْ أنت؟

الشمر: الآن صار السؤالُ يضيفُ إلى الأمر بُعداً جديداً

أأُلغيَ وجهي فما عادَ يعرفُهُ أحدٌ؟

أم تكاثرَ في عصركم حدَّ أن لم يعدْ يتميَّز

عن غيرهِ؟

الشابّ: ألا تريدُ الآن أن تُخبرنا مَنْ أنت؟

الشمر: ما جدوى هذا؟

إذا كان عصرُك يجهلُني

فالأوانْ إذنْ فاتني

والحسينُ استتبَّ لهُ الأمر

أما إذا كنتُ في عصركم

قد تكاثرتُ حدَّ التباسِ الوجوهِ عليكم

فقد فاتَني الأمرُ أيضاً

إنَّ شمراً سوايَ انتهى الآن من قطْعِ رأس الحسين

شابّ آخر من القاعة:

شمرُ بنُ ذي الجَوشنْ إذن؟

الشمر: أفزعتُكم؟؟

الشابّ الأول: لا..

لم تعُدْ تُفزِعُ يا شمرُ

فهذا العصرُ لا يحتملُ الفزعْ

الشمر: كبرتُم على أن تخافوا إذن.. ها؟

الشابّ الأول:كبرنا..؟

نعم.. ربّما

الشمر: نلتقي بعدَ يومين..

آملُ أن نلتقي

وأنتَ بحجمِ ادّعائِكَ هذا

الشابّ: ستَراني..

إذا أنتَ لم تبتعدْ بطريقكَ عن حيِّنا

الشمر: لا تخفْ

لكَ عهدٌ بأني سأبحثُ عنك

الشابّ: أمّا عناءُ البحث

فإنني أغنيكَ عنهُ يابنَ ذي الجَوشنْ

سوف تراني حيثما مضيتْ

الشمر: «متوعداً وهو يخرج»

سوف نرى

سوف نرى

الشابّ: «منادياً»

يا شمر

يا شمر

الشمر: «يتوقّف ويلتفت إليه»

الشابّ: إذا كنتَ حقّاً تحاول أن تلتقي بالحسينْ

لتقتلَه مرّةً ثانيه

الشمر: «مقاطعاً»

بل لأقتلَهُ المرةَ الألف

الشابّ: اسمعْ إذنْ

سأدلُّكَ أينَ تُلاقي الحسينْ

أمامكَ كلُّ نخيلِ العراقْ

ونهرُ الفرات الذي تتذكَّرهُ

اشهرْ سيفَك

إن كان لكَ الساعةَ سيفْ

واهْوِ بهِ فوقَ رقابِ النخلْ

فإذا قُطعتْ

وتدحرجَ هامُ النخلِ جميعاً

وإذا انتشرَ الطَّلعُ على الأرض

خضيباً بالدَّم كحبّاتِ الياقوتْ

فجُزْ للفراتْ

ومُرْهُ بأنْ يسكُنَ الموجُ فيه

وأن يتراخى لسيفِكَ بلعومُهُ

إذا قطعْتَ عنقَ الفراتْ

وأرؤسَ النَّخلِ جميعاً يابنَ ذي الجَوشنْ

فعندها

تكونُ قد قتلتَ فينا الحسينْ

الشمر: هكذا؟!

الشابّ: لا تنسَ هذا..

أرؤُس النخلِ جميعاً يابنَ ذي الجوشَنْ

فنخلةٌ واحدةٌ

تُخطُئها

يطلعُ منها الحسين

الشمر: هكذا؟؟!

ما يمنعُني الساعةَ أن أقطعَ رأسكَ هذا؟

الشابّ: أرأيتْ؟

أنتَ تحاولُ أن تمتحنَ الساعةَ خوفكْ

صرتَ تُجرّئ نفسك كي تقطعَ رأس فَسيلةِ نخلٍ

اذهبْ يا شمر

واجعل خوفَك حجمَ الأرض جميعاً

عندئذٍ عُدْ..

سترى الحسينَ في انتظارك

لكنْ تراهُ مفعماً بكلِّ ماءِ الفراتْ

مُسوَّراً بكلِّ هذا النخيلْ

الشمر: «وهو يخرج»

الويلُ لكْ

«يخرج الشابّ من المسرح»

«المعمدان ودليله يدخلان»

المعمدان: ماذا ترى يا دليلْ؟

الدليل: أبصرُ أكواماً من الرؤوسْ

أبصرُ خلقاً تقشعرُّ منهم النفوسْ

رقابُهم مقطوعهْ

أرجلُهم في بِرَكٍ من دمِهِم مزروعه

تجمَّعوا حول تلول الهام

يأخذُ كلُّ هامةٍ

يركزُها في عُنقِهْ

ثم يسيرونْ..

المعمدان: إلى أين؟

الدليل: إلى أمامْ

هناك في الأفُقْ

ألمحُ رايةً على رابيةٍ مرفوعه

وكلُّهم يجتمعون حولها

المعمدان: صِفْها

الدليل: على ذروتها هلالْ

وحولَها تموجُ موجاً جثثُ الرِّجالْ

كأنَّما كَبَّر تحت ظلِّها بلالْ

المعمدان: ما لونُها؟

الدليل: سمراءُ كالرِّمالْ

حمراءُ كالرمالْ

بيضاء كالرمالْ

المعمدان: أسرعْ إذنْ

الدليل: أينْ؟

المعمدان: التقطْ رأساً

وعدْ إليَّ

الدليل: يا سيدي

رأسك...

المعمدان: هذا كلُّه رأسيَ

عجِّلْ قبلَ أن يفوتَنا الأوانْ

أدركتُها...

أدركتُها...

أدركتُ يا يحيى إذنْ بدايةَ الطوفانْ..

أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان...

«تمّت»

قصائد في الحبّ والموت

حالة كانت...

انتهاء

مثلَما تسقطُ النجمةُ اللامعةْ

مثلَما مقلةٌ دامعهْ

بين أهدابها قطرةٌ..

سقطَتْ

كيف تبحثُ عن نجمةٍ في الضبابْ؟

كيف تبحثُ عن دمَعةٍ في الترابْ؟

كيف.....؟

ندم

الحمدُ للصدفْ
طويلة مرّتْ بنا الخدعةُ
للأسف!
ومثلما يسقطُ تمثالٌ من الخزفْ
فيغتدي في لحظةٍ شظايا
ومثلَما تنكسرُ المرايا
فتصبح الصورةُ فيها تجرحُ العينَيْنْ
تكسّرَتْ...
تكسّرَ الحلمُ الذي عشنا له عامين
الحمدُ للصّدَفْ
طويلةً مرّتْ بنا الخدعةُ
للأسفْ!

اللؤلؤة القتيل

عشرين شهراً تسألين:

متى ستكتبُ لي قصيدهْ؟

الآن أكتُبها

لأنّ أصابعي صارتْ شموعْ

ولأنّ كسراً في الضلوعْ

أهدى لنا لغةً جديدهْ؟

أرأيتِ أصدافَ البحارْ؟

مملوءةٌ كلُّ السواحلِ بالقواقعِ والمحارْ

يوماً من الأيام

قد تمضين شاردةً وحيده

ما بين آلافِ الشواطئ

في المجاهيل البعيده

وستلعبين

بدون قصدٍ

في القواقع والمحارْ

وبلا انتظار

تجدين قلباً كالمحارة

فيه لؤلؤةٌ فريده

ماذا فعلتِ لتفتحيه؟

اللهُ يصفحُ عنك...

أنتِ غرزتِ كلّ النّصلِ فيه

حالة تكون

يا لهذا النّدى!

كلُ شيء لديها نَديْ
حين لامستُها
أورقتْ في يدي
صوتُها.. مقلتاها
جيدها... شفتاها
كلَّ ما خَبَأتهُ السّماواتُ من مائها للغدِ
غيمةً
غيمةً
بين أعطافها أزهرتْ
فإذا ضحكتْ
أو مَشتْ
أمطرَتْ
يا لهذا النَّدى!

الميسم

من هاتين الشّفتينْ

يبدأ خِصبُ الأرضْ

ميسمُ زهرةِ روحي هاتان الشّفتان

أتناثرُ كلّي طلعاً مرتعشاً

تنقل كلّ شراييني

تقتلني أو تُحييني

لكنْ تُلقيني

طلعاً ينبضُ في شفتيكِ

قراءة في أمواج البحر

حين أرنو لعينيكِ

أعلمُ أنّ السماوات تختارُ وجهاً

لتزرعَ أنجمَها

أتعلّمُ أنّ البحار قراراتُها لا حدودَ لها...

ربّما كان شاطئ كلّ المحيطاتِ

جفنٌ ومكحلةٌ

أيّها الأزرقُ المترقرقُ في العينِ والبحرِ

في الثوبِ والعينِ والبحرِ

هل للسماء انتماءاتُ هذي العيونْ؟

ومن يعكسُ اللونَ في مَن؟؟!

فلا السفُنُ المبحرات

ولا الطائرات

ولا نبضُ قلبي

عرفتْ دربَها!

والمسافاتُ زُرْقٌ

وعيناك والبحر

ثوبكِ والبحر

والغيمُ والبحر..

اللّه...

ترف

مُحَمّلَةٌ بالغيومْ
مُحَمّلَةٌ بالمطرْ
كأنَّ شعاعَ النجومْ
على مقلتيها عَبَرْ

كأن لآلي البحارْ
كأنّ جميعَ المحارْ
أتاها بأصدافهِ اللامعَهْ
لتختارَ من هذه ضحكةً
ومن هذه نظرةً دامعه
ويا شَعرَها.. يا ذَهَبْ
ويا ثَغرَها.. يا لَهَبْ
ويا غصنَها
يا شهيّ الثمارْ

مياهٌ ونارْ

ولو نسمةٌ أقبلَتْ صوبَها

لكَ الله يا ثوبها

تكاد إذا نقلَتْ خطوتَينْ

تصيحُ مواضعُ أقدامها:

لماذا..؟

وأينْ؟!

وتبقى تسافرُ بين الورودْ

طوالَ النهارْ

ويبقى فراغٌ

ويبقى انتظارْ

إلى أن تعودْ

مُحَمّلَةً بالغيومْ

مُحَمّلَةً بالمطرْ..

في مهبّ الطفولة

لماذا تهبُّ رياحُ الطفولةِ مُسْكرةً
حين أرنو لعينيكِ؟
أذكرُ نخلَ العمارةِ
أمطارَها
والمزاريبُ تنشجُ
أذكر كيف الفُقاعات تزخرُ في باحةِ البيتِ
تأتي
وتمضي
وتأتي
وتمضي
وعيناكِ تلتمعانِ..
وليلُ العمارةِ ممتلئٌ بالكواكبِ
والنومُ صيفاً على السطحِ يُسكِرُ...
اللّه...
يا ما حلمتُ بأنّ معي نجمةً في الفراشِ

فأحضُنها

والضياءُ يُشعشعُ بين جفوني..

.. وعيناكِ قَطْرُ النَّدى في عيوني

ويقطرُ من زيرنا الماء

جَرّةُ جَدّتيَ امتلأتْ بالنّدى

قطرةً

قطرةً

يقطرُ الزّيرُ

والماءُ يلمعُ مثلَ النجومِ

يُساقِطها الزّيرُ في جَرّةٍ مُلِئتْ بالنّدى

قطرةً

قطرةً

وهي تلمعُ

تَندى

وعيناكِ تلتمعانِ

يموجُ التماعُهما بالنّدى..

لماذا تهبُّ رياحُ الطفولةِ مُسْكرةً

حين أرنو لعينيكِ؟

لو تعلمين لماذا...!

جداول النّبيذ

خمرةٌ في العيونْ

خمرةٌ في الشفاهْ

خمرةٌ تترقرقُ تحت رفيفِ الملابسِ

تشربُها

ينحني الثوبُ سكران حول التّفاصيل

يحضُنها ثمِلاً

يتكسّرُ مرتبكاً حول مشيتها

وهي تخطرُ

رائحةً

غاديهْ..

جلسَتْ..

جمعَتْ كلّ أقبيةِ الخمر أنفُسَها

ثمّ فاضتْ

تحدّرَ كونُ نبيذٍ إلى الأرضِ

في جدوَلين

يكادان أنْ يَشربا وَشَلَ الرُّوح...

كنتُ أراقبُ

ينفرجُ الجدولانِ

ويلتقيانِ

وينفرجانِ

ويلتقيانِ

فتمتلئ الأرضُ بالخمر..

عينايَ عالقتان على ضفةِ الثوبِ

فوق جداولِها

عقَدَت أحدَ الجدولَين على الآخرِ

انحسرتْ ضفةُ الثوبِ حدَّ الينابيع

الله..

يمكنُ أن يسكنَ الماءُ والنّار

يجري القرنفلُ والغار

من منبعٍ

كلُّ ديمومةِ الكون فيهْ..؟

كنتُ أرنو إليها

وكان النَبيذُ على جدولَيها

كلُ قطرةِ نارٍ بأورِدَتي تشتهيهْ..!

بحارُ الزّبرجَد

حين يضحكُ بحرُ الزّبرجَدِ
كلُّ النَّوارسِ
لامعةً
تتطايرُ أسرابُها
المجرَّةُ تنبضُ
والماءُ ينبضُ
والقلبُ يذ..
كيف سَوّرْتِ بحرَ الزّبرجدِ بالكُحلِ؟!
غابٌ من الليل
في وَسْطِهِ نجمتانِ بلونِ الزّبرجدِ
مَن ذا يُصدّقُ
أنّ رَبيعَينِ
ما مرَّ بالعمر مثلُ اخضرارهما
يلمعانِ بقلبِ الدّجى؟!

وأنا

ذاهلاً أتأمّلُ

أسمعُ خَفْقَ النّوارسِ هاربةً

ثمّ تصعدُ حُمرَةُ كلَّ الوردِ بخدّيكِ

يا خجلاً يُسكرُ الروح

كيف تجمّعَ

نبضُ النجومِ

ولَمعُ الغيوم

ودمعُ الكرومِ

بعينين مِثلِ انبجاسِ الزّبرجَد؟!

جفافُ النَّبيذ

مُطفَأهْ

كلُّ نيرانِها مطفأهْ

إنها تتمثَّلُ أيّامَها

أو تُمثلُها

غيرَ أنَّ النّبيذُ جداولُهُ صَوَّحتْ

ومواعيدُها مُرجأهْ..

أترى؟

يومَها كان ينحسرُ الجرفُ عن موجةٍ

مثل لونِ الغَسَقْ

تتضاحكُ

تجمعُهُ فوقَها

وحَفافِيه مزروعةٌ بالحَدَقْ..

كان يَقتتلُ الموجُ منسكباً

تغلقُ الشّطَّ أجمعَهُ

فيعاندُها مُستفزّاً مَهيضْ

إنها الآن لا تُحكِمُ الجُرفَ مِن حولهِ

غيرَ أنَّ جداولَهُ لا تفيضْ

كان للماءِ سَوْرَتُهُ

لنبيذِ الجداولِ ثورَتُهُ

كان للصدقِ فَورَتُهُ

وهيَ الآن هامدةٌ

تتمثَّلُ أيّامَها

أو تمثّلُها

غيرَ أنَّ النّبيذْ

كلُّ أشجارهِ صَوَّحَتْ

ومواعيدُها مُرجأهْ

مُطفَأهْ

كلُّ نيرانِها مطفأه

إهمال

مرَّةً مَلِكهْ
وضعَتْ بلبلاً في قفَصْ

قطعَ اليومَ وهو يغنّي
قطعَ اليومَ وهو يغنّي
والقفَصْ
كان يورقُ من حولِهِ
صار أيْكاً
صار غاباً من الشَّجَرِ المُتَشابكِ
وهو يُغنّي
في الصباح
وجَدتْهُ بقاعِ القفَصْ
مَيّتاً
وبمنقارِهِ قطعةٌ من خشَبْ..

عندما تتشعّب السُبُل

وهكذا آلَ ماءُ العين للوَشَلِ ... ومالَ أصفى تَصافينا إلى المَلَلِ
لم ننتَبهْ، والهوى يُدمي جوانحَنا ... إلى تَعَلُّلِ مَن نَهواهُ بالعِلَلِ
مَن كان يحسبُ أنَّ القلبَ من دمه ... يَبرا، وأنّ الندى يخشى من البَلَلِ؟!
لا بأس.. كلُّ مَسار بَعدَهُ وَجَعٌ ... إذا تَشعَبَت الأقدامُ في السُبُلِ
كلٌّ لَهُ منتهى لا بُدَّ يُدركُهُ ... يا خطوةَ العمر، لِمْ تَخشَيْنَ أن تَصلي؟!
هما طريقان.. هذا جدُّ منفتح ... على صِباهُ.. وهذا جِدُّ مُكتَهِلِ
فَفيمَ نَفزعُ إنْ أشجارُنَا سقطَتْ ... أوراقُها، وبَدَتْ دوّامةُ الأجَلِ؟
أعمارُنا جَبَلٌ نرقى عليه.. فَلَمْ ... نخافُ إمّا بَلَغْنا ذروةَ الجَبَلِ؟!
يا مَن جَعلنا لها أضواءَ أعيُنَنا ... شِعراً، فَلَمَ ننقطعْ يوماً عن الغزَلِ
لأنَّنا مُذْ رأيناها، وكلَّ دجىً ... في عيننا طيفُها يغفو.. ولم يَزَلِ
فإن تكنْ سَئمتْ في القلب موضعَها ... فالنَبضُ يُقلقُ حيناً غفوةَ الحَجَلِ
لا بأس.. لَا تبحثي عن أيّما عُذُر ... إنّا أَلِفْنا مَذاقَ اليأسِ في الأمَلِ
وحَسْبُنا عندما لا نلتقيكِ غداً ... أنَّ النّدى زارَنا يوماً على عَجَلِ

مشارط النار

أنت تقتُلني الآن

هذي الأصابعُ.. أطرافُهُنَّ

جداولُ نارٍ تَراكضُ من خلفِها

كلُّ أورِدَتي تَتَفَجَّرُ

جلدي أحسُّ به يتفطَّرُ

غيمةُ نارٍ تُعَرشُ في أذُنيَّ

وعينيَّ

تجتاحُ كلَّ المساربِ

تُشعِلُها عصباً عصباً

أنت تقتُلني الآن..

هل..

هل تُحسُّ استجابةَ روحي

بكلّ مَواجعِها؟

أفَتسمعُ كفُّكَ هذي صراخَ المساماتِ

تحت أصابِعها؟؟

حِرْفَةٌ؟

أم شعورْ؟؟

الدُّنا كلُّها بي تدورْ

وأنا لا أعي غيرَ هذي المشارطِ

وهي تغوصُ

تغوص

لآخرِ نَبْعِ دمٍ بين أوردَتي

وتُخدّرُ جمجمتي

أتوسّلُ كُلّي بها

وهي تذبحُني

لو تظلُّ تُغلغلُ في بَدَني

لِتُفتّحَ بين الجروحِ

منفَذاً لعذاباتِ روحي..

الأشرعة المرتبكة

كـلُّ الـنـجـوم ستـلـقـاهُـنّ فـي شَـبَـكـي
هـذا جـنـاحـي.. وهـذي دارةُ الـفَـلـكِ
خمسون عـامـاً، وهـذا صَـولـجـانُ دَمـي
وذي سهامي، وأقـواسـي، ومُشتَبَكي
وبُـردَتـي هـذهِ.. كـلُّ الـشـمـوسِ بها
يـا مَـن رأى مثلَها يـومـاً.. على مَـلِـكِ
وهـا أنـا.. كـلُّ أمـواجـي، وأشـرعَـتـي
حـتـى رفـيـفُ مصابيحي بـهـنّ.. لـكِ
يـا أنـتِ، إنّ الـمـوانـي جـدُّ خـاشـعـةٍ
لـكـنْ دُنُـوِّي إلـيـهـا جـدْ مـرتـبـكِ

الزائر الأخير[1]

من دونِ ميعادِ
من دونِ أن تُقْلِقَ أولادي
اطرُقْ عليَّ البابْ
أكونُ في مكتبتي في معظم الأحيانْ
اجلسْ قليلاً مثلَ أيِّ زائرِ
وسوفَ لا أسألُ
لا ماذا
ولا مِنْ أينْ
وعندما تُبصرني مُغرورِقَ العينَيْنْ
خُذْ من يَديْ الكتابْ
أعِدْهُ لو تسمحُ دون ضجَّةٍ
للرّفِّ حيثُ كانُ

(1) فازت هذه القصيدة بوسام «القصيدة الذهبية» في مهرجان ستروكا الشعريّ العالمي سنة 1984

وعندما نخرجُ

لا توقظْ ببيتي أحداً

لأنّ من أفجَعِ ما يُمكنُ أن تُبْصِرَهُ العيونْ

وجوهَ أولاديَ حينَ يعلمونْ...

الأقواس القاتلة

واقفٌ بين كلّ المَدارات
كالنَيزَكِ المُنطفي
كلُّ نجمٍ لَهُ رمحُهُ
ولهُ جرحُهُ
قبلَ أن يختفي
وحدَهُ الخافتُ الثابتُ اللا يَريمْ
بين كلّ السَّديمْ
واقفٌ
والمداراتُ تَلْهَبُ أقواسُها
تَلتقي
وهي تلهثُ أنفاسُها
عندَ مَنْبِتِهِ
يَصطفي
ثمّ يرفعُ قوساً بعرضِ السماء
يتَوسّطُها

تُصبحُ الأرضُ أجمعُها وَتَراً
تنحني القوسُ حدَّ تَلامُسِ أطرافِها
ثُمّ يُطلقُها في رحابِ الفضاءْ

هكذا كان يلعبُ بالنّجم
يُطلقُهُ عَبْرَ أقواسِهِ القاتلَهْ
دورةً كاملَهْ
ثمّ يجذبُهُ شُعلةً هائلَهْ
تحت أقدامهِ تختفي
وهو كالنيزَكِ المُنطقي
خافتٌ
ثابتٌ
لا يَريمْ
وَسْطَ كلّ السّديمْ
خائفٌ أنا من لُغَتي
كلّما هِجتُها
أيقظَتْ لي تواريخَها النائمهْ
ومَجازاتِها
واستعاراتِها الغائمهْ..

قلقٌ في ليلٍ متأخّر

خائفٌ أنتَ حين تُفكّرُ بالموت؟
أم متعَبٌ؟
صار هَمُّكَ صُبْحَ مَساءْ
أن تَفيءَ إلى آلةِ الضَغطِ
ترقبُ في قلقٍ صوتَها
وهي تحسِبُ إيقاعَ قلبك..
تَعلمُ أنّكَ حمّلتهُ فوق طاقتهِ
ثمّ ها أنتَ
تحسِبُهُ
وتحاسبهُ
متعَبٌ أنت يا صاحبي
كان أجدرَ أن تترصّدَ قلبَك منذُ ثلاثينَ عاماً..
أيَملكُ هذا الجهازُ الموَجَّهُ
أن يفعلَ الآنَ شيئاً
سوى أنْ يُخيفَك؟

خمسون عاماً

وقلبُكَ يذبحُهُ نَبضُهُ

لم تضَعْ رَصَداً من سكونِكَ

أو من جنونكَ

يوماً على خَفْقهِ

ثمّ ها أنتَ ذا ترصدُ الآنَ إيقاعَهُ..

إنهُ عَزفُ كلّ السّنين التي لم تكن في حسابكَ

يأتي نشازاً

لأنّكَ أنفَقْتَ عُمرَكَ تقرَعُ أنياطَ قلبكَ

لم تلتَفِتْ لحظةً لتآكُلها

خائفٌ أنتَ؟

أم متعَبُ؟

إنّ قلبَكَ ما زال ينبضُ يا صاحبي

دَعْ لَهُ في الأقلّ

أن يُقرّرَ كيفَ سَيُنهي نشازاتِهِ

إلى ولدي

أن أكونَ قتلتُكَ

أو أن تكونَ طَعنتَ مَكانَ انتظارِكَ

في القلبِ..

سيّانِ

مَيْتٌ حبيبي

وأثقلُ من كلّ ثُقْلٍ صليبي..

وإلى ولدي

ستبقى عليكَ العُمرَ تجري مَدامعي
ولا أنتَ رائيني.. ولا أنت سامعي[1]
نَظَرتُكَ حتى آخرُ الزّرعِ شَبَّ بي
وها أنا في يومَينِ شابَتْ مَزارعي
وماذا تَبقَى غيرَ جذعٍ سَينحَني
ونفسٍ سَتَذوي في زحامِ المَواجعِ
مَرَدْتَ طوالَ العمرِ قلبي من الأذى
فلّما تَصافَيْنا كَسَرتَ أضالعي

(1) من يجرؤ على ثقب لؤلؤة اللغة، له أن يبدل «رائيني» ب ـ «تدري بي». [الشاعر].

حضارة

يمكنُ أن تختصر الدنيا
يمكن أن تهبطَ في المريخْ
لكنّكَ مهما تفعلْ
لن تجعَلْ
قطرةَ ضوءٍ في فجرٍ دافئ
تَعيَى، وتَشيخْ..
جُسْ ما شاءَ لكَ الجَوسْ
اسحَبْ وَتَرَ الآتي حدّ تَلاقي أطرافِ القَوسْ
سَتَرى في سومَرْ
أوّلَ دولابٍ في التاريخْ
يتدحرَجُ خلفَ نبوءتِهِ
آخرُ دولابٍ في التاريخْ..

مفارقة هندسية

يَتّسعُ الزّمانْ
يتّسعُ المكانْ
تتّسعُ الأرقامْ
تتسع الأبعاد والأحجام
ويصغُرُ البَشَرْ
فيصبحون بينها أقزامْ..

غِنَى..

يومَ غَدَوتُ أباً
أحسَسْتُ بأنّي أملكُ أن أغْني نفسي
لكنْ..
لحظةَ هَمسَتْ في شُبّاكي الأعذاقْ
أمسَيْتَ الليلةَ جَدّاً يا عبد الرزاقْ
أحسَسْتُ بأنّي أغنَيتُ العالم..

طمأنينة

كان يركضُ مبتهجاً
تَتقَدّمُهُ قَبضَةٌ من حشيشْ
لم يُشاهِدْ لِفَرحَتِهِ الطّاغيهْ
نَصْلَ سكّينِ صاحبِهِ
وهو يلمعُ في القبضةِ الثانيهْ...!

إدمان

سَنَواتٌ وهوَ يدورْ
مشدوداً في هذا النّاعورْ
دَميَتْ منهُ الرّقَبَهْ
وتآكَلَتْ الخَشبَهْ
من كثرةِ ما دارْ
ذاتَ نَهارْ
سَقَطَ النِّيرْ
وقفَ الثّورُ مَرُوعاً
لا يدري كيف يسيرْ..!

بين الأقنعة

مَن يُعطيني
فَرَحاً لا يفنى
مَن يأخذُ منّي
فَرحاً لا يَفنى
مَن يعرفُ أنّ حقيقتَهُ
فَرحٌ لا يَفنى..

الغيمة العائدة

إلى ل. د.

كان غيمُ السّنينْ
مُثْقلاً بالمطَرْ
قبلَ عشرين عامْ
كيف مرّتْ بنا
غيمةٌ من هنا
قبل عشرين عامْ
دونَ أن يشعِلَ البرقُ حتى العظامْ؟!
ثم هذا أنا
بعدَ عشرين عامْ
مُثقلٌ بالأسى
مثقلٌ بالظلامْ
أيّتُها الغيمةُ العائده

بعد عشرين عامْ

أقرئينا السّلامْ

ربّما هذه الدِّيمةُ البارده

إذ تَمسّينَها

تَتَشظّى،

ولو بعدَ عشرين عامْ..!

انكسارات

لا تَسَلْ هذا لماذا
لا تَقُلْ عن ذاك: كيفْ
كنتَ رَبَّ الدار يوماً ما
وأنت الآن ضيفْ

*

كلُّ حالات التَّرَدّي مُمكنه
شَرْطَ أن تَلبسَ منذُ اليوم
ثوبَ المَسْكَنَه

*

كلُّ شيءٍ كانَ لكْ
فَجأةً صرتَ فقيراً
حَدَّ أنْ لا شيءَ لكْ

*

لا تُعاتِبْ

لم تَعُدْ تملكُ أن تكسرَ عيناً بالعِتابْ
والذي عاتبتَ لا يَحفلُ حتى بالجوابْ

*

هكذا يا بلادي؟؟
كلُّ ما فيكِ من مَعْبَرٍ
قوَّضَتْهُ الأعادي؟!

حالة جديدة....

عيون الماس

كنتُ منذُ الصّغَرْ
أسهرُ الليل مُحتَفياً بالقَمرْ
كلّما هلّ
أرنو لأوّلِ وَجهٍ أصادفُهُ
ثمّ أدعو..
منذُ أنْ كنتُ طفلاً عرفتُ الدّعاءْ
وتعوّدتُ أن أستجيرَ السّماء
نجمةً
نجمةً
ثمّ أفقدُها في ليالي الشتاء..
أنت تدرين
كنّا ننامُ على السّطحِ في الصَيف
والنّومُ فوق السطوحِ
مُجاوَرَةٌ لِطُمأنينةِ الله

نُحصي النّجومْ
ونراقبُ كيف تصير الغيوم
أوجُهاً، ورسومْ
تختفي ثمّ تطفو
بينما نحن نغفوُ
وتَهاويلُها في كَرانا تَعومْ..
غير أنّي
كنتُ أبقى أتابعُ وجهَ القَمرْ
كم أطَلْتُ السّهَرْ
تحت هالتِهِ..
كم حلمتُ بهِ زورقاً في نَهَرْ
وأنا فيه أسبحُ بين الغيومْ
وألمْ النّجومْ..
ثمّ يصبحُ بدراً..
أتدرين؟
كنتُ أخافُ من البدرِ
تشعرُ أمّي
فتضمّ عظامي إليها

وتهمسُ لي أن أسَمّي

مرّةً في أصيلْ

راعَني وهو يصعدُ بين النّخيلْ

قانياً كان

مُحتّقناً كالقتيلْ

فارتعْبتُ لمنظرِهِ في السّماءْ

عندما نمتُ ليلتَها

كنتُ أحلمُ أني أعوم على بِرْكةٍ من دماء..

مُنذُها

وأنا أتجنَّبُ أن أتأمّلَهُ

حين يغدو بهذا البَهاءْ

تعلمين لماذا أحبُّ القمرْ؟

دافئاً

وحميماً أحسّ بهِ

ورحيماً أحسُّ بهِ

رغمَ معرفتي أنهُ لا يدومْ

ورغم الذي يَعتريني لغيبتِهِ مِن وجوم..

ستقولين لي:

والنجوم؟!

قد تأمّلْتُها

وتحمّلْتُها

في ليالي الهمومْ

كنتُ أحسِبُها نجمةً نجمةً

كم بدَتْ لي بعيده!

لا يُلاذُ بها..

كم بدَتْ، رغم كثرتِها، لي وحيده!

لستُ أدري لماذا أحسُ النّجومْ

قطَراتٍ من الضّوء ليست سعيده!

إنّها خالده

أنا أدري

فَستّين عاماً تأمّلتُهنَّ

وواحدةً واحده

كنّ يرمُقنَني بعيونٍ من الماسِ

نائيةٍ

بارده

غيرَ أنّي عشقتُ القَمرْ

كانت امّي تقولُ لَهُ:

يا حبيبْ

ولَدي وجهُهُ لا يغيبْ

ومع الوقتِ خُيّلَ لي أنّهُ يستجيبْ

فَعلقتُ بهِ

وكأنْ بيننا

خيطُ حبٍّ غريب...

وفاءٌ متأخّر

هكذا تحلمين؟
أنْ يكونَ له مثلُ تمثال بوشكين
كلّ مساءٍ تزورينهُ
تضعين الزّهورْ
وتُصلّين صامتةً
ثمّ تنصرفين؟
هكذا؟!
كان أقصى أمانيّهِ
لو حملتِ لهُ، وهو حيٌّ
ولو وردةً واحده
لو نذرتِ له بَسمةً واعده
كنتِ تأتين مهمومةً
وتعودين مهمومةً
لا يرى بين كفّيك غيرَ الورَقْ

وبعينيكِ أشرعةٌ

كلَّ يومٍ مهدَّدَةٌ بالغرقْ

وهو يقرأ ما تكتبين...

وبين الدّموع

وبين انكسار الضلوع

وبين الأرقْ

ظلّ يحلمُ لو مرّةً واحده

بين كلّ الذي تكتبين

حرفُ حبٍّ تجاوزَ أوراقَكِ الخُرسَ يوماً

نطقْ

واحترقْ

ثمّ ها أنتِ ذي تحلمين

أن يكون له مثلُ تمثال بوشكين

كي تضعي الوردَ كلّ مساءْ

تحتَ أقدامهِ

تقفينَ لتمثالهِ وقفةً راجفه

قطٌّ لم تَقِفيها لهُ وهو حيٌّ

وكلُّ شراييهِ راعفه

ليكنْ..

إن أقيمَ له مثلُ تمثال بوشكين

وهو افتراضٌ يحاولُ ألّا يُصدّقَهُ

سوف يوصي مُناوِبَ ساحتهِ

أن يُراقبَ سيّدةً

تحملُ الورد كلّ مساء

يأخذُ الوردَ منها

ويسألها:

هل جلبتِ له زهرةً عندما كان حيّاً

بهذا البهاءْ؟!

فتردُّ عليه بأدمعها

مثل كلّ النسّاء..

مكالمة تلفونية

ـ ألو..

كيف أنتَ...؟

وظلّ السّؤالْ

غريباً..

وظلّتْ إجابتُهُ لا تقال..

ـ أنا..؟؟

أنتَ تعلمُ ضغطَ الوظيفةِ..

ـ أعلمُ..

ثمّ أفاءَ إلى الصّمت..

من ساعتَين يخابرُ..

قالوا لهُ:

هبَطتْ لصديقاتها..

ـ لم تُجبْ..

كيف أنتَ؟..

ـ أنا؟؟

كنتِ واعدتِني قبلَ أمسِ..

ـ أجل

وتوعَّكتُ..

ما جئتُ أصلاً إلى الدائره

فاتره

كلُّ أعذارها فاتره

ـ أمس أيضاً تغيّبتِ؟؟

ـ لا.

جئتُ لكنْ خرجتُ سريعاً

أنتَ تعلمُ أنكَ تُحرجُها

فلماذا تلحُّ عليها؟

آه لو تنظرُ الآن في مقلتَيْها!

ـ نلتقي اليوم؟

ـ سوف أحاول..

يا صديقي الحزينْ

أنت تعلمُ علمَ اليقينْ

أنها لن تجيء

فلماذا تخادعُ نفسكَ فيها؟

إن تكنْ

مثلما قلتَ، تعشقُها

دعْ لها أن تعيشَ الحياة كما تشتهيها..!

بعد فوات الأوان 1

كان غافي المقلتَينْ

كيف أقبلْتِ؟..

ومن أيِّ التّواريخ..؟

وأين؟

وتلألأت عيوناً.. وشفاهاً، ويدَينْ..

كانت العينان

جلَّ الله

مثلَ النجمتَينْ

دمعةٌ في كلِّ عينْ!

بينما وجهُكِ يضحكْ

أيّها الغافي

لماذا هكذا أيقظتَ جُرحَكْ؟!

يَتُها الأنثى..

لقد أودعَكِ الرَحمنُ سِرّهْ

أنتِ مِن بين المَجرّهْ

كوكبُ الله الذّي يُنزلُهُ للأرض مَرّه

كلَّ جيلْ

إنّها خمرُ النَخيلْ

والذي يشربُها يسكرُ حَدّ المستحيلُ

يَتُها الأنثى

لعينيكِ ملايينُ الشموع

ستُسَمّي

وملايينُ الدّموعْ

سوف تَهمي

وأنا أزرعُ في عينيكِ شِعري وشعوري

ودمي

كلّ دمي

ينبضُ ما بين سطوري

فاذا ما بلغَ النّزفُ نضوبَهْ

فاعذريهِ

إنّهُ العمرُ..

وقد أوشكَ أن يلقى غروبَهُ

عتاب

لماذا تحاولُ تَعريَتي هكذا..؟
أنتَ تعلمُ أنّ المجاهيل
هَيَّمَت السّندباد
وأبقَتْ على شهرزاد
وشَدّتْ إليها مَداراتِ كلّ النّجومْ
وتعلمُ أنّيَ أنثى
جميعُ المَلاجئ فيها تدومْ
ما مجاهيلُها يا صديقي تدومْ..
وتحاولُ تعريَتي هكذا..!
إنّني أتساءلُ
لو كان حُبّاً
لأبقيتَ شيئاً من الغيمِ تهفو إليه
ولأبقيت شيئاً من الماء تخشى عليه

إنَّكَ تهتكُ أسرارَ نبعيَ

سرّاً، فسرّا

وبين يَديكَ وعينيك

كلُّ كنوزيَ تَعرى

وأنا صامتهْ

وعيونُ اللّواتي بحُبّكَ حَذّرْنَني

كلُّها شامتهْ

لماذا؟؟

لماذا تحاول تَعريَتي هكذا؟..

جائعٌ أنتَ؟؟

أدرى الأنامِ أنا

بمَدى التّخمةِ الـ أنتَ فيها

أم تُجرِّدني الآن من كبريائي؟

لستُ أملكُ شيئاً

ولكنّ هذا إنائي

والعبيرُ الذي فيه مائي

وسَيقتلُني نَدَمي

حين تغسلُ أقدامكَ الحافيه

بكنوزِ دمي

أنتَ تعلمُ أنّي أحبّكَ حتى العباده

دَعْ كنوزَ دمي لمواعيدها

فهيَ تزكيَتي للشهاده

الظلال النزقة

قـلِـقٌ، وكـــلُّ هـواجـسـي قـلـقَـهْ
ورؤايَ حـتـى الـجـذرِ مـحـتـرقـه
وأنـــا، وبـيـن أصـابـعـي قَـلَـمـي
وظـــلالُـــكِ الـمـعـبـودةُ الـنّـزقـه
أسـعـى لـهـا بـجـمـيـع أوردَتـــي
فـتـذوبُ بـيـن الـعـيـنِ والـورقـه
يـا ألـــفَ ســـربِ قـطـاً مُـجـنّـحـةٍ
عَـلِـقَـتْ شـغـافـي وهـــيَ منطلقه
وأنـــا ألاحـــقُـــهـــا بـكـــلّ دمـي
فـتـطـيـرُ عُـمـقَ الـكـون مُـسـتَـبِـقَـه
يـا مـحـضَ أخـيـلـةٍ أطـارِدُهـا
وأكـــادُ أســـرقُ وَمْـضَـهـا سَـرِقـه
لا تَـبـلُـغـي حـــدّ الـــرّثـــاءِ لَـهُ
فـالـمـوتُ يَـقـبـلُـهُ، ولا الـشّـفَـقـه

صحوة

ما تُمسكُ لؤلؤةً
حتى تَثقُبَها
لِتُتَمّم مِسبَحَةً
تصبحُ فيها أنت الشّاهودْ
دَعْ هذي
قد تحتاجُ إليها يوماً
لتُعوّضَ عن بؤبؤ عينٍ مفقودْ!

مشروع أغنية

يا حبيبي

إنّها الساعةُ العاشره

فانتَبهْ للقمرْ

إنني في سريري أطيلُ النظرْ

لأراكَ بهِ

يا حبيبي

يا حبيبي

ربّما لن تراني

يا جناحاً مضى في رحابِ الفَضا

طوّحَتنا الأماني

غيرَ أنّي هنا في انتظار السّنا

فلقد أعلنَتْ ساعتي العاشره

موعدي والقمرْ

يا حبيبي...

كان يوماً غَفَوتْ

طفلةً فوقَ صدرِكْ

كان يوماً صَحَوتْ

قُبلةً فوق ثغركْ

كان يوماً هنا

كلّ شيءٍ لنا

ثمّ غاب القمرْ

يا حبيبي...

يا حبيبي

ربّما أصدقاؤك لاهونَ حولَكْ

ربّما حلوةٌ تؤنسُ الآن ليلكْ

ربّما.. ربّما

يا حبيبي

التَمسْها ولو لحظةً عابره

قُلْ لها إنّها الساعةُ العاشره

لن تُلام على نظرةٍ للقمرْ

فأنا والنُّعاسُ هنا ننتظر

يا حبيبي...

محاولة ثانية لأغنية ثانية

أين ألقيتَ بي كيف حوّلتَ دربي
كان لي مَلعبي كان لي صَفوُ قلبي
ثم ضِعنا..
يا جناحاً طوى بيْ المسافات
ثمّ انكسَرْ
يا شراعاً تمنيتُ فيه السّفرْ
ما انتظَرْ..
يا حبيبي
كم خيالاً بَنَيْنا
يا حبيبي
كم سماءً طوَينا
كلُّ شيء ذوى
يا ضياعَ الهوى..

وحدَنا يا خُطى

في تَقاطُعِ الدّروبْ

فيمَ عُدْنا

فيمَ عُدْنا؟

وحدنا..

نسَيتْنا جميعُ القلوبْ

مُذْ بَعُدْنا

فيمَ عُدْنا؟

عدتُ وحدي هنا للرّبوع الخَوالي

يا رُكامَ المنى يا فراغَ الليالي

لَمْلِمي أدمُعي

لَمْلِميها معي

كانَ يوماً هنا طفلةٌ لا تعي

حسِبَتْ أنَّ في

وِسْعِها أنْ تُحِبّ وأنْ تَدَّعي

تَدَّعي...

استطالات

سوفَ يَحمَرُّ وجهُكِ أكثرَ حين أصدّقُه

إن عينيكِ لا تكذبانِ

فكيف أخادعُ غيماً على مائِهِ

وهو يُمطرُ؟!

كيف أدافعُ قوسَينْ

لونَ دمي

كلّما انطبقا

نَبضَ القلبُ بينهما

وهو يبحثُ عن موضعٍ لشرايينه

وسيَحمرُّ وجهُكِ أكثر

تدرينَ أنّي أصدّقُ حُمرتَهُ

وأصدّقُ أكثر

حين أرى عُنُقَ النّورسِ انهدَلَتْ لليَسار

وأرخَتْ ودائعَها للكتفْ

وأراقبُ إغفاءَ عينيكِ خلفَ الزّجاجِ

وغيبوبةَ الشّفتين

لِفَرطِ التُّقى

أو لفرطِ الهياجِ

وأبقى أتابعُ..

كلّ الدُّنا تستطيل

المسافاتُ، والوقتُ

والعُنُقُ الأرخبيل

وأطرافُكِ السّلسبيل

تترقرقُ منها المياهُ إلى مَسبَحِ القَلبِ

أتركُهُ

وهو أجنحةٌ لاحَها الماءُ

تَنفُضُ

والرّوحُ تنفضُ

الله...

مَن لي إلى دَربكِ المستحيلْ؟!

طعَمُ المناقير

أنتِ علّمتِني
أنّ بعضَ الشّفاه لها ميسمٌ
مثلما للورودْ
فإذا قُبّلَتْ أخصَبَتْ
وتُبرعِمُ في البنتِ كلّ الوعود
أنت علّمتِني أنّ بعضَ الشّفاه لها عالمٌ
غير عالمنا
ولها لغةٌ غير هذي اللغاتْ
وأقسِمُ أني خَبرتُ البناتْ
ولكنّني لم أجدْ شفةً
تستطيعُ اختصارَ جميع القواميسِ
بين الشّهيقِ وبين الزفيرْ
دون أنْ تَتفوّهَ حتى بحرفٍ صغيرْ..
يا شفاهَكِ

يا موجةً من عبيرْ

يا لسانَكِ

نبضُ العصافير

طعمُ المناقير

كنتُ أعسُّ صغيراتِها..

تَحتَمي

ومناقيرُها في فمي

تأكلُ الخبز

لكنْ تُنَقّرُني

وأتابعُ منقارَها

شوقَهُ

وجفولَهْ

يا زمانَ الطفوله

ولسانُكِ يفعلُ فعلَ المناقير

مثلَ قلوب العصافير

ينبضُ قلبي

يا شفاهاً تُقبّلُني وهي تَسبي

وتبسمُ لي وهي تسبي

وتهمسُ لي لغةً لا أراها

ولكنّني لستُ أفهمُ شيئاً سواها

لك كلُّ الذي ظلّ لي بعد ستين عامْ

من عذابٍ وحبٍّ!

أوجاع صامتة

هكذا؟..

مرّةً واحدةً أحسستِ فيها بهَوايْ؟؟

مرّةً؟!

كلُّ أساي؟

كلُّ شوقي، ولَجاجتي، وسُخطي، ورضاي

طولَ هاتيكَ السنينِ

مرةً واحدةً أحسستِ فيها بحَنيني؟

هكذا؟!

وإذن..

نحن الّذين

نصنع الحبّ كما نهوى..

وندعو الآخرينْ

مثلما نهوى..

ونشتاقُ لهم..

محضُ خيالْ

أبداً نبحثُ في الحبّ عن الشيء المحالْ

لن يكابرْ

أنفقَ العمرَ سُدىً

وهو على الحرمان صابرْ

لن يكابرْ

بعدما فات الأوانْ

لن يقول الآن: قد كان دماً يبكي..

وكانْ

إنّه الآن حزينٌ.. موحَشٌ حدَّ البكاءْ

موشِكُ الدمعةِ..

لولا الكبرياءْ

خفّفي عنه

ففي عينيهِ أوجاعُ قتيلْ

وعذاباتُ قتيلْ

لا تَلومي صمتَهُ

شئتِ له أنتِ السّكوتْ

كان إذ يَعشقُ

يبقى غَرِداً حتى يموتْ

وهوَ الآنَ مُسالمْ

ساهمُ النظرةِ.. حالمْ

صامتٌ.. يقرأ أوراقَكِ في شبهِ ابتهالْ

ضجةٌ من حولهِ لكنهُ

لا يعي أنمُلَةً مما يقالْ..

شطارة

.. وإذنْ

فالحبُّ في عرفكِ أخذٌ وعطاءْ

هو بيعٌ وشراء

هكذا..

بالاتفاقْ

وإذنْ..

إنْ مدّ كفيّهِ إليكِ

فكرّي.. ماذا يريدْ؟

وإذا خافَ عليكِ

راقبيهِ من بَعيد

ربّما..

فالناسُ لا تَضمَنُ في هذا الزمانْ

قَلقَ الغيرِ عليها

فلتكنْ أشواقُها بالعين، أو..

أو باللسان

دون أن تُعطي يَدَيها

فكّري

وارصدي كلَّ إشاره

فالهوى أيضاً شطاره

والذي يدعونَهُ الحبّ

وإن كان سعيدْ

فيه ربحٌ وخساره

وإذن فهو تجاره

فكرّي..

لاطفيهِ بمَهاره

عاتبيهِ بمهاره

مثلاً..

أنْ تَحسبي بَسمتَهُ الآن جَساره

أو تقولين لهُ:

أهديكَ شوقاً بالإعاره

هكذا

عندئذٍ في كلّ شيء تربَحينْ

بجداره!

أنا لا..

لستُ أعاتبْ

لا ألومْ

نحن صرنا كلُّ إنسانٍ لديهِ ما يَسوم

ويُقايضْ

لمَ لا؟..

ما دام في ما يملكُ الإنسان فايضْ!

وجعٌ وراء بابٍ لا يُطرقْ

قُلنا يضايقُها السؤال..

وقلتُ أنتِ ستسألينْ

إن لم يكنْ ذاك الحنينْ

ذاك الجنونُ بأسرِهِ

بالأنفِ، والفمِ، والجبينْ

وضياعُهُ في مقلتيكِ

والموتُ من قلقٍ عليكِ

إن لم يكن كلُّ الذي أبصرتِ أنتِ من السّنينْ

في بؤبؤَيْ عينيهِ

يلمعُ عندما تتكلّمينْ

إنْ كلُّ هذا لا يُثيرُ ولو سؤالَ العابرينْ

فعلامَ يقتلُكَ الحنين؟..

ونظرتَ للتلفون.. ثمّ الباب..

ثمّ إلى الجريده

حاولتَ..

غامتْ..

صارت الكلماتُ أشرِعةً بعيده

وجلستَ تنظرُ من جديدْ

في كلّ زاويةٍ بغرفتكَ الفسيحةِ..

تستعيدْ

ضحكاتِها.. وحنينَ عينَيها

وأنمُلَها الدَّفيئه

وضجيجَ نظرتِها البريئه..

نسيَتْ تُرى فعلاً؟؟

أم انشغلَتْ كأمسِ؟

خُذ الكتابْ

واقرأ، فقد تجدُ الجوابْ

يوماً بوجهِ الآخرين

يا أيّها المشدودُ للتلفون تنتظر الرّنينْ

أو طرقةً من فوق بابِكْ

أسَفاً على ماضي شبابِكْ

قُمْ أيّها الرجلُ الكبير

فقد كبرتَ على عذابِك

يكفيك..

لستَ ترى الحروف

وأنتَ تقرأ في كتابِكْ

انكسار

ليس لي من أحدْ

ليس عنديَ إلاّ رغَدْ

ورغد غائبه..

نزيف ليلي

شدّي أباكِ يا رغدْ
وأسنديه إنّه
أصبحَ من دونِ سندْ
ينزفُ من كلّ الجهاتِ
دون أن يدري أحد
أوجعُ ما غاص إلى
أحشائهِ حتّى الكبدْ
سكّين من يحسبها
ملجأهُ حتّى الأبَدْ

غربة

يـــا أمّ ســـيـــف تَـــبَـــرّا مـــنّـــي شـــتـــائـــي وصـيـفـي
مـــا عـــادَت الـنّـفَـسُ نفسي كـــلاّ، ولا الـطّـيـفُ طيفي
أبـــوك أمـــســـى مُـضـاعـاً مـــا بـيـن حَـــقٍّ وزَيـــفِ
يـــا ألـــفَ بـــؤسَـــى وبـؤسـى يـــا ألـــفَ حـيـفٍ وحـيـفِ
حـتـى سُـــهـــادُ الـلـيـالـي مـــا عـــادَ يـــا أمَّ سـيـفِ!

إلى ابنتي رغد

لأنَّــكِ كــلُّ الـظـلَّ عـنـديَ مـن أهلي
ذكـرتُـكِ إذ أبـكـى، وإذ رئـتـي تَغلي
غـريـبـاً ومـخـذولاً، وبـي ألـفُ طعنةٍ
خـنـاجُـرهـا والـطـاعـنـون بـهـا أهـلـي
أقـلّـبُ فـيـهـم أعـيُـنـي... يَذبحوننني
وأبـكـي، ويـبـكـي وهـو يَقتلُني نَجلي
ولـو كـان يـحـيـا إذ أمــوتُ عَـذَرتُـهُ
ولـكـنّـهُ قـبـلـي يـمـوت، ومـن أجـلـي
ولـي أمُّ أولادٍ، سـقـى الـلـهُ زرعَـهـا
ثـلاثـون عـامـاً وهـي تـجـهَـدُ فـي قَتْلي
تـفَـنَّـنُ فـي مِـن أيـن ضِـلـعـي تَـحُّـزهُ
أدورُ اتّــقــاءً، وهــيَ دائــرةٌ حـولـي
وهــا أنــذا أذوي رويــــداً وأنـطـفـي
فـلا زوجـتـي تـأسـى عـلـيَّ، ولا نَسلي
أكــان لِــزامــاً أن أعـيـش لـكـي أرى
رُفـاتـيَ لا بـعـدي تُـصـانُ ولا قبلي؟!

إلى ابنتي رغد أيضاً

أجَلْ يا ابنتي.. أصبحتُ مرتعشاً رَخوْا ... وصارتْ بأدنى الرّيحِ أشرِعَتي تُلوَى
تَوهّمتُ أنّي لن تقومَ قيامَتي ... وها أنذا من كلّ خاويةٍ أخوى
أحاسبُ نبضي كلّ يومٍ، وأختلي ... بضغطِ دمي حتى نهايتهِ القصوى
أراقبه يعلو ويخبو كأنّما ... مَساربُهُ تلهو بأوردتي لهوا
أجل يا ابنتي... ما عاد رَطْباً حديثُهُ ... أبوكِ.. ولا عادتْ مَجالسُهُ تُروى
وما عادت الأطيارُ تسعى لعشّه ... ولا عاد يَبني عشّهُ مثلَما يهوى
غدا متعَباً.. أمّا النّهار فَجلُّهُ ... عَناءٌ.. وأمّا ليلُهُ فهو للشّكوى
وكانت تُسَرّي عنه سلوى فأصبحَتْ ... تنوءُ بضعفَيْ ما ينوءُ به سلوى[1]
سلامٌ على طفلَيك.. والله يا ابنتي ... فؤادي على طفليكِ من قلقٍ يَذوَى
وبي لأبي سيفَ، وسيفَ وأخته ... حنينٌ أعاصي فيه دمعي فلا أقوى
وأمّا فراغي منكَ، فاللهُ وحدَهُ ... عليمٌ بأنّي أدَّريكِ بلا جدوى
أحاولُ أن أمحوَ خيالَك لحظَةً ... وأيُّ أبٍ يسطيعُ لابنتهِ محوا؟
تجاذبتني يا أمَّ سيفٍ وسلسلٍ ... إلى حدّ أنّي صرتُ لا أجدُ السلوى
وأصبحتُ إمّا انتابَني فيكِ هاجسٌ ... سرَتْ بالأسى منّي إلى أمّكِ العدوى
عليكِ سلامُ الله، واللهُ وحدَهُ ... عليمٌ بما في خافقي لكِ من نجوى..

(1) سلوى: زوج الشاعر وأم ابنته.

غربةٌ في ليلة الميلاد..

عاماً على عامٍ سَيَمضي العُمرُ يا ابنتيَ الوحيده
عاماً على عامٍ.. وأنتِ بآخر الدنيا بعيده
وأنا، مع الميلاد، أحسِبُ أشهُرَ السّنَةِ الجديده
شهراً، فشهراً
ثمّ أيّاماً وساعاتٍ مَديده
يا أمَّ سيفٍ.. مَن مُضاعُ العُمرِ يملِكُ أن يُعيدَه؟!
وأقول يوماً ما
وتبكي فوق أسْطُرِها القصيده؟
تلك الأماني، والأغاني، والمشاريعُ الوليده
صارَتْ حروفاً أمّ سيفٍ، سوف تُنشَرُ في جريده
وأنا أجرُّ خُطايَ في السّتين، مُثقَلَةً.. وئيده..

أعياد ميلادٍ سعيده
يا أيُّها الجَدُّ الذي للموت لا يَلقى حفيدَه..!

لو أخذتَم عيوني

بدأوا يرحلونْ
آخرُ العهدِ هذا بهم
يا دموعَ العيونْ..

كان أكبرَ خوفي
أنَّ عشّيَ يوماً سَيَعرى
وتُحلّقُ أطيارُهُ منهُ
طيراً، فَطَيرا

فلماذا إذن قد بنَينا؟
ولماذا زَرعنا
ولماذا سَقَينا
يا دموعَ العيونْ؟!

كنتُ أحمي مَناقيرَهم
أتَعذَّبُ حتى بخَشْنِ الطعامْ
وينامون..

أسهرُ..

أرقبُ أنفاسَهُم في الظّلامْ

مُشفقاً أن أنام!

مَن سَميرُكَ يا سيّدي بعدَهم

في الليالي الطويلَه؟

مَن أنيسُكِ يا مقلتي، يا كليلَهْ؟

عندما يصبحُ الدَّهرُ أعمى

ليس يدري دليلَهْ..؟

من لهذا الحطامْ؟

ولِمَن كنتَ تَجني؟

ولمن كنتَ تبني؟

ألنَفسِكَ؟؟

شيَّبْتَ حتى العظامْ!

واحداً

واحداً

سوف يستعجلونْ

وموارِبَةً يسألون

ما الّذي يستطيعون أنْ يأخذوا..؟

يا دموعَ العيونْ

لو أخذتُم عيوني

لو أخذتُم رفيفَ النّدى من جفوني

لو أخذتم ضياعي

وأخذتم جنوني

قبل أن تتركوني

كلُّ ما سوف يبقى

كلُّ ما رحتُ ستّين عاماً بهِ

أتباهى، وأشقى

من سيأخذُهُ

يومَ هذي العظامْ

في دُجى القبرِ تُلقى..؟

هم كلُّ زهوك

كَفكِفْ دموعَكْ

في مثلِ عمرِكَ

لا يَجوزُ لِمَنْ يَروعُكَ أنْ يَروعَكْ

ستّونَ مُوجَعَةً نَشَرْتَ على عَواصِفِها قلوعَكْ

وَرَكِبتَ بَحرَكَ..

لم تَسَلْ زاداً

وَلم تَستُرْ ضلوعَكْ

ورحلتَ

لم توقدْ شموعَكْ

مَن ذا سَيَسألُ

أو سيرقبُ، بعد أن تمضي، رجوعَكْ؟

كَفكِفْ دموعَكْ

أنتَ التصَقْتَ طوالَ عمرِكَ بالجدار لكي يمرُّوا

ضَيْقٌ ممرُّ الخوف..

ياما كانَ جلدُكَ يقشَعِرُّ

وَتُصرُّ أن يمضوا بدونكَ للأمان

ويستَقرُّوا

دَعْهُم يَمرُّوا

دَعْهُم،

فَليسَ بكلِّ ما عاشوهُ بارقَةٌ تَسُرُّ

حتى رضاهُم عنكَ مُرُّ

يا ما أصَرُّوا

والأرضُ توشكُ أن تخونَكْ

أنْ يُغلِقوا، بأعزّ ما مَلكوهُ

دَرْبَ المَوتِ دونَكْ

وضعوا صدورَهُمُ على الأبواب

واحتضَنوا شجونَكْ

ورأوا دبيبَ الموتِ نُصْبَ العَين

ما لَفَتوا عيونَكْ!

كانتْ خَوافقهُم تَدقُ

وتستميتُ لكي تصونَكْ

هم يَعبدونَكْ

تَدري

وتدري أنَّهم مِن صُغْرِهم كانوا دروعَكْ

وزَرَعْتَ، لم يَطأوا زروعَكْ

وتصدَّعَتْ بكَ ألفُ مُوجِعَةٍ

فما نكأوا صُدوعَكْ

هم كلُّ زهوِكَ

لا تخَفْ..

لن يَكسروا يوماً ضلوعَكْ

كفكفْ دموعَكْ

في مثل عمرِكَ

لا يَجوزُ لمن يروعُكَ

أن يَروعَكْ..

لا تطرق الباب

لا تَطرقْ الباب.. تدري أنَّهم رَحَلوا ... خُذِ المفاتيحَ وافتحْ، أيُّها الرَّجُلُ
أدري ستذهبُ.. تَستَقصي نَوافذَهُم ... كما دأبتَ.. وتَسعى حيثُما دخَلوا
تراقبُ الـزَّادَ.. هل ناموا وما أكلوا ... وتُطفيءُ النُّور.. لو.. لو مَرَّةً فَعَلوا
وفيك ألفُ ابتهال لو نَسوهُ لكي ... بهم عيونُكَ قبلَ النَّومِ تكتحلُ
لا تَطرقُ الباب.. كأنوا حينَ تطرقُها ... لا ينزلون إليها.. كنتَ تنفعلُ
ويضحكون.. وقد تَقسو فتَشتمُهُم ... وأنتَ في السِّرِّ مَشبوبُ الهوى، جَذِلُ
حتى إذا فتحوها، والتقَيتَ بهم ... كادتْ دموعُكَ فرْط الحبِّ تنهملُ
لا تطرق البابَ.. من يومينَ تطرُقُها ... لكنَّهُم يا غزيرَ الشَّيبِ ما نزَلوا
ستُبصرُ الغُرَفَ البكماءَ مُطفأةً ... أضواؤها.. وبقاياهم بها هَمَلُ
قمصانُهُم.. كتبٌ في الرفِّ.. أشرطةٌ ... على الأسِرَّةِ، عافوها وما سَألوا
كانتْ أعزَّ عليهم من نَواظرِهم ... وَها عليها سُروبُ النملِ تَنتقِلُ
وسَوفَ تلقى لُقىً.. كم شاكسوكَ لَكي ... تبقى لهُم.. ثمَّ عافوهُنَّ وارتَحَلوا
خُذْها.. لماذا إذنْ تبكي وَتلثمُها؟ ... كانتْ أعزَّ مُناهم هذهِ القُبَلُ
يا أدمُعَ العين.. مَن منكم يُشاطرُني ... هذا المَساءَ، وَبَدرُ الحزنِ يَكتَمِلُ؟!
ها بَيتيَ الواسعُ الفَضفاضُ يَنظرُ لي ... وكلُّ بابٍ بهِ مِزلاجُها عَجِلُ
كأنَّ صَوتاً يُناديني، وأسمَعُهُ

يا حارِسَ الدَّار..

أهلُ الدَّارِ لن يَصِلوا...

ملفٌّ خاصّ

نداءٌ إلى شجر اللّيلك

يا بتولْ
ما الّذي يستطيعُ النّدى أن يقولْ
غيرَ أنْ تتناثرَ أحزانُهُ
أدمُعاً في الحقولْ

فإذا ما رأيتِ غداً
قطرةً صافيهْ
فوق لَيلَكةٍ غافيه
فاعلمي أنني كنتُ أبحثُ عنكِ
واعلمي أنني كنتُ أبكي..

لا.. لا تَنَمْ لَيلَكْ . يا شجر اللَيلَكْ
فعندَنا زهرةٌ قد سكنَتْ مَيلَكْ
ويلَكَ لو نمتَ عن أحلامِها ويلَك

دعاء في ليلة مقمرة

رفقاً بعينَيها إلى أن تنامْ
يا نُعاسْ
انشرْ عليها السلامْ واترُكْ لعيني السَهرْ
فعَينُها من غمامْ ومقلتي من حجَرْ
وحين يَهمي الظلامْ هواجساً.. أو مطرْ

كُنْ لكراها مَلاذْ
فلا تُلامسُهُ سوى بالرّذاذْ
تسقي به أحلامَها الدّافيه
أو زهرةٌ غافيه
في ثغرها الحالمْ
يا نعاسْ
رفرفْ بجنحَيْ مَلَكِ
على ربيع وجهها النائم..

الدّهشةُ المنكسرة

لا بأس يا بتولْ
قد.. غربةٌ تطول
قد حُلمٌ نحبّهُ
لسببٍ يزول
وعندّها
لا يجدُ الإنسانُ ما يقول
أو
لا يملكُ الإنسانُ ما يقول..
عذراً لهذا المتعَبِ الغارقِ في الذّهولْ
الآيلِ للذّبول
عذراً لما في قلبهِ يجول
لكنّني..
وهو اندهاشٌ موجَعٌ.. خجولْ
لم أتصوّر انتظاري هكذا يطول
وأنتِ في العراقِ يا بتول..

تغيّرتْ فصولْ

واختلفَتْ فصولْ

وأنتَ في مَكتبتِكْ

تجهلُ أنّ الأرض من حولكَ قد تَحول..

قلَقُ النّهايات

سَـــرابُـــكِ بـيـن أوردَتـــــي يـجـولُ
فَـبـي عَـطـشُ الـمـتـاهـةِ يـا بـتـولُ
أراكِ فـأغـتـدي كُـلّـي عـيـونـاً
وألـــسِـــنـــةٌ ولـــكـــنْ لا تـقـولُ
وفـــي رئـتـيَ ألـــفُ جـنـاحِ شـوقٍ
يـطـيـرُ بـريـشِـهـا قـلَـقٌ خـجـولُ
فـلا أنـــا مُـفـصِـحٌ عـمّـا أعـانـي
ولا وَجَـعـي عـلـى صـمـتـي يـزولُ
ســرابُـــكِ بـيـن أوردَتـــــي يـجـولُ
وطـيـفُـك لا يَـبـيـنُ، ولا يَـحـولُ
وأفـــجَـــعُ مـا أعـانـي فـيـكِ إنّـي
أرى الأيـــــامَ مـوكـبُـهـا عَـجـولُ
أطـيـرُ بـكـلِّ أجـنـحَـتـي إلـيـهـا
فـتَـسـبـقُـنـي الـمـواسـمُ والـفـصـولُ
ويَـسـبـقُـنـي شـعـوري أنّ قـلـبـي
حَـمـامـتُـهُ لـضـغـطِ دمـي رسـولُ
وهـا أنـــذا أجـــاذبُ فـيـكِ نـفـسـي
وأعـلـمُ أنّ غـائـلَـتـي تَـغـولُ

فـلا تـتـأسّـفـي إنْ جـئـتِ يـومـاً
وقـد سـكـتَـتْ بـلابـلُـهـا الـحـقـولُ
فـكـلُّ نَـديّـةٍ ولَـهـا جَـفـافٌ
وكـلّ مـضـيـئـةٍ ولـهـا أفـولُ..

لَوْلا..

مثلَ سربِ العصافير بلَّلَها الماءُ

قلبي

كان وجهُكِ قربي

وهو ينبضُ

ينبضُ

بَيْنا شَفاهي تَمرُّ على خدِّكِ المُتوَرّدِ

تبلغُ منعطَفَ الثّغرِ

أوشَكْتُ أنْ..

ونظرتُ لعينيكِ..

الله..

كم كان وجهُكِ يَسبي

وكم كان صمتُكِ يسبي

وثغرُكِ بالطّهرِ يُنبي

وبالشّوقِ يُنبي

ولولا نداءٌ كسَرتِ بهِ كلَّ أجنحةِ الطّير

لانزرعَتْ من مَناقيرِها في شفاهِكِ

غابةُ حُبٍّ

هل الذّنبُ ذنبي؟

لماذا تكونين أبعدَ من أيّما نجمةٍ

بينما أنتِ جَنْبي؟!

مياهُ النّور

تشرقُ الشمسُ شمسَينْ
أنهارُ ضوءٍ تشعشعُ، والعين
مبهورةً تبحثُ النّورُ مِن أين؟!
ما تعلّمْتَ
ستين عاماً طويتَ
ولا.. ما تعلّمتَ
ها هيَ تحسرُ أرديَةَ الغَيمِ عن ضوئها..
أيُّ مُنفَرَجٍ للمَجرَّةِ هذا؟!
أرأيت؟
لو انَّ الكواكبَ تجتمعُ الآن
تملكُ أن تتلألأ بين غلائِلها
مثلما يتلألأ مجرى جداولِها؟
وتُكابرُ أنَّكَ من ألفِ نبعٍ شربتَ
ومن ألفِ نبعٍ سَقَيت

وستّين عاماً طَويَت

ولا.. ما تعلَّمتَ

ها هيَ تمنحُكَ الآن أصفى ينابيعها..

أيُّ عينٍ لها مثلُ هذا المدى

للتَّزَلُّجِ؟!

أيُّ دمٍ يملكُ الآن هذا النّدى

للتّوهُّجِ؟!

وهيَ تحاولُ..

كنْ باسلاً

وافْهَم الآن أنّكَ دمعتُها

وابتسامتُها

أنتَ قامتُها

فحذارِ.. حذارِ

وويلَكَ لو تَنثني

كن كبيراً ولا تَنْحَنِ

فهيَ تمنحُكَ الآن فرصةَ أن تَنتَقيها

وأن تتألّقَ فيها

وكلُّ المياهِ التي في يَنابيعِها

أنتَ أوّلُ مَن يَتَّقيها
وآخرُ من يتَّقيها..

أيّها النّور
يا أيُّها النّور
أمواجُ بلّور
تنسكبُ
القلبُ ينسربُ
الأرضُ أجمعُها بي تدور
وهي واقفةٌ لِصْقَ ثغري
مُهدَّلَةٌ فوق صدري

وأنا..
كالمُغيَّبِ أرنو إليها
رغوةُ الماء في مقلَتيها
وضعَتْ يدَها في يدي
كان كلُّ النَّدى في يدَيْها..

صلاة

أَلِكي تَطمئنَي؟
أم لكي تدفعي لَهْبَةَ النّارِ عنّي؟
أَفَخوفاً عليّ؟
أم تَخافينَ منّي؟؟
أم لأنّا معاً عُرضَةٌ للتَّجَنّي؟!
يا ابنَتي بالتَّبني
وابنتي بالتَّمني
وابنتي زائداً ألفُ ظنٍّ وظنّ
سوف أشهِدُ كلّ المحاريبِ أنّي
عندما سأصَلّي بها
أو أغنّي
ستكونين أتقى خشوعي
وتكونين أنقى دموعي
وتكونين أدنى إلى اللهِ منّي
كلّما أُسرِجَتْ لدُعاءِ شموعي..!

سؤال

رغمَ كلّ العلَلْ
رغمَ كلّ الشّروخْ
رغمّ كلّ الدَما
رغمَ كلّ الجروخْ
رغمَ كلّ الذي أنتِ أودَعْتِهِ
فيهِ جسماً وروخْ
كلّ جرحٍ أرَيْتِ، وأسمَعتِهِ
كلّ ظلمٍ تَمادَيْتِ في نَعْتِهِ
ما تقولين لي
في أبٍ مُكرَهاً ودّعَكْ
وأبٍ أنتِ ودّعتِهِ؟!

وصيّة

إنْ صَحَت السّماءْ
من هذه السحابهْ
إذا أفَقْنا كلُّنا من هذه الكآبه
وعُدْتِ يوماً ما إلى الكتابه
وليس لي علمٌ
متى؟
أو أينْ؟
لكنّني لي دَينْ
عليكِ يا ماسيَّةَ العينَينْ
أن تكتبي عن شاعرٍ
دَقّتْ عليه بابَهْ
صَبيّةٌ باذخةُ النَّهرَينْ
شديدةُ الغَرابه
ظَنّ بها الظنونْ

قيلَ لهْ

إنّ الذي فيه لها جنونْ

لكنهُ كان بها أسعدَ ما يكونْ..

جَفّتْ به عيون

وانبجَستْ عيون

أحسَّ في الستيّن أنّهُ ابتدا شبابه

إن عُدتِ يوماً ما إلى الكتابه

تَحَدَّثي عن شاعرٍ

دَقّتْ عليه بابَهْ

صبيّةٌ

ما علمَتْ

بأنّها من دون قصدٍ

أيقظَتْ عَذابَهْ

وداع

لا تَحزَني أبداً أمامَهْ

حتى ولو أبصرتِ في عينَيهِ من وجعٍ غَمامه

لا تُسعفيها أنْ تَهلّ

فيستَهلّ بها كلامَهْ..

لو.. لو جَمَعتِ له ابتسامه

حتى ولو من كلّ حزنكِ تجمعينَ لَهُ ابتسامه

قولي لهُ:

ما زال زَهوُ العمر يمنحهُ وِسامَه

وبأنّ كلّ قصيدةٍ في الحبّ يكتبُها عَلامه

قولي:

ولن أنساكَ..

فالإنسانُ لا ينسى ذِمامه

قولي له

وسنلتقي..

قد.. قد يُصدّقُ يا حمامه

وسيستَعينُ بكلّ ذاك

لكي يقول:

مع السّلامه..

البجعة المهاجرة

يا رَفَّةً بيضاءَ

فوق بُحَيرةِ البَجَعِ

في أيّ مُنتَجَعِ

نَسَّلْتِ ريشُكِ

ثم جئتِ لتوقظي وجَعي؟!

كتابة على الماء

ما أجملَ أن نكتبَ شعرا
نتتبّع أمواجَ الرّوح
وأشرعةَ الكلمات

نركضُ والمجرى
نعبرُ للضّفةِ الأخرى
نضحكُ
نبكي
ونحبُّ
ونَعَرى

أنبَلُ ما فينا يَعرى
الرّوح
الطفلُ المجروح

في داخِلنا يَعرى
ويُطَرطشُ في الماءْ

يكتبُ في صفحتهِ أسماء

يمحو أسماء

للَّهوِ، وللذكرى

للَّهوِ..

وللذكرى

للذكرى..

يا للأوهامْ

بعد ثلاثة أيّام

تصبحُ كلّ حكايتنا ذكرى

ما أوجعَ أن نكتبَ شعرا..!

محارة الكرستال

ها هي ذي أمامي
تلمعُ في المرآةْ
وأنتِ في داخلها
لؤلؤةٌ فريده
مأسورةٌ..
وحيده
لكنّها تنبضُ بالحياةْ

يا مهرجانَ النّور
يا محارةَ البلّور
يا آيةَ الثلج الذي تشب فيه النارْ
يا مَحْبَساً يوهمُنا بأننا أحرار
من أين يأتي الدفءُ؟
والثلوجُ، والأمطار

تَكَدّسَت جميعُها

في ضفّتَيْ مَحاره

بينَهما لؤلؤةٌ

تنبضُ حدّ الموت

بالبردِ..

وبالإثاره!

دموع الرّوح

الآن أبكي بدمعِ الروحِ لا المُقَلِ
الآن ما عاد.. لا يأسي، ولا أمَلي
في لحظةٍ، بين إن كانتْ هنا ومَضَتْ
أصبحتُ عودَ ثُقابٍ جِدِّ مُشتَعلِ
أهكذا الرّوحُ أيضاً تَنحني؟... وإذَنْ
ماذا تَبقّى بهذا الصّرحِ لم يَمل؟!
في لحظةٍ شاخَتْ الأوجاعُ أجمعُها
حتى النّدى شابَ في ينبوعهِ الخَضِلِ
الله.. قد ترحلُ الدنيا بآهلها
على حقائبِ شخصٍ عنكَ مُرتَحِلِ..!

يا بعيدون

نصفُ قلبي هنا نصفُ قلبي هناكْ
يا بَهيَّ السّنا أين منّا سَناكْ؟
كان كلُّ الغنى في هوانا غناكْ
والهنا، والمَنى أن نُداري مُناكْ
ثمّ عادَ الشَجَنْ والفراغُ الطويلْ
وانتظارُ الزّمنْ في سُراهُ الثقيلْ
يا بعيدونَ عنْ مائنا والنخيلْ
علّ وجدتُم وطنْ عن ثَرانا بَديلْ؟
نحنُ نبقى على جمر ذاكَ الفراقْ
لا انطفأنا ولا مَلّنا الإحتراقْ
فاسألوا مَن سَلا أيّ دمعٍ أراقْ
وهو يمضي إلى غيرِ أرضِ العراقْ

انطفاء

لِتكنْ آخرَ الكلماتْ
لا أحاولُ جرحَ اغترابكِ
بي مثلُهُ الآن
رغمَ اختلافِ السّماتْ
فَرْقُ ما بيننا
إنّني كان لي هاجس
كنتُ صادَقتُهُ زمناً
ثمّ ماتْ
بينما تَسألين هواجسَكِ الكُثْرَ أسماؤها
وبكلِّ اللُّغاتْ
ولهذا اغتَربْنا
أنا فَرْطَ موتي
وأنتِ لفرطِ الحياة!
لِتكنْ آخرَ الكلماتْ

كنتُ عَلّلْتُ نفسي بأنّكِ

حين تعودين ثانيةً لاغترابكِ

أو..

ليَكُنْ

لاغترابكِ!

سوف يكونُ لكلّ الذي تكتبين

خصوصيّةٌ

الذي تكتبين لهُ في الأقلّ

خصوصيّةٌ

قلتُ لن تَدخلي في غيوم التآويل ثانيةً

وأقِرُّ بأنّيَ أخطأتُ

ما خانَني الحَدسُ يوماً

ولكنّهُ خانني الآن

أو..

أو أسأتُ أنا فهمَهُ..

لم أميِّزْ

هنا غُربَةٌ أصبحَتْ ملجأً

وهنا غربةٌ شِبْهُ منفى

وساءلتُ نفسيَ ألفا

لماذا إلى الآن تبحثُ عن أيّما مَهرَبٍ للحروفْ؟

أبجديّتُها كلُها بي تطوفْ

ولكنّها تتَسّربُ من بينِ كلّ السطورْ

على كلّ شيءٍ تدور

سوى أن تُثبّتَ أعيُنَها في عيوني

وتمضي.. وتتركني في ظنوني

ليُكنْ

ولتكنْ آخرُ الكلماتِ

إلى الحبِّ زُلفى

وإلى الموتِ زُلفى

أنا أعلمُ أني سأغرقُ في غربتي

وهي منفى

وأعلمُ أنّك

من وَجَعٍ

ربّما تَغرقين بغُربتكِ المستحبّةِ

حتى لَيصُبحَ إدمانُها مَرضاً ليس يشفى

فاذا ما التقَينا

وأكبرُ ظنّيَ لن نلتقي

فاشَهقي

إن رأيتِ بعينَيَّ صورةَ تلك التي كنتُ عَبْر مَدارجِها

أرتقي

حَدّ أن يملأ اللهُ روحي

فبدَتْ لكِ مثقلَةً بالجروحِ..

لا تقولي تحَطمَ في قلبهِ لَوحُ مِرآتِهِ

أنتِ جَرّحتِ صفوَ المرايا

وَحّولتِ ماسَتَهُ لشظايا

فهَوَتْ نجمةُ الروحِ من عَرشِها

للسّفوحِ..

فاشَهقي

إن رأيتِ بعينَيّ صورةَ تلك التي كنتُ عَبْر مَدارجِها

أرتقي

حَدّ أن يملأ اللهُ روحي

فبدَتْ لكِ مثقلَةً بالجروحِ..!

لا تقولي تحَطمَ في قلبهِ لَوحُ مِرآتِهِ

أنتِ جَرّحتِ صفوَ المرايا

وَحّولتِ ماسَتَهُ لشظايا

فهَوَتْ نجمةُ الروحِ من عَرشِها

للسّفوحِ..

قراءة في رسالة محايدة

لؤلؤتي البعيده
تسألني إن كان لي مُلهِمةٌ جديده
لؤلؤتي الوحيده..!

يا عينُ، كنّا... وللأيام طارئُها ... كانت لنا سُفُنٌ هذي مَرافئُها
كانت لنا، رفْقَةٌ للآن مُعشبةٌ ... هذا نَداها، وها... هذي مَخابئُها
وكان في بيتنا سَقفٌ، وزاويةٌ ... في البردِ والحرّ تُؤوينا مَلاجئُها
كانت تُفاجئُنا يا عينُ... مسرعةً ... تأتي وتمضي... وكنّا لا نُفاجئها
فعندَنا كان للأيام مُفرغُها ... وعندَها كان للأيام مالئُها
ولم نُسئْ فهمَها يا عين، ما جَفلَتْ ... وما اطمأنّتْ.. وما ضاءتْ لآلئُها
ولا، وقد ملأتْ أيامَنا فرَحاً ... بغيرِ هذا الهوى يوماً نكافئُها
أإن نأتْ موجةٌ يا عين، أنكرَها ... تيّارُها، وإدانَتْها شواطئُها؟!

وملهمتي الجديدةُ أنتِ..

فانتَبهي لمسراكِ

نسينا يا بتولُ الأرضَ، كلَّ الأرضِ، إلّاكِ

وكِدنا..

كادت الأوراق والأقلامُ لولاكِ

ولم أبرَح إذا أغفيتُ

توقظُني حَكاياكِ

ولم أبرح إذا بُعثِرْتُ

تجمعُني بقاياكِ

ويا ماسيّةَ العينَينِ

يا سَقفي وشبّاكي

ويا مرزابيَ الباكي

نذرتُ لكِ انتفاضَ الروح

أجنحةً لمرآكِ

نذرتُ على سنا عينيكِ

أشرِعَتي وأفلاكي

وقلتُ غداً سألقاكِ

على الأمطارِ ألقاكِ

بوَقْدِ النارِ ألقاكِ

فهل يا كلَّ مرتكزي

وهل يا كلَّ إرباكي

ستزرعُني مياهُ النور يوماً في حناياكِ

وهل يوماً سألقاكِ؟

وهل يوماً إذا ما قلتُ أنساها

سأنساكِ؟!

قصائد كُتِبتْ لها

1995

بداية القلق

كرَفيفِ أجنحةِ الحمامْ

كمجرّتَينِ تُشعشعانِ بمقلتيكَ مدى الظلامْ

أضواءُ عينيها

وأنتَ سُدىً تحاولُ أن تنامْ..

هَدْهِدْ عيونَكْ

فالضّغطُ يوشكُ أن يخونَكْ

والليلُ صاحٍ لا نُعاسَ بهِ لِتُسْلِمَهُ جفونَكْ

وشفاهُها في جوفِ هذا اللّيل تَستعدي ظنونَكْ

وظِلالُها مثل الغمامْ

تَهمي عليك بصمتِها

بقصيدَتيها

بالكلامْ

برفيفِ كَفّيها بكفّكَ وهي تومئ بالسّلامْ

يا صاحبي..

يا صاحبي..

من أين يأتيك السّلامْ

والفجرُ لاح

وأنت تبحثُ بَعدُ عن معنى ريامْ..!

1995 /1 /21

إهداء

لمجرّتَينِ تُشعشعانِ
ولمقلَتينِ بُحيرتَينِ بدونِ دمعٍ تدمعانِ
لفمٍ به كلُّ المعاني
الشّوقُ
والقَلَقُ المُعذّبُ
وهو بينهما يُعاني
لو.... لامسَتْهُ شفاهُ مَن يهوى..
وترتعشُ الشِّفاه
يا أنتِ
يا دنيا مياه
رطبٌ جوانُحها،
نديٌّ كلُّ منعطَفٍ أتاه
سَبّاحُها
أنثى... ولكنْ في غياهبها إله

لو لامسَتْ حجراً مَواجعُها

لأورقَ بالحياه

أترى... سمير أميس،

أم عشتار طيفُكِ

أم ريامْ؟

أم أنَّ أرديةَ الغمامْ

نفضَتْ على وديانِنا أمطارها من ألف عام

فنهضتِ أنتِ من الرُّخامْ

مبتلّةً بالخصب،

مُثقَلَةً بأوسمة الغرامْ..

1995/1/28

تَداخُل

مَن رأى قُبلةً بين كَفّين؟

أقسمُ أنّي رأيتْ

كنت أنظُر في مقلتَيها

حين مدَّتْ يداً لِتودّعَني

ومددتُ يدي في ذهولٍ إليها

كلّ ما أذكر الآن

أنّيَ حين لمستُ أصابعها

رجفَتْ

وارتجفتُ

فغَلغَلتُ في يدها

أسلَمَتْني ودائعَها

وتغلغلتُ..

كانت أصابُعنا تتشابَكُ

أعْيُننا تتشابَكُ

أنفاسُنا تتشابكُ

مِلءَ مَساحتِها
وشدَدْتُ يدي
فانحنَتْ راحتي فوق راحتِها

ضاع كلُّ المدى
وهي مبتلّةٌ بالنّدى
كدتُ أن..
سحَبتْ يدها
وهي ترتّد مجفلةً
نظرتْ في اشتياقْ
ونظرتُ
وفي راحتي... وبراحتِها
بَلَلٌ واحتراقْ

عندما خرجَتْ
كنتُ أنظر في راحتي
فرأيتُ بها أثراً للعناقْ..

«في يومٍ ما»

بَهاءُ الجنون

هـل كـنـت تـنـتـظـريـن مـنّي أن أبـعـدَ الـنّـيـران عـنّـي؟
أن أطـمـئـنَّ إلـى الـظّـمـا وإلـى الـجـفـافِ، وتَـطـمـئـنّي؟
وإذن فـأيـن ضـراوَةُ الـ طـوفـانِ فـي روحـي وفـنّـي؟
وإذن فـأيـن بَـهـاؤنـا إن لـم أجَـنَّ، ولـم تُـجَـنِّـي؟!
هـذي شـفـاهُـك مـلءَ روحـي مـلءَ خـوفـي، مـلءَ ظـنّـي
مـلءَ اشـتـعـالَ دمـي فكيف أحـيـلُـهُـنَّ إلـى تَـمَـنّـي؟!
أتـرَيـن لـو أنّـي مـدَدْتُ إلـى الـفـراغ يَـدي.. وأنّـي
مـا لامـسَـتْ شَـفـتـايَ خـدَّك وانـتـحـرتُ لـكـي أُثَـنّـي
والـنّـارُ فـي شـفـتَـيـك تُـشـعـلُ كـلَّ أوردَتـي، كـأنّـي
سـأمـوت فـوق مَـدار ثـغـرك هـل خُـلِـقـتُ لـكـي أُغـنّـي
هـذا الـجـحـيـمَ بـأسـرِهِ وأنـا حـبـيـبُـكِ بـالـتَّـبـنّـي؟!

1995/1/28

ندى

دخلَت دون موعد كلّ شيء بها ندي
حين راحت وسلّمتَ يدُها أعرقَت يدي

1995/1/29

الإله الأسير

لُغتي خائفه
أيُّها السّندباد
تعلَّمتَ عمرَكَ أن تزدهي
وسَطَ العاصفه
ها هي الآن تشحذُ كلَّ أنوثتِها
ألفُ نصلٍ بهذي المقَلْ
ألفُ نصلٍ بهذي الشَفاه
حين ألقيتَ قلبَكَ فوقَ أسِّنتِها
أصبحتْ هي كلَّ الدّياناتِ
ماذا تَبقّى لديكْ
أيُّهذا الإله؟!

شفتاها في شَفتَيكْ
وهي تميلُ عليك

عَلِّمها أن تُحرقَ كلَّ تواريخ الأرض إليكْ..

لأنّها ريامْ
لأن بندولَكَ بين الضّوء والظلام
ينزو إليها،
وهي من أعماق ألفِ عامْ
تدعوك..
فامنحْ شفتيها الخصبَ
والسّلامْ

هذي امرأةٌ تملكُ خِصبَ الأرضْ
طاعتُها فَرضْ
وتحدِّيها فَرضْ
فانظرْ ماذا تملكُ أن تزرعَ فيها
بين خطوط الطّولْ
وخطوط العرض..!

1995 /1 /30

كلُّ الدروب تؤدّي

نقفُ الآن عندَ انعطافِ الطريقْ
أنتِ لن تَدخلي للحريقْ
أنا أعلمُ..
ستّونَ غافلةً علّمتْني
أنَّ مَن يُتقنون حساباتِهم
قَلَّما يُنجدون الغريقْ..

سوف أعلنُ أنّيَ أخطأتُ سيّدتي
أنّ أوردَتي
كلُّها كذبتْ
كذِبتْ فيكِ كلُّ الشّرايين
والنّبض
حتّى الشّهيقُ..
وحتى الزّفيرْ

سوف أعلنُ أنّي فقيرْ

دائماً أتخبَّطُ بين الرّمال

وبين الهجير..

غيرَ أنّي بأهداب عيني

أفرشُ الدّربَ بين حبيبي وبيني

أنتِ

عفواً

ستستخدمين ذكاءكِ

أو... كبرياءكِ

لا فرق

كلُّ الدُروبِ تؤدّي إلى عدم الالتزامْ

واختصار السّلامْ

ثمَّ من بعدِها

ستُحيِّينهُ من بعيدٍ

بنصف ابتسامْ

وثقي أنّني في انعطاف الطّريقْ

أتجاوزُ كلَّ الهوامشِ متّجهاً للحريقْ..

1995/2/1

صيام

في اليوم الخامس من رمضان، دخلتْ عليه مكتبه وهي صائمة.. فارتجلَ.. وكتَب:

أعــزُّ الــوجــدِ وَجــــديَ فــي إلــهــكْ
وأقسى الـصّـوم صـومـيَ عـن شفاهِكْ
وقــد، عــن دجـلـةَ الـقـدّيـس، أنـأى
ولـكـنْ كـيـف أنــأى عـن مـيـاهِـكْ؟!
فــلا تـتَـعــمّـدي قـتـلـي صـيـامـاً
فـتـصـبـحُ آهَـتـي سـبـبـاً لآهِــكْ!

1995/2/5

أجنحةٌ جديدةٌ لفرحٍ قديم

- مثلَ طفلَينِ جئناكَ
نحملُ أندى أغاني طفولتِنا
من زمانِ البَكاره
عُمرنا للخساره
عندما لا نزورُكَ
سلمانُ، يا سيّدي
عُمرنا للخساره..[1]
وولِعنا بهذا
وعرفنا لماذا
كلُّ بغداد كانت تُغنّي
والصّبايا يُزَغردنَ متجهاتٍ إليكْ
بالهوى، والتّمنّي

(1) أغنية بغدادية مشهورة، وسلمان هو سلمان الفارسّي صاحب النبي (ص).

عاقداتٍ عليكْ

قلقَ العُمرِ

معتقَداً، ومَلاذاً

مثلَ طفلينِ جئناكَ يا سيّدي

كلُّ أجنحة الحبِّ صارتْ محرَّمةً

فالتَمَسنا جناحَكْ

أنتَ أكبرُ من أن تُعاقبَ قلباً على جرحِهِ

فاعتَبِرنا جراحَكْ

ومررنا بمرقدِكَ النّبويِّ

وفي كلِّ نبضةِ قلبِ

نداءٌ من القلبِ

هَبْنا سماحَكْ

وعرفنا الضّياعْ

وعرفنا الدُّوارْ

وعرفنا التّسكُّعَ دونَ قرارْ

ثمَّ لمّا اهتدَينا إلى دربنا

كنتَ تنشرُ فوقَ هوانا وشاحَكْ

أنتَ

يا سيّدَ الكونِ أجمعِهِ

يا نَجيَّ النبيِّ وصاحبَهُ

يا حبيباً أضاء كواكبَهُ

في سماء العراقْ

فتبارى إليها وغنّى

كلُّ أهل العراقْ

لكَ من عاشقَينِ بأرضِ العراقْ

ألفُ قبلةِ حبٍّ

وألفُ اشتياقِ

ونزورُكَ يا سيّدي

ونُغنّي

ما بَقيْ في التواريخِ باقِ..

1995/2/6

وجرى جدوَلي في مياهِك

عندما يدخلُ الغيمُ في الغيمِ
يشتعلُ البرقُ ملءَ الأجنّةِ
كلُّ الجذور تُقلِّصُ أرحامَها
في انتظار المطَرْ
ثمّ يُعلنُ عن خِصبهِ التُّربُ
حيثُ انفَطَرْ

تلكَ معجزةُ الأرضِ في الخَلق
معجزةُ الخَلْقِ في الأرضِ
مَجمَرةً، ومياها

فانظري
كيف يستنفرُ الزّهرُ في موسمِ الخِصبِ
كلُّ مَياسمِهِ
فتُعرِّي هواها

تتَدلّى الكؤوسُ على بعضِها

والتّويجاتُ في بعضها

وتُلاقي الشِّفاهُ الشِّفاها!

إنَّها سُنَّةُ الخصبِ

فانتبهي

هل رأيتِ على الأرضِ من سُنّةٍ للتّجلّي سواها؟!

وزرعتُ فمي في شفاهِكْ

وجرى جدولي في مياهِكْ

تُرى

هل درى

عطَشُ العُمرِ

أنّي نذَرتُ لَهُ

ماءَ روحي نَدى؟

ونشَرتُ لَهُ

من جروحي مَدى؟

وبذرتُ مواجعَهُ في دمي

وعذرتُ دمي إذ سقاها؟

أنا لستُ سوى عابدٍ

أنتِ معبودُهُ البشريُّ

فلا تَفزعي

أنْ غدَونا على قَدْرِنا

تابعاً

وإلها..

1995 /2 /8

سلاماً يا أنوثتَها

كأجنحةِ العصافيرِ
تُرفرفُ بينَنا
وأنا
أضمُّكِ دون تفكيرِ
إلى صدري
ولا أدري
بأنّي كنتُ أعصرُها
فتدفعُ بالمناقيرِ!

سلاماً يا نواطيري
سلاماً يا أنوثتَها
تُزغردُ في مَشاويري
تشعُّ بألفِ إكسيرِ
وألثمُها

وينبضُ في فمي فمُها

فيوقظُني جناحُ الطّير

يخفقُ بيننا وَجِلاً

فيلهثُ في دمي دمُها

ويضرمُني

ويُضرمُها

فأجذبُها إلى مائي

وألصِقُها بأحشائي

ويبقى الطّير

كلُّ الطّير

يشهقُ ملءَ أرجائي..

1995 /2 /9

غزلٌ عباسي

أيّتُها المُدَلّلهْ يا قمراً ما أكمَلَهْ
لا يملكُ النّاظرُ في عينيهِ إلّا البَسمَلَهْ
عينان أم، أم نجمتان في سماءٍ مُقفَلَه
وكلُّ عينٍ حولَها تعويذةٌ ومِكحلَه
وهذه الغلائلُ الـ ـحَول الخدودِ مُرسَلَه
أمواجُ شَعرِ هذه أم ليلةٌ مهدَّلَه؟!
سبحانَ من لملَّمَ ضوَ ءَ، الليل، ثمَّ أسدَلَه
فصار حولَ وجهها كغيمةٍ مُنهمِلَه
ثمَّ رمى في الشَّفَتين وردةً مشتعلَه
أجَمرةٌ في الوجه هـ ذا الثّغرُ، أم قُرُنفُلَه؟1
يُحرقني يُغرقني أموتُ كي أقبِّلَه
وكلّما أدنَيتُهُ أبعَدَ عنّي مَنهَلَه
يا عطَشَ العُمر ويا قصائدي المؤجَّلَه
هذا هو النّبعُ ولن نهدأ حتى نَصِلَه
حتى نرى الكوثرَ.. يا كوثرَها ما أبخَلَه
وما أعزَّ زهوَهُ وما أُحَيْلى خجَلَه
أيّتُها المُدلّله يا حُلُماً ما أجملَهْ

يـا أنـــت يـا أنـثـى بـغَـيـمِ ألـــفِ أنـــثـى مُـثـقَـلَـه
بـــألـــفَ شـــوق جـامـحِ وألـــفِ نـجـوى مُـغـفَـلَـه
قـوامُـهَـا مـا أعـدَلَـهْ ونُـضـجُـهـا مـا أكـمَـلَـه
سـنـبـلـةٌ فـارعـةٌ تـغـارُ مـنـهـا الـسّـنـبـلَـه
لـلـه هـذا الـكَـفَـلُ الـ ـبـاذخُ.. مـن ذا كَـفَـلَـه؟
ومَـــن أذاب خـصـرَهُ ومَـــن أثـــارَ مـرجَـلَـه؟
وصـدرُهـا.. يـا صـدرَهـا فـي كـلِّ ركـنٍ حَـجَـلَـه
تـنـبـضُ تـحـتَ ثـوبـهـا مـذعـورةً.. مـبـتـهـلَـهْ
والـنّـبـعُ بـيـن الـجـدوَلَـيـن يـا فـدَيـنـا عـسَـلَـه
وهـو يـنـثُّ الـضّـوءَ في كـنـوزِهِ الـمُـبـلّـلـه
وبـيـن كـلِّ آهـة وآهـةٍ مُـقـتَـتِـلَـه
كـان يـشـفُّ وجـهُـهـاً حـتـى غـدا مـا أنـبَـلَـه
سـبـحـانَـكَ الـلّـهـمَّ في قِـمّـةِ هـذي الـزَّلـزلـه
تـجـعـلُـهـا إلـهـةً مـن الـسّـمـاءِ مُـنـزَلَـه
ومـلـتـقـى أنـهـارِهـا يـأمـرُ أن نـسـجُـدَ لَـهْ

1995 /2 /17

انتهاء النزيف

كنتُ أعلَمُ أنّا سنبلغُ يوماً لهذا..

أنا لن أسألَ الآن أن تشرَحي
خوفَ أن تَجرحي
واحداً مِن كلَينا

ثمّ.. ماذا ستُجدي اعتذارتُنا
وعتاباتُنا
عندما يتسرَّبُ كلُّ النَّدى من يَدَينا؟

حسناً..
كنتُ أعلمُ أنّا سَنبلغُ يوماً لهذا
ولذا، سأحاسبُ نفسي لأنّي
لم أُهَيِّئ لِحُزني مَلاذا

أنتِ.. لا تَقلَقي

الطيورُ التي رافقَتْنا

سأعودُ بها بعدَ هذا المساء لأعشاشِها

والظباءُ لأحراشِها

النّجومُ التي أسَرَتْنا

ستعودُ غداً لِمَدارِتها

والغيومُ التي أمطرَتْنا

سوف ترجعُ عن دربِنا لمساراتِها

والعصافيرُ تَهوي

والمناقيرُ تذوي

وسأضرَعُ مبتهلاً عند مرقد سلمان

ألّا يُحاسبَ تلك الزّياره

سأقولُ لهُ

عمرُنا للخساره

لا لأنّا أتيناك يا سيّدي

بل أنّا أسأنا البشاره

كانَ وهماً بوَهمِ
النّدى وهو يَهمي
والمدى وهو يَهمي
والنهارُ الغريقْ
وضياعُ الطريقْ
بين أقدامِنا
كان وهماً بوهمِ

وعرّفنا التَّملُّصَ والاعتذارْ
والتَّخفِّي وراءَ الجدار
ولكنْ..
لماذا؟؟
كلُّ ما كان
لَملمَ أشياءَهُ
وتلفَّتَ مستعجلاً وهو يجري..
لماذا..؟؟

1995/2/14

وجعٌ متأخّر

هَوِّنْ عليكْ

تدري بأنّكَ ما جُرِحْتَ العُمْرَ

إلّا من يَدَيكْ

وتَظلُّ تنضحُ بعدَها حزناً

وتفركُ راحتَيكْ

ما أوَّلُ الخيباتِ هذي

رغمَ موقعها لدَيكْ

هيَ خيبةٌ أخرى..

وأخرى في الطّريق غداً إليكْ

يا أنتَ

مَن يدري متى الأيّامُ تطفئ مُقلتَيك؟

هَوِّنْ عليكْ..

1995/2/15

بَرمَجَة

هكذا أصبحَ الحبُّ
في الزّمن الصّعب
أن لا يُطيلَ الحبيبُ اللقاءْ
خوفَ أن يتعلَّقَ
أو تتعلّقَ أنتَ به..
وهو ما لا يشاءْ

وإذنْ
فالهوى من بعيدْ
والهوى..
شَرْطَ عن حَدّهِ لا يَزيدْ
هو معجزةُ العصرِ في صُنعِ قلبٍ
يدقُّ على قدْرِ حاجةِ صاحبِهِ
خوفَ أن يتمادى هواهُ بهِ

هكذا سنُقسِّم أيّامَنا

ونقسّمُ أجسامَنا

سأبرمجُ قلبي لينبضَ في شهرِ آذار

يومَين

يومَ الثلاثاءِ في أوّل الشَّهر

والسّبتِ في آخر الشَّهر

أنتِ ابذلي كلَّ جهدِكِ

أن تملئي وسَطَ الشّهرِ بالنَّبض

لكنْ..

على قَدْرِ ما نَتجنَّبُ فيهِ التّعلُّقْ

واحذري أن تكون الدروبُ الجميلةُ

والكلماتُ الصّقيلةُ

حَدَّ التَّزَلُّقْ

حافزاً بيننا..

إنَّما نَزِنُ النَّبضَ بالمَيلْ

والوَيل

للنَّبضةِ الزّائده

إنّها وجَعٌ دونما فائده

يُتعبُ القلبَ فرطَ لَجاجَتِهِ

ولهذا

سننبضُ، كلٌّ على قَدْرِ حاجتِهِ

مسموحٌ أن أنظرَ في عينيكِ

مسموحٌ أن أمسِكَ كفَّيكِ

وتُسامحُني أعرافُ الحبّ

في الزّمن الصّعب

أن ابتهلَ إليكِ

لكنْ..

أن أتجاوزَ حدّي

فأخافَ عليكِ

أو أقلقَ في السِّرِّ عليكِ

فأنا عندئذٍ

أدخلُ في الممنوعات لديكِ

أن تعشقَ في الزّمن الصّعب

يعني ألّا تتحسّس

مهما ذَكَراً كنتَ

بأنَّ الـ تعشقُها أنثى

أن تُصبحَ كالخُنثى

لا تعني شيئاً كلُّ كنوز الحبِّ لديك

ولذا

سأسّميكِ بغيرِ الأسماءْ

ثغرُكِ

صدرُكِ

خصرُكِ..

هذا الكَفَلُ الباذخُ

هذي السيقانْ

سأسّميها مثلاً

نُذُرَ الشّيطانْ

أو

سأعَقْلِنُ تَسميَتي

فأسّميها ممنوعاتِ الرّحمنّ

لكنّي

مع كلِّ الأسماء

وفي كلِّ الأزمانْ

سأظُلُّ أمامَ غَضارتِها

أضعَفَ إنسان!

1995/2/17

وأنتِ افعلي ما تَشائين بعدي

سأبقى أحبُّكِ وحدي

وفيّاً لوعدي

وفيّاً لسُهدِ الليالي

على كلِّ حالِ

وفيّاً لقلبي

للحظةِ حبٍّ

سرَينا بها بين تلك الدَوالي

وبيني وبيني

سأبقى نديَّ اليدَينِ

ويبقى النّدى ملءَ عيني

وإن كنتُ وحدي..

لكلِّ ذُراه

لكلِّ طريقتُهُ في أساه

أنا..

طولَ عمريَ أعشقُ وجدي

وأعشق حزني

وأعشق سُهدي

وقد كنتِ حزني وسُهدي ريام

فخلّي عيوني بصمتٍ تنامْ

لَعلّي يوماً أحسُّ السّلام

حزيناً لوحدي

وأنت افعلي ما تشائين بعدي..!

1995 /2 /20

بداية الحزن

كلُّ شيءٍ ضبابْ
ضَحِكاتي ضبابْ
ودموعي ضبابْ
كلُّ أيّامِنا
غرقتْ في الضّبابْ
ألبُعدِ الذُّرى
لا أرى؟
أم لأنّي
سقطتْ مقلتي في التُّرابْ؟!

1995/2/22

وانتصرتِ

يا ريامْ
يا هوىً أغفى ونام
سوف أبقى فيك صاحي
بحنيني، وجراحي
وبمكسور جناحي
تائهاً بين الغمامْ..

والظلام
سوف يُدمي لي عيوني
وأنا أزجي ظعوني
راكضاً خلف ظنوني
دون أن ألقي السّلام..
وهنيئاً يا ريام
يا هوىً أغفى، ونامْ

ما خسرتِ

مثلما شئتِ انتصرتِ

وتحكّمتِ بزرعي

وبضَرعي

وبأرضي

وأنا

ها أنذا أحمل أشلائي وأمضي..

1995/2/22

حنينٌ في ليلة ممطرة

يا غمامْ
خذْ بأحضانكَ منّي
ألفَ شوقٍ لريام
وعلى مهلكَ هَلّلْ
لا تُبلّلْ
مقلتيها
كنْ رذاذاً في يدَيها
وندىً في شفتيها
لا تُثِرْ حزناً لديها
يا غمامْ..
دَعْ بريقَكْ
يتَسلّلْ
دون رعدٍ لذُراها
دون أن يؤذي كَراها

فهي في هذا الظلامْ

ملءَ عينيها تنامْ

يا غمام..

وإذا قَطْرُكَ نَقّرْ

كالعصافير على شُبّاكِها

وتَحدّرْ

أدمعاً فوق الزُّجاجْ

لا يُنَقّرْ في هياجْ

فهي تغفو كاليَمامه

كن رسولاً للسلامه

ورسولاً للسلام

يا غمامْ..

1995/2/23

يا بنتَ إسماعيل

بيَدي، ومنّي.. قاتلي وقتيلي ... مَن ذا يُغامرُ أن يكون كفيلي؟!
مُتوسِّدٌ وجَعَ المَفازة كلّها ... عَطشان بين جَداولي ونخيلي
هَيمان، حَدَّ لو الفراتُ بأسره ... أسرى إليَّ لصَدَّ عنهُ غليلي
وأقولُ أدخلُ عندها.. ويَردُّنَي ... أنّي جميعُ العالمين دخيلي
يا بنتَ إسماعيل.. ماذا ينبغي ... أن يصنعَ القرآنُ بالإنجيلِ؟!
وحَدْتُ فيك الأنبياءَ جميعَهم ... وبلغتُ حَدَّ الكفرِ في التأويلِ
وتُغالطينَ دَمي على جرَيانه ... ودمي إليكِ هو الوحيد دليلي
ألأنّني بشغاف قلبي، لا يَدَيَ ... طوَّقتُ خصرَكِ خاشعاً لِتَميلي؟
وجمعتُ عمري كلَّهُ في لحظة ... ذابتْ بثغرِكِ لحظةَ التَّقبيلِ
ألأنَّ وجهَك فجرُ كُلِّ مواسمي ... وسنا عيونِكِ في الدُّجى قنديلي؟
أَلأنَّ كلَّ جداولي، بجنونها ... سالت على ضفتَيكِ أيِّ مَسيلِ؟
وتُؤجّلينَ دمي على غلَيانه ... أتَلذّذاً بمواجعِ التأجيلِ؟!
أفأنت خصمٌ لي، وخصمٌ للهوى؟ ... أم ترحلينَ إليهِ قبل رحيلي
يا بنتَ إسماعيل.. نارُك في دمي ... فتعَلّمي يا بنتَ إسماعيلِ
ألا تُثيري في العروقِ لهيبَها ... فَحسَابُها في اللهِ جدُّ ثقيلِ

1995/2/26

التباس

هـيَ هـذي عـواصـفـي ورياحـي
أطـلِـقـي خـافـقـي، ورُدّي جـنـاحـي
أطـلـقـيـنـي.. لـقـد أتـيـتُـكِ أنـدى
مـن نـدى الـفـجـرِ بـيـرَقـي ووشـاحـي
حـاسـراً كـلَّ أضـلُـعـي.. مـطـمـئـناً
وإذا بـي أنـوءُ فـرطَ الـجـراحِ
أطـلـقـيـنـي، فـلا حـروفـيَ تَـعـنـي
لـكِ شـيـئـاً.. كـلاّ، ولا ألـواحـي
أنـا كـنـتُ اعـتـقـدتُ يـومـاً بـأنّـي
عـنـدمـا يـمـلأ الـهـوى أقـداحـي
أمـلأ الـكـونَ بـهـجـةً.. وإذ بي
مُـسـتـبـاحٌ يـبـكـي عـلـى مُـسـتـبـاحِ
لـهـفَ نـفـسـي، وكـنـتُ عـمـري ضـنـيـناً
بـدمـي أن يـكـون بـيـن الأضـاحـي
كـيـف أرخَـصـتُـهُ، وأرخـصـتُ نـفـسـي
فـغـدونـا قـتـلـى بـدون سـلاحِ؟!

1995 /3 /4

هروب

اكتبي ما شئتِ أنتِ
لا عليكِ
أنا أدري كم لدَيكِ
من مَلاجئْ
وسقوفْ
ومخابئْ
للحروفْ
ودروبٍ مُبهَماتْ
تستحيلُ الكلماتْ
بينَها مثلَ الخطايا
تختفي بين الزّوايا
دونَ أنْ تُفصحَ عن شيءٍ ولكنْ..
بالنَّوايا
حين تُدعى للمثولْ
تملأ الدُّنيا إشاراتِ

ولكنْ.. لا تقولْ

لا عليكِ

اكتبي ما شئتِ أنتِ

هكذا بالأمسِ كنتِ

هكذا سوف تظلّين..

قَلقْتِ

أو أمنتِ

نجمةً بين رموزْ

كلُّ تفسيرٍ لمعناها يجوزْ

لا عليكِ

أنا باقٍ هكذا

أحملُ أزهاري إليكِ

وفراشاتي إليكِ

ويميناً

لن ترَي يوماً طيوري

أو زهوري

أو مناقيرَ عصافيري الصّغيره

خجِلاتٍ

يسترُ الرّمزُ معانيها الكسيرَهْ

1995/3/6

عندما تتشظّى المَرايا

سعيدٌ معي أنتَ؟؟

ظلَّ السّؤالْ

كسيراً..

وظلّتْ إجابتُهُ لا تُقالْ

لماذا إذن نستفزُّ المرايا

ونحن نُحدّقُ فيها عَرايا

فنبصرُ أوجاعنا، والخطايا

سعيدٌ؟؟

أجلْ.. كنتُ يوماً سعيدْ

ولابأس، واليوم عيد

سأعلنُ أنّي سعيد

بكلِّ العطَشْ

بكلِّ الوعودْ

بكلِّ الغيوم التي رحلتْ

والتي لا تعودْ

بنِصفِ السلامْ

ونصفِ الكلامْ

سعيدٌ بنصفِ ابتسامْ

ونصفٌ سأحفظُهُ لزمان الجفافْ

لعلَّ جميع الضِّفافْ

ستهجُرُني ذاتَ يومْ

ولن أستشيرَ المرايا

لأنَّ سِماتي جميعاً سبايا

لأني

أراقبُ كيف تذودينَ عنّي

جميعَ السَّعادات

حتى التّمنّي!

سعيدٌ معي أنت؟؟

كلَّ السعاده

فقد أصبحتْ ضِحكةُ الحزنِ عاده..

1995/3/7

انكسار الشراع الأخير

ها أنا سابحٌ في دمي

أنتِ لن تفهمي

كيف يقطعُ قلبٌ شرايينَهُ

لا بقاتلِهِ يحتمي

أنتِ لم تعلمي

كيف يمشي المحبُّ إلى موتِهِ

عندما ينتمي

ذاكَ إنَّكِ عُمرَكِ لم تُغرَمي..

مخطئٌ أنا آنستي

مخطئٌ أن حَبَبتُكِ فوق الحدودِ

مخطئٌ أن وهبتُكِ كلَّ وجودي

مخطئٌ أن وَثِقتُ بحَرفِكْ

مخطئٌ أنْ وُثِقتُ بطَرفِكْ

مخطئٌ مُذْ تقرَّبَ مائي لجُرفِكْ

وسأدفعُ ما ظلَّ في العمر

غُرماً لهذا الخطا

لن اطأ

مرفأً للهوى

مرَّةً ثانيه

هي تجربةٌ..

قلتُ خاتمةُ العمر هذي

ولم أدرِ أنّي

عثرتُ بتجربةٍ داميه..

1995 /3 /8

النّزيف القاتل[1]

لا تَرجفي يا مِزَقاً من أضلُعي على الورَقْ
لا ترجفي... لا يَديَ انشلّتْ، ولا خوفي نطَقْ
لا ترجفي فليسَ لي من خافقي إلاّ رمَقْ
إنّ الذي أحرقَ بالأمس.. تمادى فاحترَقْ

لا ترجفي... أوجاعُنا طارُقها الآن طرَقْ
الآن يَبدأ الأسى والآن يبدأ القلَقْ
والآن يا أشلاءَ شِعري.. يا شَظايا.. يا مِزَقْ
كلُّ الحروفِ الآن فيكِ أصبحتْ لها حَدَقْ
يَنظُرْنَ من مُمزّقِ الأوراقِ نحوي في فَرَقْ
كأنّما يَخشَينَ أنْ يُسحَقْنَ أيَّ مُنسحَقْ

(1) كان يكتب لها قصائده ليلة بليلة.... كانت تحملها معها حيثما ذهبت... ونسيَتها ذات يوم على مكتبه، حين عادت بعد يومين، وجدَته قد مزّقها جميعاً في لحظة غضب مجنون، لملمَتها... حتى القصاصات الصغيرة الخالية... دفنَتها في حقيبتها وخرجت من غرفته مذبوحة النظرات.. وعبثاً حاول أن يعوّضها عنها...

عفواً دمي.. عفواً بقايا خافقي وما خفَقْ
عفواً نوازعَ الضّمير ما وفى... وما صدَقْ
عـفـواً لكلِّ ليلةٍ سـامَـرَنـي فيها الأرَقْ
عـفـواً لكلِّ بيتِ شعرٍ قلَمي فيه شهَقْ
حـتّى حسبتُ أنّــهُ بـحـبـرِهِ قـد اختنَقْ
عفواً لهُ مقطَّعَ الـ أوصال، مذبوحَ الألَقْ
ينظرُ لـي.... حروفُهُ يقطرُ منهنَّ العلَقْ
عفواً دمي الـذي أريـقَ والّـذي لَمّا يُـرَقْ
عفواً لأنّي لم يَعُدْ لي غير نَزفي منطلَقْ
وسوف أسقي بكَ جَدْبَ العُمرِ ما بَرْقٌ بَرَقْ

1995 /3 /10

حديث النجوم

عينُها لا تنامْ
من رأى أدمعاً وابتسامْ
حضنتْ بعضَها تحت جنح الظلامْ؟!

كنتِ تبكين
والليلُ يبكي
حدّثَ النّجمُ عنكِ
أنَّ عينيكِ نثَّرتاهْ
قطرةً
قطرةً
تحت عرشِ الإله
بينما ظلَّ وجهُكِ مثلَ القمَرْ
ضاحكاً بين دمع الكواكبِ
مغتسلاً بالمطرْ

يا ريامْ

عندما تحزنين

توقظين المجرّه

ما الذي تفعلين

في ليالي المسَرَّه؟!

1995/3/11

اللاجدوى

لا عتابْ

ربّما بين المحبّين سؤالٌ وجوابْ

ربّما

ربّما بعدَ العَناء

يُنعشُ العَتْبُ ذبولَ الحبِّ بين الأصدقاءْ

ربّما

إنّما

أيُّ معنىً للعتاب الآن بين الغُرباءْ؟!

1995/3/12

بعد فوات الأوان 2

حسناً

الآن، لم يبقَ لدينا ما نقولْ

هكذا كلُّ الحَكايا تبتدي

ثمَّ تزولْ..

فوداعاً للدَّوالي

ووداعاً للحقولْ

ووداعاً يا ثرى سلمان فالدُّنيا تحولْ

نحن جئناكَ صغاراً

وذكرناكَ كهولْ..

1995/3/13

أنوثة

يا ريامْ

كيف لا تصبحُ النّارُ جنَّه

كيف لا تنبضُ الأرضُ أجمعُها بالأجِنَّه

حين تمشين عاريةَ القدمَينْ..؟!

يصبحُ الخصبُ دَينْ

والولاداتُ دَينْ

ويهيمُ الطريقْ

بينما قدماكِ تنثّانِ فيه الرحيقْ..

1995/3/14

بلَى.. عطَشي في راحَتيكِ

دمـوعُـكِ أغـلـى مـن دمـي ودمـوعـي
فـلا تـكـسـري لـي يـا ريـام ضـلـوعـي
تـقـمَّـصـتُ كـي أهـــواكِ كـلَّ قصائدي
وأسـرَجـتُ كـي ألـقـاكِ كـلَّ شموعي
وأبقيتِني عـطـشـان.. استعطفُ الحَيا
لـيـهـمـى.. وأزجـــي لـلـرّيـاحِ قلوعي
وأعـــلـــمُ أنّـــي لا ضـفـافـي أمـيـنـةٌ
ولا بـأمـيـنـاتٍ بـهـنَّ زروعـــي
فـأشـتـلُ جـذعـي.. أدفـعُ الـمـوتَ كـلَّـهُ
فـيـفـجـأُنـي مـــوتٌ بـغـيـرِ جـــذوعِ!
أرى فـيـه أحـلامـي وسُـوحـي مَـروعـةً
وإن كـنـتُ أبـــدو فـيـه غـيـرَ مَـــروعِ
حـنـانَـكِ.. أنـتِ الـوجـدُ والـشّـعـرُ كلُّهُ
بَـلـى... عطَشي في راحـتيكِ وجوعي

1995/3/14

إهداءٌ آخر

لأجملِ ما بوجهِ الناسِ أجمعهِم من المُقَلِ
إلى الأشهى من العَسَلِ
إلى شَفَتين.. جلَّ اللهُ صاغَهُما على مَهَلِ
وقال خُلقتُما لاثنين للهَمَساتِ والقُبَلِ
لشَعرٍ جِدُّ مُنسَدِلِ
لفاتنة كأنَّ الليل مرَّ بها على عَجلِ
فقطَّرَ فوقَ وَجنَتِها رحيقَ ظلامِهِ الثَّمِلِ
وفوقَ ذراعِها الخَضِلِ
ونَثَّ على تَرائبِها وحولَ مَكامنِ الحَجَلِ
قُطَيْراتٍ من البَلَلِ
فصارَ الجسمُ أجمعُهُ قَناديلاً من الجَذَلِ
مُسوَّرةً بألفِ وَلي
إلى من أنطقَتْ خَجلي إلى الكسلى بلا كَسَلِ
إلى جسمٍ كغُصنِ البان لم يَقصُرْ، ولم يَطُلِ
فُتِنتُ بهِ.. من القَدَمَين للتّاجَين... للكَفَلِ
إلى مَن لا أسمِّيها لكي لا تتّقي غَزَلي

ويجعلُنا بَهارُ الهند نعشقُها من الأزَلِ
إلى شوقٍ بلا أمَلِ

سوى أنّي أظلُّ أذوبُ في صمتٍ، وفي وَجَلِ
عسى، إن تقرئيه، ترَين كم عانى، ولم يزَلِ
خُطاه جميعُها ارتبكَتْ فلو حاولتِ أن تَصلِي

1995/3/21

براءة..

إنّـي سكـرتُ بـلا خَـمـرٍ، ولا كـاسِ
لـكـنّـمـا نـظـرةٌ مـن عـيـنِ إيـنـاسِ[1]
ألـقـتْ عـلـيَّ سـلامـاً كـنـتُ أجـهـلُـهُ
وَخـــدَّرَتْ بـعـبـيـر الـطُّـهـرِ أنـفـاسـي
كـأنّـمـا مـقـلـتـاهـا مـن بـراءتِـهـا
فـي كـلِّ عـيـنٍ يُـلالـي ألـفُ نـبـراسِ
ووجـهُـهـا.. أيُّ نُـبـلٍ فـي مـلامـحَـهِ
يـجـدّدُ الـعـهـدَ بـيـن الـلـهِ والـنـاسِ
إيـنـاسُ، يـا دُرَّةٌ ضـاقـتْ مـحـارتُـهـا
عـنـهـا، فـألـقَـتْ بـهـا لـلـعـالـم الـقـاسـي
كـونـي كـمـا شـاءكِ الـرّحـمـنُ، طفلتَهُ
نـقـيَّـةً دونَـمـا هـمٍّ ووســواسِ
أحببتُ فيكِ ابنتي.. كُـوني شبيهتَها
يـذود عـنـكِ شـغـافـي قـبـلَ أقـواسـي

1995 /3 /28

(1) إيناس: أختها

إلى إيناس

عشقتُ أختَكِ عشقَ الأرضِ للمطرِ
بلا انتظارٍ.. بلا قصدٍ.. بلا وطَرِ
رأيتُها هكذا.. عينان ملؤهما
حنينُ كلِّ سكونِ الأرض للخطَرِ!
فجئتُها.. كشراعٍ في مرافئِها
دخلتُ، أبحثُ في الطّوفانِ عن سَفَرِ
تُرى.. أكانَ بإمكاني تَجنُّبُها؟؟
أم أنّها منذُ دارتْ أرضُنا قَدَري؟
يا رحمةَ اللهِ في أختَين.. واحدةٍ
تصيرُ بنتيَ.. والأخرى نَدى عُمُري

1995/3/28

في تَقاطُع الطُّرُق

هكذا دائماً بلا أمَل ... نلتقي في مَفارقِ السُّبُلِ
هكذا كالفَراش.. موسمُنا ... ينتهي دائماً على عجَلِ
ثمَّ تذرو الرّياحُ أجنحةً ... قَطّعتها مفازةُ الغَزلِ
هكذا دائماً من الأزَل ... بين مُستوحشٍ ومُرتحلِ
نلتقي أنفُساً مُجرَّحةً ... ثمَّ نمضي كلٌّ إلى طَلَلِ
لا تقولي طريقُهُ بَلَلٌ ... عُمرَهُ ما شَكا مِن البَلَلِ
كان مثلَ الطيور.. يسبقُها ... وهو يشدو، حتى على الوَشَلِ
كلَّ ليلٍ يُرى على شجر ... كلَّ فجرٍ يلوحُ في جبلِ
فرحاً كان، هائماً، غَرِداً ... كالعصافير قبلَ أن تَصِلي
ما الذي جئت تَفعلين بهَ؟ ... أنتِ أردَيتِهِ على مَهَلِ
ليتَك اختَرتَ عُمقَ مَقتَلَه ... دونَ أن تُشعريهِ بالمَلَلِ
ذاهبٌ.. ذاهبٌ.. فلا تَسَلي ... سوف أمضي ولو إلى أجَلي

1995/4/16

سلاماً يا أعزَّ الناس عندي

دعـيـنـي، قـد أعـــودُ إلـــى صفـائي
وتـــهـــدأ بـيـن أورِدَتـــــــي دمـائـي
وقـــد أنـــســـى.. ألـــمُّ شـغـافَ قلبي
عـلـى قـلـبـي، وأســتُـــر كـبـريـائـي
دعـيـنـي أستـعـيـدُ شـتـــاتَ نفسي
وأستـلـقـي عـلـى زرعـــي ومـائـي
لـقـد عـذّبـتـنِـي حَـــدَّ الـتَّـشَـفّـي
وقـــد غَـرَّبـتِـنـي حَـــدَّ الـتّـنـائـي
وأنـــتِ تُـراهـنـيـن عـلـى دمـوعـي
وتُـرضـيـن الـغـرورَ عـلـى شـقـائـي
سـلامـاً يـا أعـــزَّ الـنّـــاسِ عـنـدي
وإن لَـــم تَـبـلُـغـي حـــدَّ الـوَفـاءِ
تَـعـــوّدنـــا بـــأن نـبـكـي هـوانـا
عـلـى قـــدرِ الـمـشَـقّـةِ والـعَـنـاءِ

1995/4/17

بعد الصحو[1]

تذكرينْ..؟

ذاتَ يومٍ نصَبْنا لصيد العصافيرِ

نبضَ خَوافقِنا شَبَكاً

كانت الزَّقزَقاتُ تُهَيّمُ أسماعَنا

والرَّفيفْ

كان يملأ أضلاعَنا..

العصافيرُ تنبضُ

والحبُّ ينبضُ

والشِّعرُ ينبضُ

حين استَفقْنا

كنتُ أحملُ في أضلعي سَلّةً

من عصافيرَ ميّتةٍ

(1) جاءت تودعه، وقد لبست كلّ زينة خطوبتها.

وقصائدَ ميّتةٍ

ودموعْ..

أنتِ ألقَيتِ للرّيحِ

كلّ العصافيرِ والشِّعر

عُدْتِ

حقيبتُكِ الجلدُ

يملؤها مَفقَسٌ للدَّجاجِ

وفي الرّاحَتين

حِنَّةٌ، وشموعْ..!

«ما عاد للتواريخ من معنى»

يا عذبةَ الرّوح

يا عذبةَ الرّوح.. إنّي مُتعَبُ الرّوحِ بُوحي، فقد تلتقي أوجَاعُنا.. بوحي
بـوحـي، فَبـي قـلَـقٌ أبـقـى أسَـتّـرُهُ عن العيون، ويبقى جِدَّ مفضوحِ
بوحي فَسيماؤنا في الحبِّ واحدةٌ وكـلُّـنـا بـأسـاهُ نـبـضُـهُ يُـوحـي
إنّـــي أنـــامُ بـعـيـن جـدٍّ سـاهـرة وتضحَكين بقلبٍ جِدٍّ مجروحِ
يا عذبةَ الروح.. هلّ كانت عُوالمناَ من قبلِ أن نلتقي، وشماً على السُّوحِ
بحيثُ صرتُ أرى في كلِّ منعطَف مجرى نجيعٍ لنا في الأرض مسفوحِ
يـلـوحُ لـي أنّـنـا، مُـذْ دار كوكبُنَا كـنّـا بـهِ بـيـن ذَبّـــاحٍ ومـذبـوحِ
يا عذبةَ الروحِ..

يا بنتَ إسماعيل 2

لا نـــجـــمَ.. لا قـنـديـلْ صـــــــاحٍ بـــأهـــدابـــي
يـــا بـــنـــتَ إسـمـاعـيـلْ لا تَـــطـــرقـــي بـــابـــي
وحـــــدي، ولَـــيـــلُ الأســـى وحـــــــدي أداريـــــــهِ
أقـــــولُ يـــومـــاً عـسـى يـــغـــفـــو دمـــــي فـــيـــهِ
لـــكـــنْ مَـــجـــاري دمـــي صَـــبـــري عـلـيـهـا عـيـلْ
وأنـــــت لـــم تـفـهـمـي يـــا بـــنـــتَ إسـمـاعـيـلْ
مـــاذا ظَـنَـنـت الـهـوى؟ أكـــذوبـــةً..؟.. لـــهـــواً..؟؟
إنّـــا.. بـــدوَن الـنّـوى نـــمـــوتُ إذ نـــهـــوى
فـكـيـف إن أبـــعَـــدوا عـــنـــهـــم سَـــواقـــيـــنـــا
نـــذوي لـكـي يَـشـهـدوا آثـــارَهـــم فـيـنـا
وهـــا أنـــا أنـطَـفـي نـجـمـاً عـلـى نـجـمِ
فـهـل تـعـلّـمـت في أيّ الـــدُّنـــا أهـمـي؟
وقـــفٌ عـلـيـك الـغَـزَلْ يـــا بـــنـــتَ إسـمـاعـيـلْ
فـاسـمُ «الـتـي» لـم يـزَلْ صـعـبـاً عـلـى الـتـرّتـيـلْ

قصائد كُتبَت لغيرها

إلى التي كانت صديقتها

أرأيتِ إلى الملعَبَين؟

كيف دارَ السّنا

بين ظلّي وبيني؟!

أرأيتِ لصوتي؟

أرأيتِ لعيني؟

أنا أعلمُ أنَّ البرودَ مُكابرةٌ

عدمَ الاهتمامِ مكابرةٌ

غيرَ أن يصعدَ الثلجُ للمقلتين

إنّه الموتُ حَدَّ انجمادِ العيونْ

يا لَفقرِ النّدى إذْ يهونْ

وهو يبحثُ عن ملجأٍ لقُطيراتِهِ

كائناً ما يكونْ

كنتِ جنبي

لِمَ لمْ توصدي بابَ ذاكرتي؟

لِمَ لمْ توصدي بابَ قلبي؟

أنتِ تدرينَ أنّ دمائي تُرى

وبكائي يُرى

رغمَ أنَّ جميعَ منافذِ روحيَ مغلَقةٌ

كيف إن تَفتحيها؟؟

أوصديها

وليكنْ بيننا

أنَّ رفّةَ جِنحٍ كجنحِ البَجَعْ

خفقتْ بيننا ذاتَ يومٍ

وإذْ سقطَتْ

تركتْ في شواطئنا

كلَّ هذا الوَجَعْ

1996/1/6

أفَذَنْبُ العواصِف؟

عَرَضاً جئتكم

عَرضاً كنتُ في السّربِ

ثمّ غدا السّربُ والماءُ عمري بأجمعِهِ

صرتُما لي جناحَين

صرنا جناحَيكِ

صرتُ وإياكِ يوماً لها

لا

يا بتولْ

أظلمُ الآن أوجاعَها لو أقولْ

بأنّا غَدونا لها في مَهَبِّ الرّياحْ

مرفأً، أو جناحْ..

لكانتْ إذن حلَّقَتْ

لَحِقَتْ بالنّوارسِ..

لكنّها سقطتْ في التّرابْ

أفذَنبُ العواصِفِ؟

أم ذنبُ أجنحةٍ لم يُقوَّم لها ريشُها؟

أم لأنَّ صديقتَنا

أوغلَتْ في الضّبابْ؟!

الجنوح[1]

سوف أخرجُ من عالم الماءِ للأرضِ سيّدتي

سأجفّفُ قلبي

وأجفّفُ أوردتي

جاهداً سأحاولُ ألّا أطرطشَ في الماء[2]

ثانيةً

نحنُ جُزنا زمانَ الطفوله

أنتِ أصبحتِ سيدةً

وأنا موغلٌ في الكهولَه

ولهذا

سأسمعُ ما تنصحين بهِ

سوفَ أخرجُ من عالمِ الماء للأرضِ

حتى يدي

(1) كانت تسمّي عواطفهما «عالم الماء»، مرّة.. سألته أن يخرج من عالم الماء إلى عالم الأرض.

(2) إشارة إلى قصيدته لها «كتابة على الماء» في ديوان «قصائد في الحبّ والموت».

سأجفّفُ منها النّدى

وسأمنعُ عينيَّ أن تَدمُعا في الليالي سُدى

وسأوصي غيوميَ

أن لا تُعذّبَ صحراءها بالمطَرْ

وأوصي نجومي

ألّا تُجمِّعَ أنداءها حول ضوء القمَرْ

وأقول لكلّ همومي

لا تكوني دموعاً

وكوني حَجرْ

حسناً

نحن في الأرض سيّدتي

وسأجرؤ أن أسأل الآن:

في أيِّ أرضٍ

أردتِ لنا أن نُنشّفَ أثوابَنا؟

وننشِّفَ أهدابَنا؟

في العراق؟

بعمّان؟

أم في البلاد الغريبه؟

أم إنّهُ مُطلَقُ الماء؟

واخترتِ لي مُطلقَ الأرض

منشفةً لمياهي الحبيبه؟!

ليَكُنْ

سوف أنتصب الآن عوداً بلا نَسَغٍ

وبلا خضرةٍ

أو ندى

وسأتركُ بيني وبين ملاجئ عمري مَدى

وسأنظُرُ..

ماذا سَيمنحُني الرّملُ والصّخرُ غيرَ الرّدى؟!

ليكنْ

أنتِ تقترحينَ ليَ الأرضَ مرسى

واقترحتُ لأشرعتي الماءَ مرسى

فإذا كان للأرضِ فعلٌ كمثلِ صلابتِها

وكما شئتِ أن تمنحيها

فسأبحثُ عن شفتيكِ مَدى الظلّ فيها

وسأبحثُ عن شفتيكِ مدى الشمسِ فيها

ولعلّ المياهَ التي أترعتْ غُربتي بالعطَشْ

تودِعُ الرِّيَّ في هذه الأرض

أو ما يليها..

1996/1/17

يا جناح البجع

كـــلَّ يـــومٍ وداعْ كـــلَّ يـــومٍ سـفَـرْ
يـــا لـيـالـي الـضّـيـاعْ أيـــن مـنـكِ الـمَـفَـرْ؟
كـــلَّ يـــومٍ نـقـولْ جُـرحُـنـا قـد غَـفـا
يـــا حـكـايـا بـتـولْ لا طَـــواكِ الـعَـفـا
غَـلـغـلـي فـي الـضّـمـيـرْ رغـــمَ هـــذا الـــوَجَـــعْ
واحـــتـــرِسْ إذ تـطـيـرْ يـــا جـنـــاحَ الـبَـجَـعْ
فَـلَـنـا فـي سَـمـاكْ ريـــشـــةٌ مـــن سَـنـا
صُـــنْ هـــواهـــا هـنـاكْ صُـــنْ هـــوانـــا هُـنـا

يا جِناحَ السَّنا..

1996/1/20

يا آخر الوَهَجِ الخضيلِ[1]

عـــودي لـنَـبـعـك لا تسيلي يـا أدمُـــعَ الـــوَجَـــعِ الـجميلِ
عـــــودي، فـكـلُّ عـذابِـنـا سـيـجـيءُ مـن بـعـدِ الـرّحـيـلِ
مـا زلـت فـي الـزّمـنِ الـجَريحِ فكيفَ فـي الـزّمـنِ الـقتيلِ؟!
أدري بـشـمـعـة مـقـلـتَـيـك تـضـيءُ فـي الألـــمِ الـنّـبـيـلِ
لا تُـطـفـئـيـهـا بـالـدّمـوعَ فـيـنـطـفـي مـعَـهـا دلـيـلـي
يـا أنـــت.. يـا أنـــدى الـنّـدى يـا آخـــرَ الـــوَهَـــجِ الـخضيلِ
يـا قـطـرَةً مـن مـــاء دجـلـةَ لألأتْ وَسَـــطَ الـنّـخـيـلِ
سـقَـــتْ الـــدُّنـــى لَـكـنَّـهـا مـا أطـفـأتْ يـومـاً غـلـيـلـي
لا تـذرفـي ريـعـانَ دمـعـك لـلـعـذابِ الـمُـسـتَـحـيـلِ
فـلَـنـا غـــداً وَجَـــعٌ يَـطَـيـرُ مـنَ الـدّمـوعِ إلـى الـعـويـلِ

1996/1/26

(1) قالت: كنت أبكي طيلة المساء.. وأغلقت التلفون.. في اليوم التالي خلَت منها بغداد..

غافٍ وصوتُكِ في إغفاءتي مطرٌ

غاف.. وصوتُك كالأحلامِ يأتيني ... يجتازُ سمعي، ويجري في شراييني
أحسُّهُ في دمي حيناً.. وأسمعُهُ ... مثلَ الفَواخِتِ بين الحينِ والحينِ
تَهمي بقربي على وَهْنٍ مَدامعُهُ ... جَرْيَ المزاريب.. أبكيها وتبكيني
غاف.. وصوتُك في إغفاءتي مَطَرٌ ... يلهو بنافذتي.. نَقْرَ الحساسينِ
يدقُّ فوقَ شغافَ الرّوح.. يوقظُها ... فتستفيقُ دموعٌ بالملايين
تبكي على كلِّ سطرٍ كنتُ أكتبُهُ ... حتى لتُغرقَها حَدَّ العناوينِ..

يا أنت.. يا وجَعَ السّتين.. أقْتَلُه ... إنّي أناهضُ عشريناً بستّينِ
لو تسألَين «مياه النور»[1] هل نبضتْ ... فيهنَّ أشواقُنا نبضَ الدّلافينِ؟
هل ما نزالُ على ما كان من وجعٍ ... كلٌّ بجرحٍ بأبهى الشِّعرِ مسكونِ؟
أم صِرْنَ جوفاً، نشازاً كلُّ أحرُفنا ... مثلَ الضّفادعِ بين الماءِ والطينِ؟!

عاهدتني أن تكوني زهوَ قافيتي ... وأن تُضيئي نذوراً في طَواسيني
فهل وَفَيت..؟.. أأسرَجت النّجومَ على ... مواقدِ الثّلج...؟.. يا دفءَ الكوانينِ
إذن، فماَ خابَ ظنّي فَيكِ يا لُغتي ... ولا تَجمَّدتِ برداً يا براكيني

(1) مياه النور: إحدى قصائد الشاعر فيها... ديوان «قصائد في الحبّ والموت».

بتولُ ما برحت تحكي حكايتَها وما أزال لها أزجي قرابيني
إنّي لأنظرُ من شّباك مكتبتي فأسمعُ الصّوتَ عن قربٍ يُناديني
بيني وبينكَ عهدٌ أن أضَيءَ هنا وأن تظلَّ على نأيٍ تُناجيني

إلى بتول

مُــريّ عـلـى قـلـقـي مَــرّ الـعـصـافـيرِ
فـإن وجـدتِ بـهِ مـحـضَ الأسـى طيري
وزَقـزقـي حـولَـهُ.. يـا رُبّ أجنحةٍ
طـافـتْ بـهِ والـهـوى مـلءَ الـمناقيرِ
لـكـنّـهُ كـان لا يـلـوي لـعـابـرةٍ
جـنـاحَـهُ، فـهـو مـشـغـولُ الـمشاويرِ
ظـلَّ الـهـوى شِـعـرَهُ، والـشّـعـرُ شهقَتَهُ
إلـى الـهـوى، فـهـمـا مـثـل الـمـزاميرِ
قـد يـمـلآن بـهِ الـدُّنـيـا إذا اجتَمعا
وقــد يـعـافـانِـهِ رهــنَ الـمـقـاديـرِ
مُــرّي عـلـيـهِ مــرورَ الـمُـشـفـقـيـن ولا
لا تُـكـثـري لـومَـهُ مـن دونِ تقصيرِ
حتى ولـو زَلَّ كـونـي عَــونَ سَـقْـطَـتِـهِ
فـصـاحـبُ الـجـرحِ نـهـبٌ لـلأعـاصيرِ
يـا أنــتِ.. يـا وجـعَ الـدُّنـيـا بأجمعِها
أغـفـى ضـيـائـي.. وعـافَـتـنـي نـواطـيري

1996/4/3

قصائد حبّ متفرّقة

أم انّكِ قد هجرتِ البحر؟

وعدتُكِ أن أضيءَ الشّعرَ قنديلاً لذكراكِ
وعدتُكِ لستُ أنساكِ
وقلتُ سأجعلُ العينين نهراً حين ألقاكِ
لكي تَصلي مبلّلةً
بأمواجي حناياكِ
عسى تجدين مرساكِ
وعدتُكِ أن أناجيكِ

وعدتُكِ أن يكون دمي
غيوماً في روابيكِ
إذا مطرَتْ يَفكُّ الشّوقُ
كلّ مسامةٍ فيكِ
وقلتُ غداً ألاقيكِ
غداً بجميع أوردَتي أطوفُ على مَغانيكِ

وأسقيها، وأسقيكِ

فهل ما زلتِ أنتِ كما

تركتُك قبلَ أن أمضي؟

أزرعي لم يزل زرعي؟

وأرضي لم تزلْ أرضي؟

أم إنّي غارقٌ في الوهمِ

بعضي خادعٌ بعضي؟!

فلا ضغطي.. ولا نبضي

يُريني منك إلاّ ما

تراهُ العينُ في الغمضِ؟!

وهل ما زلتِ كالأمسِ؟

رفيفَ الرّوحِ في نفسي؟

وتنتظرين مثلَ البحر

أين قصائدي تُرسي

زوارقَها..؟ وتنتظرين

مرفأ قلبكِ القُدسي

يضيءُ لكلِّ أشرعتي

لتُصبحَ فيهِ أو تمسي

أم إنّكِ قد هجرتِ البحر

وانحسرتْ شواطيكِ؟

وصار النّجمُ

غيرَ النّجمِ

يلمَعُ في دياجيكِ؟

وعافتنا لياليكِ

ليسهَر غيرُنا فيها

ويَسقيها.. ويسقيكِ؟

وخذلتَ التي هي صدقُك

كيف تُفسِّرُ

أنت الذي تدَّعي ذروةَ الشِّعر

أنّكَ لستَ تُفَرِّقُ

بين المياهِ وبين السّرابْ

وبين الغيومِ وبين التُّراب

ولست تُحِسُّ

وأنتَ كما تدَّعي ملكُ الشِّعر

إن كانت العينُ

تنظرُ في مقلتيكَ

وأنتَ بهذا الهياجْ

من دمِ هذه العينُ

أم من زجاجْ؟!

كيف تُفسِّرُ أنّكَ جاوزتَ عُمرَ التّجاربِ أجمعهُ

ثمَّ عُدتَ

لتوقظَ نفسَ الأسى

ولِتوقدَ نفسَ السّراجْ؟!

كانتا تنظرانِ إليكِ

هذهِ تتفصَّدُ خوفاً عليكْ

فينهمرُ القلبُ من مقلتيها

وهذي شَواغلُها في يَديها

خالُها

وأساورُها

وتَرصُّدُها لعيونِكَ كيف تهيمُ عليها..

هذهِ يَتخيّلُها كلُّ حرفٍ نطقتَ بهِ

فتحسُّ بها

من شحوبِ ملامِحها تارةً

وصعودِ الدّماءِ إلى وجنتيها

وهذي تَبسّمُ مزهوّةً بجديلَتِها

ومظلّةِ أهدابِها

دون أن تتحسَّسَ أنَّ حروفَكَ قد ذُبِحتْ

وهي تسعى إليها

وخذَلتَ التي هي صدقُكْ

طولَ عمرِكَ تبحثُ عن كذبةٍ لتُصدّقَها

ثم تذبحُ نفسَكَ من ندمِ

كيفَ صدّقتَها

وتعودُ لتبحثَ عن كذبةٍ غيرِها..

وأجَلْ

قد كتبتَ لها الشّعر

هل كان قلبُكَ يخفقْ؟

هل كنتَ من غيهبِ الرّوحِ تَنطقْ؟

أم كنتَ تمتهنُ الشِّعرَ

معذرةً

كنتَ تَمتحنُ الِّشعرَ بين مَفاتِنها؟!

ورسبتَ، كعهدِكَ في الإمتحانْ

وها أنتَ ذا

بين عينيكِ وَجهان

فارجعْ لمرآةِ قلبكَ

أيّهُما في الضّمير

وأيّهُما في اللسان؟!

رفيف الأجنحة

راجفاتٌ تحت قمصان الحريرْ
كلُّها ريشٌ ولكنْ،
لا تطيرْ..
حجلٌ أيُّ حَجَلْ
ينحني الثّوبُ عليه
وهو ينزو في وَجَلْ
فاضحاً حَدَّ الخجَلْ
شوقَهُ أن يخلَعَ القمصان عنهُ
ويطيرْ..
يا رفيفَ الأجنحَه
يا مدىً أُغمضُ عيني عنهُ كيلا أجرحَهْ
المناقيرُ التي تنبضُ من تحتِ الثّيابِ
فأرى رغمَ الغيابِ
حجمها

لون جناحَيها

نديفَ الرّيش فيها

وأرى ما يعتَريها

كيف لي أن أتّقيها؟

كيف لي أن أتّقي رغبَتها أن أحتويها؟

زارعاً فوقَ المناقير هُيامَ الرُّوح فيها

يا حمام

دَعْ مناقيرَكَ تغفو وتنامْ

دعْ لهذا الشّفَقِ الورديِّ أن يُهدي السّلامْ

لشفاهي

دَعْ مياهي

بين أحضانِكَ تجري في سلامْ

يا حمام..

إلى «س»

معجبةٌ منذُ الصِّغَرْ ومعجَبٌ على الكِبَرْ
بينهما شوطٌ يُعاصي عمرَهُ لو يُختَصَرْ
يا مقلتَينِ من دُجىً ويا شفاهاً من زَهَرْ
إن نظرَتْ وابتسمَتْ أحسَسْتَ ضَوءاً ومطَرْ
حتى إذا ما نطقتْ أغرَقَت الدُّنيا خدَرْ

أيّتُها المعجبَةُ الـ معجَبُها قيدَ النَّظَرْ
وهي تروحُ ههنا وههنا دونَ حذَرْ
وقلبُهُ من حولها ينبضُ في كلِّ مَمَرْ
لا تجعلي لقاءَهُ محضَ قضاءٍ وقدَرْ

والحاملات الثَّمَر

يـــا عـــجـــبـــاً يـــا هـــنـــدْ فـــاضـــتْ مـــيـــاهُ الـسِّـــنـــدْ
فـــي قـــلـــب واديـــنـــا
هـــذا الـــسّـــنـــا والـــنّـــدى والـــغـــيـــم مـــلءَ الـــمـــدى
مـــن أيـــن يـــأتـــيـــنـــا؟
يـــا كـــنـــزَهـــا الـــغـــالـــي خـــالاً عـــلـــى خـــالِ
حـــكّـــمـــتَـــهـــا فـــيـــنـــا
ويـــا عـــيـــونَ الـــعـــسـلْ عـــن نَـــبـــعِـــهـــا لا تَـــسَـــلْ
هـــيـــهـــات يـــسـقـيـنـا
ولا تُـــحـــدِّثْ هَـــلـــي عـــن ذلـــك الـــمـــنـــهَـــلِ
يـــبـــقـــون ظـــامـــيـــنـــا
يـــبـــقـــى جـــمـــيـــعُ الـــبـــشَـــرْ ســـاهـــيـــن عـــمّـــا انـــتـــشَـــرْ
مـــن ضـــوئِـــهـــا فـــيـــنـــا
وهـــنـــدُ يـــا حُـــسـنَـــهـــا يـــا مـــن رأى غُـــصـنَـــهـــا
كـــيـــف انـــثـــنـــى لـــيـــنـــا

والـحـامـلات الـثّـمَـرْ والـغـيـم كـيـف انـهـمَـرْ
ورداً ونسـريـنـا
يـا هـنـدُ هـذي الـسّـطـور مـزيـجُ نـارٍ ونـورْ
يُـغـري لـيـالـيـنـا
لا تَـحـسـبـيـهـا غـزَلْ فـالـقـلـبُ لـمّـا يَـزلْ
هـمـسـاً يُـغـنّـيـنـا..

شفرة النّار

نَهران أشقَرانْ

ناما وعيناىَ على الضفّةِ تسهرانْ

تُرى

أمِن بحيرةِ الجنّةِ ينبعانْ؟

أم يسكبان الماء في بحيرةِ الجنّه؟

وحولَ مُلتقاهُما

مزيجُ ضوءِ الشّمسِ بالحِنّه

يا غابةَ الحريرْ

يا غابةَ النَّرجسِ والعبير..

تُرى

إذا سرى

بين انبلاج الضّوءِ والظلماءْ

زورقٌ بهذا الماء

هل يجدُ المرفأ؟

والموقدُ القدّيسْ

مشتعلاً يلقاهُ

أم أطفأهُ إبليسْ

وخبّأ الجمرةَ في محرابهِ المطفأ؟!

يا نَبْعَها.. لو شفرةٌ من نارْ

جاسَتْ ببيتِ اللؤلؤِ النابضِ والمحارْ

يُصفّقُ الموجُ لها؟

أم يسكنُ التيّارْ؟

تنفتحُ الأنهارْ

عن نبعها..؟

أم تنطوي، وكلُّ عنفوانِها يُرجأ؟

يا منبعاً من نارْ

يَنبضُ فيهِ الموتُ واللؤلؤ والأمطارْ

هل لشراعي فيكَ من ملجأ..؟!

الغاشية

ندىً في اليَدين
ندىً يترقرقُ في المقلَتين
ندىً في الشِّفاه
وكادت يداه
ولكنْ أحسَّ بكلِّ المياه
تموجُ على البطنِ، والصّدرِ، والخاصرة
تضجَّ ضجيجاً على الفَخِذين
وتهوي إلى البركةِ العاطِرَه..
وتتبعُها الرّوحُ سكرى
تحاولُ في لُجَّةِ الموجِ وَكرا
ويوشكُ..
لكنّهُ يستفيقُ
فيُلفي النّدى
والمدى

والرَّحيقْ

وكلَّ السعاداتِ

أصبحنَ ذكرى..

لزوم ما لا يلزم

من أيِّ نَبعٍ سأنهَلْ وكلُّ ما فيكِ مَنهَلْ
ثغرٌ على شفتَيه أندى ندى الفَجرِ هَلهَلْ
جئنا عطاشاً فعاصى ثمَّ اتّقى.. ثمَّ أمهَلْ
حتى إذا ما رآنا نذوي، سقانا فأذهَلْ
ويا مَدى مقلتَيها في كلِّ كحلاءَ مَجهَلْ
في كلِّ عينٍ نجومٌ بالضّوءِ والحبِّ تأهَلْ
وصدرُها.. يا إلهي ريّان، نديان، أشهَلْ
أتيتُ كالذئب أعوي ففَزّ كالخيلِ يصهَلْ
وعندما اكتظَّ ثغري بهِ تراخى.. وحَيهَلْ
يا مَن رأى الثّديَ طفلاً جذلان يُرضِعُ أكهَلْ

إلى هنا.. واتّقينا

أنا أعي..

وهي تَجهَلْ

متاهات

في مَـوجِ شـعـركِ، أم فـي هـذه الـمُقَـلِ
أم فـي شـفـاهـكِ يـا أشـهـى مـن العسلِ
رأيـــتُ عـمـري مـتـاهـاتٍ أهـيـم بها
حـتـى تـلاقـتْ عـلـى واحـاتـكـم سُبُلي
يـا ذاتَ أنـدى فـمٍ.. يـا مَـن غَضارتُها
تـنـثـالُ عـطـراً عـلـى تكوينها الـخَـضِـلِ
أأنـــتِ أم ألـــفُ أنـثـى فـيـكِ نـابـضـةٌ
في كـلِّ منعطفٍ من جسمِكِ الثّمِلِ؟!
لو قلتِ للقلب: لا تنبضْ.. مسكتُ بهِ
حـتـى تُـعـيـدي إلـيـهِ رعـشـةَ الأمَـلِ

حنينٌ إلى ريام

أدمنتُ فيكِ على ربوعي ... وأفأتُ فيكِ إلى زروعي
وعرفتُ من عَينيكِ أسرارَ ... التّهجُّدِ والخشوعِ
فعكفتُ أصنعُ منَ شرايني ... ومن رئتي شموعي
وسلَلْتُ كلَّ فتيلها ... خيطاً فخيطاً من ضلوعي
أسرجتُها لكِ طولَ ليلي ... من أسايَ، ومن ولوعي
من حيرَتي حَدَّ الضياع ... ومن مجافاتي هجوعي
يا بنتَ إسماعيل فانتبهي ... إلى الوَهَجِ المَروعِ
هيَ روحيَ التهبَتْ فلا ... لا تُطفئيها بالدّموعِ
أذوي أنا يا بنتَ إسماعيل ... إن كثرَتْ صدوعي...

إلى ريام

شارداً صار قلبيَ
مِن يومِ أوّلِ نَبَضاتِهِ التفتَتْ
وهي مبهورةٌ
حين لامستِها
كان ينعَسُ بين الضلوع ويغفو
ويغيم ويصفو
لا يحاسِبُ من أحدٍ
لا يحاسبُهُ أحدٌ
لا يلومُ ويعفو

شارداً صار
مُربَكةً كلُّ نبضاتِهِ بين أضلاعِهِ..
نبضةٌ واحده
لم تزل صافيه

عِلقَتْ في الشغافِ تأرجحُ

من يومِ لامستِها

وهي في ركنِهِ غافيه...

وإلى ريام أيضاً

كلّما نزلَ الحبرُ من قلمي للورَقْ
عِلِقَتْ رعشةٌ من حنيني إليكِ بِهِ
فاحترقْ

سهر على مهود فارغة

قمر في شواطئ العمارة

أراهنُ أنَّ الذي أسمعُ الآنَ ليسَ الصَّدى
أراهنُ أنَّ الذي يقلُقُ الصحة الآن
شيءٌ سِوى الصَّمت
هل قلتُ شيئاً عن الذاكرة؟

ربَّما كان لي قمرٌ
ربَّما أوَرقَتْ سِدرةٌ ذاتَ يومٍ
بزاويةٍ في العمارةِ أعرفُها

و لَجأتُ إليها صغيراً
يُعَذّبني الشكُّ في حَيةٍ قيلَ تَسكُنها
و لجأتُ إليها كبيراً
فلم نتَعرَّفْ على بعضِنا

آهِ..

مَن لي بخوفِ الطفوله؟!

وأقسمُ أنَّ الذي أسمعُ الآن غيرُ الصَّدى

أنَّ ما يتسلل بين المفاصل

شيءٌ سوى الصمت

يا قمراً في شواطي العمارة

مِن أين نأتي بحَدسِ الطفولةِ

مِن أين..؟!

1974

انثيالات جنوبية

أيّها النهر

أنت أب

للنوارس فيك ملاعبها

للضفادع فيك مساربها

للسمك

مثلما للنخيل

فرق ما بينهما

إنّ هذي تحلق

والنجم بين مناقيرها

مفعم بالبريق

بينما هذه

تتقافز في جوف عرينها

وهي تملأ خضرته بالنقيق..

وتظل الشواطئ

برديها والقصب

ويظلّ النخيل

ملعباً للعصافير في الفجر

مبكى الفواخت عند الظهيره

وارتجاف زعانف حمرية

علقت في جذور الشواطئ أسيره..

أيّها النهر

أنت أب

كلّ ما فيك

حتى رواسبُك الخافيه

وهي تقذف في وجهنا الطين

تمنحنا الحبّ

والدفء

والعافيه..

1993

ومباركة أنت يا أمّ بيتي

سبعةٌ وثلاثونَ عامْ
مثلَما نَجمَةٌ
تَركتْ جُرحَها
عالِقاً في الظلامْ
مثلَما يَعبُرُ الآنَ هذا الغَمامْ
عَبَرَتْ أمَّ خالد..

كم رَبيعاً مَضى؟
كم شتاءً وَصَيفْ؟
كم خَريفاً بأعمارِنا حلَّ ضَيفْ؟

كم ضَحِكنا مَعا؟
كم ذَرَفنا على دَربنا أدمُعا؟
كم تسَرَّبَ مِن عُمرِنا مِن يَدَيْنا؟

كم عَزيزاً عَلَينا
أصبَحَ الآنَ طَيفْ..؟
كيفَ لم نَنتَبِهْ أمَّ خالد
كيفْ..؟!

سَبعَةٌ وثلاثونَ عامْ
أصبَحَتْ كلُّ أصدائِها
مثلَ رَجْعٍ بَعيدْ
رَغمَ أنّي أحاولُ
واليومَ عيدْ
لَيُخَيَّلُ لي أمَّ خالدْ
فَرْطَ ما شَمسُ عُمري تَميلْ
أنَّ ظِلِّي وَظِلَّكِ صارا بِطولِ ظِلالِ النَّخيلْ
ومُبارَكةٌ أنتِ يا أمَّ بَيْتي
عَدَّ كلِّ الأماني
وكلِّ الأغاني
عَدَّ كلِّ الدّموعْ
عَدَّ كلِّ الدُّعاءِ الذي دونَ صَوتِ

كانَ يَلهَجُ بينَ الضّلوعْ..

عَدَّ كلِّ السَّهَرْ

مُباركَةٌ عَدَّ نَقْرِ المَطَرْ

فوقَ شُبّاكِ غُرفَةِ نَومِكِ

بَيْنا صَغيرُكِ يَبكي..

يُناغي..

وَيَلعَبُ حتى الصَّباحْ

فأنتِ العراق بأغلى معانيه

طيبته..

وخصوبته..

وليالٍ غفونا بها كالحمام

ثم صرنا معاً أمَّ خالد

على كِبَرٍ لا نَنامْ..

1993

وطن

مرَّة قيلَ لي
لِمَ مِن دونِ كلِّ الشَّجَرْ
تحتفي بالنخيلْ؟

لم أجد ما أقول
غيرَ أنيّ تَذكَّرتُ كيف الفصول
تتعاقبُ كانت على بيتنا في العماره
وتذكرتُ كيفْ
في شتاءٍ وصيفْ
تتغيَّرُ أشكالُ كلِّ الشجَر
تتناثرُ أوراقُهُ في المطرْ
وحدَها كانت المطمئنَّةَ في بيتنا
بين بردٍ وحَرّ..

وتذكرتُ..

يا ما رأيتُ بها تَمَرةً نصفَ مأكولةٍ

كان جَدّي يقول

لم أجدْ كالبلابلِ شيئاً أكولْ

إنّها تعشق التمرَ

تأكلُهُ وتغنّي

ووجدتُ مع الوقتِ أنّي

أعشقُ النخلَ والتَّمرَ

أعشقُ فيه البَلابلَ والطَّلعَ

والسَّعَفَ اللا يحولْ

رغمَ كلِّ اختلاف الفصول

حين أصبحتُ في سنِّ جدّي

ونظرتُ لمجدِ العراقْ

صرتُ أدري لماذا

دمُ ألفِ شهيدِ

لسعفةِ نخلٍ يُراقْ...

1989

دعاء..

ليلةُ قَدْرِ
القريةُ غافيةٌ لا تدري
وهو على سَطحِ الدارْ
بين الصَّحوةِ والنومْ

في نصفِ الليلْ
لاحَ لهُ أنَّ الأبوابَ انفتحَتْ
وملائكةً سبَحتْ
وهي تردّدُ:
يا علوانُ اطلُبْ
يا علوانُ اطلبْ
فبكى..
قضى العمر
يحلم أن ينفتح الباب الموصود

كي يسأل صاحبهُ

أن يحفظ محمودْ

واتّسعت باب الغيبْ

يا علوان اطلبْ..

علوان مدامعه تجري

محمود شهيد

والصوت يعيدْ

يا علوان اطلبْ

فيتمتم في صوت معمودْ

احفظ محمود..

1989

يا أمّ خالد

لا. لا تُلحّي في سؤالي هي بعضُ أوجاعِ الليالي
هي بعضُ ما تركتْ صرو فُ الدهر زاداً في رحالي
تَعبٌ سُراي، غريبةٌ روحي، مقطَّعةٌ حبالي
مستَوحشٌ حَدَّ البكاء مهَدهَدٌ حَدَّ الكلالِ
وأنا، ودربُ العمر أوجَعُهُ بُعَيدَ الاكتهالِ
لا.. لا تقولي ما تزال فكلّ شيء للزوال
العمر يسعى للمحاق في حديثك عن هلالي؟!
أم تجبرين موادعي وتسترين على هزالي؟
أرأيت في الستين أو في نحوها قمراً يلالي
يا أمّ خَالد ما يكون الـ عمر..؟.. أعواماً نغالي
بحسابها..؟ تفنى السنون وإن تكن عدد الرمال
ليس الرجال العمر الأعمار تحسب بالرجال
كم خالدين جرت بهم أعمارهم بخطى عجال
بيننا يغطّي الأرض أموات بأعمار طوال

***

يا أمّ خالد حسبُنا أنّا غوالينا غوالي
إن أرخصت منّا الحياة فلم نزل مثل اللآلي

بيضاً ضمائرنا، كريماً صبرنا في كلّ حال
يا أمّ خالد والحياة من انتقال لانتقال
ما بين مشرقها ومغربها سوى لمح الخيال
ونظلّ نرقبها تسير بعمرنا نحو الذبال
لا نحن نسألها ولا هي باستغاثتنا تبالي

***

يا أمّ خالد كم عبرنا كم عثرنا في مجال
كم نال منا الدهر، لم يزن الحرام من الحلال
حتى إذا ما عافنا بقِيَت كريمات الخصال
لم تلتفت إلّا إلى وقع النبال على النبال

***

يا أمّ خالد أجملي وضعي مكابرتي قبالي
وتلطّفي بمواجعي وترفّقي بي لا تغالي
فأنا غريبٌ، مَطفأٌ جمري، مؤجّلةٌ دلالي
لا العمّ عمّي إن ندبت ولا عزيز، الخال خالي
لا تعتبي.. أدري بأنّي موجع حدّ النكال
أدري بأنّي زاخرٌ جرحي.. مكسّرة نصالي
مستفردٌ، وينوب خيبا تي بأجمعها حيالي
أدري بأنّ العمر مشد ودٌ بأنوال ثقال
وبأنّني سعي الغيو مِ الهوج تسعى بي جِمالي
وهوادجي، ورجالهنّ من الأسى ثقل الجبال
لكنّني سأظلّ أحمل قدر ما يسعُ احتمالي

سأظلّ رغم هجيرة الـ ـستّين وارفة ظلالي
ومليئة بالحبّ للـ دنيا بأجمعها سلالي

***

يا أمّ خالد لا تقولي قد كبرتُ على الجدال
والله لولا حرمة الـ ستيّن، والذمم الخوالي
ومواقف.. الله يعلمها .. وتعلمها المعالي
كنّا بها في القلب حيث تدور دائرة القتال
ما كنت أعتب أمّ خالد إنّ عتب الحرّ غالي
يا أم خالد حبرنا لمّا يزل ألقاً يُلالي
ما جفّ بعد على السطور ولا محت منه الليالي
للآن يزهو جرحنا أن لا يفيء للاندمال
وأقول صوتي لم يزل بمنابر الأيّام عالي
وأقول لي خمسون عاماً هنّ من غرر النضال
خمسون عاماً ما سهت فيها يميني عن شمالي
وقصائدي، خمسون عاماً وهي حادية الرجال
لم أغفُ يوماً والعراق معرّض للإغتيال
وأقول.. كم وأقول.. كم أوهمتُ نفسي بانفعالي
وإذا بنا يا أمّ خالد سائرين على ضلال
صرنا بلمح العين يشتمُنا الذين بهم نغالي!
صرنا نُعيِّر أنّنا قدر استفادتنا نوالي
وبأنّ لي بيتاً يضمّ وبعد ستين عيالي
لا بأس، نبقى أمّ خالد بين حلٍّ وارتحال

تعلو بنا الدنيا على حال، وتُنزلنا بحال
لكن يعذّبنا على ذاك النزيف والاشتعال
إنّا على الستين صرنا لا نؤول إلى مآل
وكأنّنا غرباء حتى عن مرابعنا الخوالي

***

ويظلّ قلبي للعراق عروقُه مثل الدوالي
متعلقاتٌ بالنخيل وسعفه حدّ الخبال
ويظلّ نجمٌ في العراق يضيء لي حلَك الليالي
لو ألفُ شمس أُسرجت عجزت لديهِ أن تلالي
يبدو فيملأ جانحيّ بهالتين من الجلال
مِ الحبّ واحدة وواحدة لفرط الإكتمال
الله.. كم نهوى، وكم نشكو هوانا وهو سالي
لا.. لا تلحّي في سؤال!

أيلول 1991

سهر على مهود فارغة

عشرين عاماً كنتَ أعمى
عشرين عاماً كنتَ مخدوعاً
وجرحُكَ كان يَدمى
عشرين عاماً
أيُّها المذبوحُ بين عسى.. ولمّا
حتى إذا أبصرتَ
كان الموتُ أسبقَ منكَ سهما..
أدري بأنّك صادقٌ في كلِّ ما نزفتْ جراحُكْ
أدري بأنّك قَطُّ لم يَخفقْ على وَشَلٍ جناحُكْ
ونكفَتَ حينَ السّاحُ ساحُكْ
عن أن يُقال ظلَّمتَ
أو
عصفتْ بلا سببٍ رياحُكْ
والآن حبُّكَ صار همّا

والآن صارت كلُّ هاتيك المُنى

أسفاً وغَمّا

من ذا يصدّقُ

أو.. علامَ يصدّقونكَ يا مُدمَّى

ما دام جرحُكَ لا يُبيحُ لكبريائكَ أن تسمَّى..

ما دمتَ لم تفقأْ عيونَكْ

ما دمتَ لم تُنشَرْ مع الأموات

كيف يُصَدّقونكْ؟

والناس

حتى لو تموت

على الكفاف سيذكرونَكَ

سيُقالُ كان كذا عفاهُ الله

أو يتجاوزنَكْ..

أسَفاً عليك.. وكنتَ غالي

أن يستبيحكَ من يشاء

وأن تُبعثِرَكَ الليالي

أسفاً عليك

وأنت في الستّين

أن تبقى تُلالي
ومهودُ عشقكَ كلُّها خويَتْ
وأنت بها تُغالي
وتظلُّ تدمى
ويظلُّ جرحُكَ
لا ينامُ مع الجراح
ولا يُسمَّى
عريان
يحملُ راعفَ الشريان
بين عسى.. ولمّا
أنِفاً..
ويدري أنَّ سهمَ الموت
أوجَرَهُ
وأصمى..

1993

تهجّدات عراقية

قد كنتَ مُذ كنت، زَيتاً في قناديلي ... وكنتَ دَمعي، وشَمعي في تَراتيلي
زَهوي.. ولَهوي.. وشَدوي في مَواويلي ... وكنتَ عندَ الصِّبا أحلى أباطيلي
أشهى غموضِ دَمي.. أبهى أكاليلي ... أدَقَّ رَصْـدٍ على أوهـى بَلابيلي
كنتَ انطباقَ دمي جيلاً على جيل ... حتى امتَلأتُ امتلاءً بالمَجاهيلِ
كم ضحكَة رَفرَفَتْ قربي.. عَلقتُ بها ... فـأفـلَـتَـتْ بـيـنَ آلافِ الشَّناشيلِ
وكـم ذؤابَـة شَعر كالسَّنا خَفَقَتْ ... وغـابَ طائرُها وَسْـطَ الهَلاهيلِ
جرى دَمي خَلفَها شَوطاً، وعادَ به ... نَقْرُ الـدّفـوفِ، وإيقاعُ الخَلاخيلِ
كم.. كم قرأتُ على شَطَّيكَ أدعيَتي ... وكم بَنَيتُ على المَجرى عَرازيلي
كتبتُ فيكَ مَزاميري بـحُـرِّ دَمي ... فـأيـنَ تَـقـرأُ إنجيلاً كإنجيلي؟!
يا مالكَ العُمر.. قالوا: هَل تُنازعُهُ؟ ... أجَـلْ.. على كلِّ يومٍ منهُ يُبقي لي
أقولُ: هل ضقتَ بي ذَرْعاً فَتَترُكني ... أُحصي بَقيَّةَ عمري بالمَثاقيلِ؟
وأيـنَ أمضي بها لو أنتَ تَترُكُها؟ ... وكيفَ أحملُها حَمْلَ المَثاكيلِ؟
يا سيّدي.. يا عراقَ الأرض.. يا وطني ... يا زهوَ عُمريَ مُذ رَنَّتْ جَلاجيلي
ومُذ دَرَجْـتُ ولي طَـوقٌ أُدَحرجُهُ ... وصـوتُ أُمّـيَ مِن خلفي يُغَنّي لي
هل فاتَنا العُمرُ حتى صارَ يُخجلُنا ... هـذا الـتَّـذَكُّرُ حتى في الأقـاويـلِ؟
أم إنَّني يا عراقَ الأرض يُحرجُني ... أمامَ كِبْرِكَ خَوضي في تَفاصيلي؟
وكيفَ أكتبُ شِعري فيكَ يا وطني ... إنْ لم يكُنْ كلُّ عمري فيك يوحي لي؟

من رَتْق دشداشَتي، والرِّجلُ حافيَةٌ لِـزَهْـوِ أوَّلِ يـومٍ فـي الـسَّـراويـلِ
مَن كلِّ مَحفوظَةٍ ما زلتُ أحفَظُها مِـن كـلِّ مِـسْـطَـرَةٍ أدْمَـتْ أناميلي
مَـن أيِّما دمـعَـةٍ.. من أيِّ مَظْلَمَة حَمَلتُها بينَ مَسجونٍ ومَعضولِ
إنْ لم يكُنْ كلُّ عمري فيكَ تَزْكيَتي فهَل سَأكتبُ شِـعْـراً بالتَّآويلِ؟!

1992

الموجعة

بَـــدَدٌ.. كـلُّ عُـمـره بَـدَدُ كـلُّ مـا يَـدَّعـي، ومـا يَـعِـدُ
الـقـوافـي، والـجـاهُ، وَالَـوَلَـدُ والـثَّـراءُ الـمَـوهـومُ، والـتَّـلَـدُ
والـمَـواعـيـدُ مـا لـهـا عَـدَدُ والـرِّضـا، والـرَّفـاهُ، والـرَّغَـدُ
بَـــدَدٌ كـلُّـهـا، وأوجَـعُـهـا إنَّـــهُ الآنَ عُـمـرُهُ بَـدَدُ
عَـلِّـمـيـه إذا ظَـفـرت بـه بـعـدَ سِـتِّـيـن كـيـفَ يَـقـتـصِـدُ
أُمَّ خـلـدَون، والـدُّنـا أَمَـدٌ كـلُّ مـا ظـلَّ فـي الـدُّنـا أَمَـدُ
مَـحـضُ وَقـت عـلـى دَقـائـقـه يَـنـحـنـي وَهـوَ يَـذبَـلُ الـجَـسَـدُ
كـلَّـمـا امـتَـدَّ يَـنـقـطـعْ سَـبَـبٌ مِـن رَجـانـا، وَيَـنـخَـلِـعْ وَتَـدُ
أُمَّ خـلـدون، نـحـنُ مَـن وَجَـع ضِـلـعُـنـا عـن أخـيـهِ يَـبـتَـعِـدُ
كـلُّ أوتـــادنـــا مُـزَعـزَعـةٌ فـبـمـاذا تُـكـابـرُ الـعَـمَـدُ؟!
أنـــت تـدريـنَ أنَّـنـي مَـرِحٌ طـولَ عُـمـري.. مُـشـاكِـسٌ، غَـرِدُ
عـاشـقٌ حـدَّ أن يَـضـجَّ دَمـي لِـسَـنـا الـفـجـرِ حـيـنَ يَـنـجَـرِدُ
كـنـتُ عُـمـري إذا انـتَـهـى مَـدَدٌ مِـن هُـيـامـي يَـجـيـئُـنـي مَـدَدُ
لـم أُسـائـلْ، لـكـنْ أعـيـشُ هَـوىً لـم يَـعـشْ مـثـلَ زَهـــوِهِ أحَـدُ
رُبَّـمـا كـانَ كـلُّـهُ زَبَـداً آهِ لـو عـادَ ذلـكَ الـزَّبَـدُ
أُمَّ خـلـدون.. أيُّ بـارقـة حُـلـوَةٍ جـاءَنـا بـهـا الـرَّشَـدُ؟
أيَّ زَهـــوٍ، وأيَّ عـافـيـةٍ حَـشَـدَ الـعُـمـرُ وهـوَ يَـحـتَـشِـدُ؟

نحنُ كنّا رَفيفَ أجنحَة فغدَونا نَمشي وَنستَنِدُ
وَحَشَونا جلودَنا حكَماً وَبَرَعنا في كيفَ نَنتَقِدُ
أجمَلُ العمر غالَ هَدأتَهُ خوفُنا أنَّنا سنَفتَقِدُ
صارَ بعدَ الصَّفاء يُقلقُنا أينَ نَغفو، وكيفَ نَبتَرِدُ؟
كَم طُمأنينَةً عَواذلُنا وَأدُوها في بَعضِ ما وَأدوا
فَغدَونا مَحسوبَةً سَلَفاً ضِحكُنا، والبُكاءُ، والجَلَدُ
بَددٌ، كلُّ عُمره بَددُ لا وِقاءٌ لهُ، ولا سَنَدُ
مُنذُ خَمسين وهوَ مُعتَكفٌ وَعليهِ مِن نفسِهِ رَصَدُ
حَسبَ الدَّرسَ تارَةً أرَباً فبَرى الرُّوحَ وهوَ يَجتَهدُ
حَسَبَ الشعرَ مَلجأً فذَوَى وهوَ يُوري، والشِّعرُ يَتَّقدُ
ظَنَّ أولادَهُ لهُ سَبَباً ففَداهم بكلِّ ما يَجِدِ
كانَ أقصى أحلامه وَلَدٌ يَزدَهي، أو بُنَيَّةٌ تَلِدُ
وإذا كلُّ سَعيهِ بَددُ شعره، والدروس، والولد
بدد، كلّ عمره بددُ كلُّ ما يَدَّعي، وما يَعِدُ
عَلِّميهِ يا مَن عَجِلتِ بِهِ بعدَ سِتّين كيفَ يَتَّئِدُ!

***

أمَّ خلدون، لا أقولُ كما.. لا، ولا أرصُدُ الذي رَصَدوا
أنا عندي زَرعي وَساقيَتي وَنواعيرُ ماؤها هَدَدُ
كلُّ دَلوٍ بها لهُ رئةٌ وَحدَها بالدُّموعِ تَنفرِدُ
وَتعلَّمتُ إذ يَدورُ بها حُزنُها السَّرمَديُّ والكمَدُ
أنَّها وَحدَها مُخوَّلَةٌ أن يُغنِّي دولابُها النَّكِدُ
لا تقولي أسرَفتَ يا سَنَدي رُبَّ تعبان ما لَهُ سَنَدُ

أنا عندي حُزني ألوذُ به فاقدُ الحُزنِ أينَ يَتَّسِدُ؟!
بَدَدٌ كلُّ عُمرنا بدَدُ ما أضَعنا بهِ، وما نَجِدُ
كم زَرَعنا، وكم سَقى دَمُنا وَسَهرنا حتى ذَوَى الكبَدُ
كم نسَجنا ضلوعَنا زَرَداً شاخِصاتٌ لِيَومِنا الزَّرَدُ
كم، وَليلُ الشِّتاء يَرقبُنا خوفُنا فيهِ كادَ يَنجَمِدُ
وَصَبَرنا، وكلُّ ثانية تَتَلوَّى كأنَّها أبَدُ
أسَفاً أن يُقالَ قد صَدئوا والمروءاتُ حَبلُها مَسَدُ
أُمَّ خلدون إنَّ بي غَبَشاً ألفُ فجرٍ عليهِ يَنعَقِدُ
لم يزَلْ نَبعُنا جَداولهُ كلُّ آتٍ مِن مائها يَرِدُ
فإذا جاءَنا بلا بلَدٍ فقناديلُنا لهُ بَلَدُ

***

أُمَّ خلدون كَفكفي وَجَعي وَعِديني ببَعضِ ما أعِدُ
أنا أدري بأنَّ ألويَتي نِصفُها في الرِّياحِ يَرتَعِدُ
أنا أدري بأنَّ لي سُفُناً فُقِدَتْ في عِدادِ مَن فُقِدوا
أنا أدري بأنَّ بي وَرَماً مُنذُ خَمسين وهوَ يَطَّرِدُ
وبأنِّي تَساؤلي حَرَدُ وَبأنِّي خُصومَتي لَدَدُ
أنا أدري، أدري بأنَّ دَمي في الشَّرايينِ باتَ يَتَّقِدُ
بسنين بحُزنها ذَهَبَتْ وَسِنين بحُزنها تَفِدُ
أُمَّ خلدون.. أيُّ مُعجزَة تُقنِعُ العِرقَ كيفَ يَنفصِدُ؟!
أنا أقنَعتُ كلَّ أوردَتي أنَّ نَصلي بها سَيَنغَمِدُ
وبأنِّي مُعوِّضٌ دَمَها بمَزاريبَ ماؤها هَدَدُ
بشموعٍ أضواؤها رُمُدُ وضلوعٍ أوجاعُها جُدُدُ

بتقاليدَ كلُّها هُجرَتْ وَمَوالِيدَ كلُّهُم وُئِدوا
بغدٍ مُبهَمٍ جداوِلُهُ كلُّها بالدُّموعِ تَتَّحِدُ
فاعذُريني إذا نَذَرتُ دَمي رُبَّ وَعدٍ يَبكي لِمَن وَعَدوا
أُمَّ خَلدون لملمي سَهَري وارقُدي بي فالنَّاسُ قد رَقَدوا
أنا ما زلتُ مُوقَظاً وَجَعي بَينَما كلُّ إخوَتي هَجَدوا
وَغَداً، والعيونُ تَسألُنا ما حَصَدنا لها، وما حَصَدوا
نَتَراءَى فقيرَةً يَدُنا وَلكلٍّ امرِيءٍ يَدٌ وَيَدُ
نَتَراءَى نحنُ النِّيامَ غداً بينَما القومُ كلُّهم سَهِدوا
ألفُ حمدٍ لله.. نشكرُهُ أنَّنا بالمَلامِ نَنفَرِدُ
ألفُ حَمدٍ لله أنَّ لَنا وَحدَنا ما يُخلِّفُ الكمَدُ
التَّشَفي، واللَّومُ، والحَسَدُ وَنزيفٌ عليهِ نُنتَقَدُ
بَدَدٌ، كلُّ عمرِه بَدَدُ كلُّ ما يَدَّعي، وما يَعِدُ
هَدهِديهِ لعلَّ غُربَتَهُ حينَ يَغفو تَغفو وَتنضَمِدُ

1994

عمر طويناه

ألقيت في افتتاح ملتقى الإبداع في ميسان 15/ 5/ 1995

كالنَّهر جاء ولكنْ... دون شطآن ينسابُ... يعثرُ أذيالاً بأردانِ
مُجلَّلاً بنَديف الشَّيب.. مُحتضناً في قلبِهِ الشمسَ فجراً وَسْطَ دُخّانِ
روحاً مهوّمَّة في شكلِ إنسَان يكاد يذرفُ دمعاً خَطْوهُ الواني
يطوي إليكِ مدى ستّين موحشةً ترى عرَفتِهِ يا شطآن ميسانِ؟!

***

كان الهوى يومها أوجاعَ أغنية أنغامُها أدمعٌ تجري بألحانِ
تمرُّ بالهور.. بالبرديِّ.. توقظُهُ وتنتقي قصَباً من كلِّ شريانِ
تُحيلُهُ نايَ عشق فوق شاطئها ومطبجاً باكياً في الشاطئ الثاني
وكنتُ طفلاً غزيرَ الشَّعر، فاحمَهُ فعدتُ والشَّيب أرعاهُ ويرعاني
ترى تذكَّرتنِي شطآنَ ميسانِ؟!

***

تركتُ فوق «علي الغربي» أعزَّ هوىً كنتُ ابنَ عشرٍ، فهل.. يا كلَّ إنسان
سمعتُمُ بابنِ عشر من هواهُ بكى؟ الآن أُقسمُ أنّ الحبَّ أبكاني
مَن ذا يُصَدّقُ أنّ القاطنين هنا في عمر عشرٍ لهم أوجاعُ فرسانِ
وأنّهم يفهمون الحبَّ مُذْ وُلدوا فهم سكارى بهِ من دون بُهتانِ

وهـم يُـحيـلـونَـهُ دمـعـاً وأغـنـيـةً تسري مع الريح من سَهرى لسَهرانِ
«مَسعود».. ما قلتَ لي، «وين الوَعَدْ» أبداً لـو قلتَها مـرةً قـطَّـعـتُ أرسـانـي
وجـئـتُ أركـضُ للكحلاء داليـةً بـلا فـروعٍ، وقلبي بين أحضاني

***

وأنت يا «مَجَرَ» الأحباب.. فيك لنا جَدٌّ رضعنا الهوى في بيتِهِ الهاني
ردّيَ لنا أيَّ شـيء مـن ملامَحه من ذلك البيت.. من سيباطِهِ الحاني
يا ما رجَفنا على أغصان سدرَتِهَ مُـذ قـيـلَ إنَّ عليها وَكـرَ ثعبانِ
لـلآن والـنَّـبـقُ فيها مـلءَ ذاكرتيَ يشدّني نـحـوَهُ، والـخـوفُ يَنهاني

***

يا ذكـريـاتُ اصفحي عنّا فـإنَّ بنا طفولةً لم تَـزل في سجنِ سَجّانِ
عمرٌ طويناهُ، لم نعرفُ طفولتَنا من فَـرطِ قَهرٍ بنا، أو فرطِ حرمانِ
أو فـرط زهـو يُخلِّينا نـقـول لهُ أبـا فـلانٍ.. وهـوْ في عـامِـهِ الثاني
ويصبحُ الطفلُ، ما زال الحليبُ على شـفـاهِـهِ، رجـلاً يمشي بـمـيـزانِ
«شَطَّ العمارة».. هل مازال موقعُنا عليك نـعـرفُـهُ مـن دون بـرهـانِ؟
وفي «السريَّةَ» هل ظلَّت منازلُنا أم مالَها الـدهـرُ أركـانـاً لأركـانِ؟
و«الفيصليَّةُ».. هل مدَّ الزمانُ يداً إلـى أسـاتـذتـي فيها وأقـرانـي؟
مَن ظلَّ منهم؟.. ومن أودى؟.. وأيُّ يدٍ إذا مـدَدتُ يـديَّ الآن تلقاني؟!

***

يا «أنـورَ بـنَ خليل» طـالَ موقفُنا و«كـاظـمٌ» مـا رأيـنـاهُ إلـى الآنِ
تُـرى تناسى «أبـو أحـلام» موعدَنا من فرطِ رَفضٍ بهِ، أم فرطِ إذعانِ؟
أم إنَّنا يا صديقَ العمر.. خلَّفَنا طولُ السُّرى بين مدفونٍ ودَفّانِ؟!
ويـا «لـمـيـعـةُ» يـا أزهـى بـيـادرِهـا يا زرعَ بيتي، ويـا قنديلَ جيراني

يا أطوَلَ النَّخلِ في ميسانَ أجمَعها ويـا أعـزَّ الـحَـلا فـي تمر ميسانِ
يا بنتَ خاليَ.. ما أبقى الزمانُ لَنا ممّا حدَوناهُ من ركبٍ وأظعانِ؟
تُـرى أأنـبـأك الـعـرّافُ ليلَتَها أنّـا سنصبحُ فـي الستّين سيّانِ
أنـا هنا بين أهَـلـي شبهُ مغترب وأنـتِ فـردٌ بـلا أهـلٍ وأوطـانِ
يا رحمةَ الله في من لستُ أبصرُهُ لـكـنّهُ الآن فـي قلبي ووجـداني
يا رحمةَ الله في من لستُ أسمعُهُ لـكـنْ يـظـلُّ صـداهُ مـلءَ آذانـي

***

عـفـوَ الـعـمـارة أنّـي يـومَ فرحتها أمـرُّ فيها بـأوجـاعـي وأحـزانـي
وكانت انتظرَتْ من فرعِ دوحَتِها أن يـقـرعَ الشِّـعـرَ أوزانـاً بـأوزانِ
لكنّه العمر.. نـاعـورُ السّنين لَهُ دلـوٌ بقلبي، ودلـوٌ بين أجفاني
ميسان... يا وسعَهُ زهوي بميسان الـمـاءُ مـائـيَ، والبـسـتـانُ بستاني
والأهـلُ أهليَ حتى إنَّ أبعَدَهم أدنـى لقلبيَ مـن أهلي وإخـواني
ما كان لي أن يَرفَّ الشعرُ في شفتي لو لم تكن سُفُني منها وسَفّاني
هي العمارةُ، فجرُ العمر.. مُرضعَتي ومـا أزال رضيعاً حين تَنخاني
تكادُ تهوي على أقدامها شَفتي أُمّـي.. ورَبَّـةُ إنجيلي وقـرآنـي
وأكـرمُ الـنـاس أهلوهاَ وجيرَتُها وأصـدَقُ الناس هم في كلِّ ميدانِ
نُـبـلاً، وطيبةَ نَـفـس، وانـفـتـاحَ يد وخيرُها أنَّهم جذعي وأغصاني
وهم ملاجئُ روحي كلَّما اغترَبتْ وهم مياهي.. وهم زرعي وبنياني
ومـا تـزال لـ«تسواهن» هلاهلُها والـهـور مـازال محروساً بعلوانِ

***

يا أمَّ روحي، وقد أحيَيت قافيتي بما أعَـدتِ لها مِن زهوها الفاني
وعُـدتِ ستّين عاماً بي.. وَها أنذا طفلٌ إليكِ حَبا في عامه الثاني

إشارات:

علي الغربي والمجر: من أقضية محافظة ميسان.

مسعود: هو مسعود عمارتلي.. مغني العمارة الشهير.. وأشهر أغانيه (وين.. وين الوعد... وين).

السيباط: سرير يرفع بعمودين، وهو مشهور في العمارة.

المطبج: مزمار مزدوج يصنع من القصب.

السرية: محلة في العمارة، عاش فيها الشاعر طفولته.

الفيصلية: مدرسته الابتدائية التي درس فيها.

أنور خليل، وكاظم التميمي: من أشهر شعراء العمارة.

لميعة: لميعة عباس عمارة، الشاعرة المشهورة.. وفي البيت إشارة إلى ديوانها «لو أنبأني العرّاف».

منذ ذاك المطر

كنت طفلاً أنام على السطح في الصيف
في بيتنا في العماره
كنت أسبح بين رجاب الفضاء
وأحلم
أرحل بين الغيوم
وبين النجوم
وأحلم..
في أيّما نجمة يسكن الله؟!

كان المعلم يخبرنا
أنّه فوق كلّ النجوم
وكلّ السحاب
وهو في كلّ بابْ
فإذا ما دعته القلوب استجابْ

يا ما تلمّست جنبي

وتمنّيت من كلّ قلبي

لو أرى الله..

ثم أنام

حالماً بألوف الكواكب تحمل فوق الغمامْ

عرشه

وهي تسهر وسط الظلام...

ليلة

كنت أوشك أغفو

عيناي في غيهب تسبحان

وصوت الأذان

والكواكب تنأى وتطفو

فجأة مرّ سهم من الضوء لصق القمرْ

تاركاً جرحه في السماء..

لست أدري لماذا تخيّلت أن الدماء

ملأت مقلتي

وأن المطرْ

سوف يهمر ذاك المساءْ..

وانهمر..

ذاهلاً كنتْ

الغيثُ يهمي

وصيحات أمّيْ

وأحسست في عنفوان المطرْ

أنّ قلب السماء انفطرْ

وتسرّب قنديل ضوء

رويداً تدلّى

ومسّ سريري وصلّى..

ورأيت المعلم يبسم جنبي

بينما الله يملأ قلبي

فمددتُ يدي نحو صدريَ أحضنُه

بينما صوتُ أمّي

وهي توقظني وتسمّي

يردّد..

سبحان ربّي

يمرّ الشتاءْ

كلّه دون ماءْ

ثم تمطر في شهور تموز؟!

سبحان ربّ السماءْ!

منذ ذاك المطر

وأنا مؤمن بالقدر

مؤمن أنّ ربي بقلبي

وأنّ الطريق إليه نقاء البشر..

1996

والآن ها قد قطعنا الشوط يا وطني

الآن يـا وطـنـي أوقَـــدتَ قـنـديـلَـكْ
جفّفتَ دمـعَـكَ أو جفَّفتَ منديلَكْ
الآن صـار الأسـى والـدمـعُ لـيس لـهُ
مـعـنـىً.. تـريـدُ خَـلـيّـاً كـي يُـغـنّي لك
وأنـتَ حـجـمُ الـغِـنـا والـحـبِّ يـا وطني
لـكـنَّـمـا كـدتَ تُـنـسـيـنـي مَـواويـلَـك
لـقـد حـمـلـتُـكَ جـرحـاً نـاغـراً، ودمـاً
وأدمُـعـاً.. وبَـلـى، أدري هـلاهـيـلَـكْ
لـكـنّـنـي قَـطُّ لـم آنَـسْ بـهـنَّ سـوى
عـلـى مـواكـبِ مَـن شـالـوا أكـالـيـلَـكْ
كـان الأسـى كـبـريـاءً لا يـطـاوعُـهـا
دمـعٌ.. بـهـلـهـولـةٍ كـنّـا نُـعـرّي لك
أوجـاعَـنـا كـلَّـهـا.. حـتـى قـصـائـدُنـا
كـانـت تُـهـلـهِـلُ زهـواً وهـي تبكي لك
والآن.. ها قد قطعنا الـشـوطَ يا وطني
وزهُـونـا كـلُّـهُ يـشـتـاقُ تـقـبـيـلَـكْ

لكنَّ جذرَ الأسى ما زال في دمِنا
لطولِ ما دُمنا ساقى بلابيلَكْ
فلا تُعاتبْ دموعاً أنت صاحبُها
يا طالما جَريُها حنَّى أناميلَكْ
هذي دموعُ الرِّضا والحبِّ يا وطني
عيونُها دائماً كانت قناديلَكْ
وأنت كحَّلتَها بالضَّوءِ أجمعِهِ
فكيف أجفانُها تنسى مَكاحيلَكْ؟
يا كلَّ ما للعراقيّين من شرفٍ
متى مجاهيلُنا تلقى مَجاهيلكْ؟!

تموز 1997

يا نجم ميسان

أُلقيت في الاحتفال الكبير الذي أقامته محافظة ميسان على مدى يومين تكريماً لشاعرها في الذكرى السابعة والستين لولادته.

هذا نداؤك في سمعي، وفي بصَري لبَّيكِ.. أيُّ جناحٍ كَي لم يَطِرِ؟!
مَن قال ننسى؟.. نَسينا العمرَ أجمعَهُ سوى عُمَيرٍ بسقفٍ منكِ مستَترِ
وها أنا.. كلُّ أمواجي، وأشرعتي تجري.. فَكُلِّي إليكِ الآن في سَفَرِ
سرَقتُ ستَّةَ أعوامٍ وطرتُ بها وعفتُ ستّين يستَعجلْنَ في أثَري
يا ليتَ قافلةَ السّتّين لا وصلَتْ لكنتُ طفلَكِ حتى آخر العُمُرِ

***

ميسان.. يا دائرَ الأفلاك لا تَدُر عُدْ بي ثلاثةَ أيّامٍ إلى صِغَري
إلى «السَّرية».. لي بيتٌ بزاويةَ فيها.. لِشَطِّ «على الغربي» إلى «المَجرِ»
لبيت جدّي.. وسرْ هَوناً بساحتهِ كانت لنا سدرةٌ ممنوعةُ الثَّمَرِ
أموتُ شوقاً لهَا، لكنْ تُعذِّبُنَي أفعىً عليها، فأبقى زائغَ النظَرِ
لليوم والنَّبقُ فيها ملءَ ذاكرتي وفي حنيني إليها خوفُ مُنذَعِرِ!

***

يا نجمَ ميسان، واعبُر بي نزورُ معاً بيتاً «بقلعةِ صالحْ»[1].. وَيْكَ لا تُنِرِ
لعلَّ عينَ ابنِ عبد الله غافيةٌ للآن من كثرةِ الإرهاقِ والسَّهَرِ

(1) قلعة صالح: قضاء من أقضية ميسان عاش فيه العالِم العراقي الكبير عبد الجبار عبد الله طفولته وصباه.

عُـذْرَ الـزيـارة لم يـؤذَنْ لصاحبها أبا سنانٍ.. وإن بالَغتُ في حَذري
فـبَيتُ مثـلِكَ قـدّيـساً، لحُرمته تجفُّ حتى أصابيعي على وتَري

***

يا أهلَ ميسان.. هل بابٌ فأطرقُها فتستديرُ على مصراعِها الخَفِرِ
وخلفَها صوتُ «مسعود» يذوبُ جوىً ومقلتانِ.. سفَحتُ العمرَ وهو طَري
على مَدارَيهما.. طفلاً بكيتُهما لحينِ شاخَتْ عناقيدي على شجري
وظلَّ «مسعود» حتى اليوم يسألني: «وينَ الوَعَدْ وين»؟... يا مسعود.. لا تُثِرِ
أوجاعَنا.. نحنُ يا مسعودُ أهلُ هوىً أكـوامُ مـبـتـدآتٍ دونَـمـا خَـبَـرِ
دارَ الـزَّمـانُ بنا عـمـراً بأكمَله وعافنا بين مـصـدوعٍ، ومُنكِسِرِ
لا أهـلُـنـا سـألـوا عـنّـا، ولا دمُنَا جفَّتْ بقاياهُ يا مسعودُ في الحُفَرِ

***

ميسان.. لن أوقظَ الشكوى، فَبي فَرحٌ أنّـي أتيتُ وحـبُّ الناسِ مُنتَظِري
سبَقْتُهُ، وائـتـزرتُ العمرَ أجمعَهُ لكي أراكِ وكـلُّ العمرِ في أُزُري
أقول: هذا أنا الطفلُ الذي ركضَتْ أقدامُهُ فيكِ.. في الشطآنِ والجُزُرِ
يا ما بَنَتْ قَطَراتُ الرَّملِ من يَده أبياتَ حُـبٍّ ولـكـنْ.. دونَما أُسَـرِ
وظـلَّ يـحـلُـمُ عـمـراً لَـو يؤثِّثُهَا ويسألُ الله لو تغدو من الحَجَرِ
ليَستظلَّ بها مـن لا بـيـوتَ لهم أنّى يكونون، من عَمروٍ، من عُمَرِ
وكـان يَرهفُ مثلَ الصَّارم الذَّكَرِ وراح يكتبُ شعراً موحِشَ النُّذُرِ
أضحى له قصَبُ الأهوار نايَ هوىً وصـار بَـرديُّـهـا زاداً على السَّفَرِ
فكم بذاكرةِ «الخرّيط»[1] من وَجعٍ وكم بها من حنينِ العُسرِ لليُسُرِ

***

(1) الخرّيط: نوع من الحلوى تصنع من ثمر البردي.

ميسان.. رُدِّي لهذا الشيخ بعضَ ندىً ... ممّا جرى فيكِ من ينبوعِهِ الغَضِرِ
أيـامَ رفَّ على الكحلاء مرتجفاً ... كما يـرفُّ جناحُ الطيرِ في المطرِ
كانت شَواطيك مَرسى كلِّ أشرعتي ... ومـا تـزالُ قناديلي على كِبَري
ما قلتُ شعراً ولم تلمَعْ بقافيتي ... نُجَيمَةٌ منكِ.. جَذْحَ النارِ بالشَّرَرِ
أكـادُ أشعرُ حتى في دبيب دمي ... أجراسَ شَطِّكِ بين الصَّحوِ والخَدرِ
يُـوقـظْـنَ أيَّ رنـيـن بين أوردتـي ... قَرْعَ النَّواقيسِ في مقفولَةِ الحُجَرِ
تضجُّ حتى أضاليعي يَـطْـرنَ بها ... دوامـعـاً بين مَـشـروخٍ، ومُنفَطرِ
مَن لي بها الآن في ورْدي، وفي صَدَري ... من لي بها وأنـا في ذروةِ الكدَرِ
تُـعـيـدنـي لـبـراءاتـي.. لأدعـيَـتـي ... لنخلةٍ وَشِمَتْ وشماً على قَدَري
مَن لي بها..؟.. ليت خيلَ العمر ما ركضَتْ ... ولـيـتَ قـافـلـةَ الـسِّـتِّـيـن لـم تَـسِـرِ

***

ميسان.. هل قلتُ شيئاً تغضبينَ لَهُ؟ ... أخافُ من وجعي حيناً، ومن ضَجَري
وأنـت لـي وجَـعٌ أبـقـى أنـوءُ به ... منذُ ابنِ عامَين حتى آخرِ العُمُرِ
أنـت التي أرضعَتْني حبَّها، وبه ... لمّا تَعلَّمتُ أمشي، قَوَّمتْ عَثَري
بالحبِّ، ثمَّ الأسى.. دَثَّرتني عُمُراً ... وما أزالُ الأسى والحبُّ مدَّثَري
فكلُّ شعـري، وحتى مـا أثـورُ به ... لـولا جنونيَ فـرطَ الحبِّ لم يَثُرِ

***

يا نَبْعَةَ الطِّيب، يا مسدولَةَ السُّتُرِ ... يا أمَّ أطيَبِ مَن في الأرضِ من بَشَرِ
ويـا كـريـمَـةَ نـفـس، مـن طفولتها ... لليوم، تُطحنُها الدُّنيا، ولم تَجُرِ
بَـلْ كلَّما ظُلمَتْ زادتْ مروءتُها ... وكلَّما ضُرَّتْ استعصَتْ على الضَررِ
وكلَّما عـصَـرَتْ أوجـاعُـهـا دمَها ... ضجَّتْ، فلم تُعطِ تَنفيساً لمُعتَصِرِ

***

ميسان.. واحتملي نَزفي على كبرَي ... علَّمتنِي أنتِ.. مِن مَجرى دمي عِبَري
وأنت مجرى دمي.. هل تذكرين به ... كم، دون علم، دخَلْنا دارةَ الخطَرِ؟!
ساءلَتُ ذاكرةَ السّتّين.. هل بلغَتْ ... حدَّ التَّورُّطِ في نسيانِها ذِكَري؟!
إنّي عهدتُك يا نيسان مملكةً ... للماء.. ما اتَّكأتْ إلا على نَهَرِ
عَهْدتُ زرعَك تَسبي العينَ خُضرتُهُ ... للهِ بَيدرُهُ من بيدَرٍ نَضِرِ
عَهدْتُ أهلَكَ والأهدابُ حالمةٌ ... كأنَّما زُرِعتْ في دارةِ القَمَرِ
فما الذي سَلَبَ الأيام رونقَها ... في مقلَتيكِ فسالَ الكحلُ في الحَوَرِ؟!
وما لكلِّ درابيني وأرصفَتي ... كأنَّها أسرفَتْ في الضِّيقِ والقِصَرِ؟
وكلُّ دار بها أخفَتْ نوافذَها ... وطأطأتْ سقفَها من شدَّةِ الحذَرِ!
من قبلِ ستِّين كنت الحُسنَ أجمعَهُ ... هل شختِ ميسان؟ أم شاخَتْ يَدُ القدَرِ؟!
أم إنَّنا كلَّنا شَاختْ معالمُنا ... مِن وحشةِ العمرِ، أو من وحشةِ الغيَرِ!

***

ميسان.. لا تُطفئي قنديلَ أوردتي ... حملتُهُ والهاً من أبعَدِ العُصُرِ
لكي أضيءَ به عمراً مَلاعبُهُ ... ما زلْنَ بين صناديقي، وفي صُرَري
أفكُّها كلَّما اسوَدَّتْ يدي ندماً ... لأستعيدَ اخضرارَ الماء في شجري
كوني لقافيَتي ميسان أشرعةً ... أو كالمشاحيف مُرِّي بي على صِغَري
لعلَّني حين أغفو أطمئنُّ على ... إطباقِ كلِّ محاراتي على دُرَري

1997

القافلة

كـلُّ شـيءٍ يـمضي لـنفسِ الـمآلِ
الـلـيـالـي، وعـاديـاتُ الـلـيـالـي
الـمُـحبّـون، والـخـلـيّـون، والـعـذّال
أهـلُ الـتُّـقـى، وأهـلُ الـضَّـلالِ
والـخـصـومـاتُ، والأذى، والـمآسي
والـمـروءاتُ، والـنَّـدى، والـمعالي
مُـسـرعٌ مـوكـبُ الـفـنـاء.. قتيلٌ
فـي رحـالٍ، وقـاتـلٌ فـي رحـالِ
كـلُّ شـيءٍ يـمضي سـريـعاً وتبقى
لـلأحـاديـث ذكـريـاتُ الـرجـالِ..

***

أطـمـوحٌ أنَّ ابـن آدمَ يبني
وهـو يـدري بـأنـه لـلـزَّوالِ؟
إثـرَةٌ، أم أثـارةٌ.. أم هـو الـعمرُ
انـشـغـالٌ، أو رغـبَـةٌ فـي انـشـغـالِ؟!
أهـوَ سـرُّ الـحـيـاةِ أنّـا بـدأنـا
بـابـتـهـالٍ، ونـنـتـهي بـابـتـهـالِ؟

بـيـن بـــابَـــيْ مَـــخـــافَـــةٍ ورجـــــاءِ
يـرجـفُ الـعـمـرُ كـارتـجـاف الـذُّبـالِ
تـــاركـــاً خـلـفَ خـــطـــوِهِ خـفَـقـاتٍ
مـــن ضـــيـــاءٍ، وغـــابـــةً مـــن ظـــلالِ
تُثقِلُ الـنـاسُ مـا استـطـاعـتْ، وتمضي
حـيـن تـمـضـي خـفـيـفـةَ الأحـمـالِ
يـا جـمـوحَ الإنـسـان.. لـولا الـتَّـحـدِّي
أيُّ عـــذرٍ لـكـلِّ هـــذا الـنّـضـالِ؟!

1992

سلام على بغداد

كبيرٌ على بغداد أنّي أعافُها ... وأنّي على أمني لديها أخافُها
كبيرٌ عليها، بعدما شابَ مفرقي ... وجفَّتْ عروقُ القلبِ حتى شغافُها
تَتبَّعتُ للسَّتين شطآنَ نهرها ... وأمواجَهُ في الليلِ كيف ارتجافُها
وآخَيتُ فيها النَّخلَ طَلعاً، فَمُبسَراً ... إلى التمر، والأعذاقُ زاهٍ قطافُها
تَتبَّعتُ أولادي وهم يملأونَها ... صغاراً إلى أن شَيَّبتهُم ضفافُها
تتبَّعتُ أوجاعي، ومسرى قصائدي ... وأيامَ يُغنّي كلَّ نفسٍ كفافُها
وأيامَ أهلي يملأُ الغيثُ دارهَم ... حياءً، ويُرويهم حياءً جفافُها
فلم أرَ في بغداد، مهما تلبَّدتْ ... مَواجعُها، عيناً يهونُ انذرافُها
ولم أرَ فيها فضلَ نفسٍ، وإن ذوَتْ ... ينازعُها في الضائقات انحرافُها
وكنّا إذا أخَنَتْ علىً الناس غُمّةٌ ... نقولُ بعون الله يأتي انكشافُها
ونغفو، وتغفو دورُنا مطمئنّةً ... وسائُدها طُهرٌ، وطهرٌ لحافُها
فماذا جرى للأرض حتى تبدَّلتْ ... بحيث استوَتْ وديانُها وشِعافُها
وماذا جرى للأرض حتى تلوَّثت ... إلى حدّ في الأرحام ضجَّتْ نِطافُها
وماذا جرى للأرض.. كانت عزيزةً ... فهانتْ غَواليها، ودانت طِرافُها

***

سلامٌ على بغداد.. شاخَتْ من الأسى ... شناشيلُها.. أبلامُها.. وقِفافُها
وشاخت شواطيها، وشاخت قبابُها ... وشاخت لفرط الهمِّ حتى سُلافُها

فلا اكتُنِفَتْ بالخمر شطآنُ نهرِها ولا عاد في وسعِ النَّدامى اكتنافُها

***

سلامٌ على بغداد.. لستُ بعاتب عليها، وأنّى لي وروحي غلافُها
فلو نسمةٌ طافتْ عليها بغير مَا تُـراحُ بـه، أدمـى فـؤادي طوافُها
وهـا أنـا في السَّتين أُزمِـعُ عَوفَها كـبيرٌ عـلـى بـغـداد أنّـي أعـافُـهـا

1995

بعد فوات الأوان

كان وقتها قد اكتمل نزول الماء الأبيض على عينيه

متى ستفهمُ أن تحتاطَ يا أعمى حتى العمى، أنت تدري، بعضُه نُعمى!
وأنـت تزحف للسبعينَ راسمةٌ عليك سودُ الليالي وقعَها رسما
متى ستفهمُ أن العمر أوجعُه أن صـار أرذلُـه بعد الغنى يُتما
وصـرت تعثر لا تـدمي مكابرةً لكن تسيرُ حطاماً كلّه يدمى!

***

متى ستفهم أن تحتاط يا أعمى أن تستريب قليلاً قبلما ترمى؟
لو.. لو تلفتّ يوماً.. لو رفعتَ ولو صراخَ جرحك يوماً عندما تصمى
لعل سامعَ صـوت، بعضُ نخوته أن كنت يوماً له في وهمِه وهما!
وكان يحمي بك الأوهـامَ أجمعَها فصرتَ تحمي ولكن صرت لا تُحمى!

***

متى ستفهمُ أن تحتاط يا أعمى أن لا تقول، وأنت المُبتلى: مهما
مهما لماذا؟.. على ماذا؟؟.. وعمرُك لم تشجب بغير الدما أوصالك الكلمى
نزفت ستّين عاماً، لا اقتصدتَ ولا فكّرت تشرب ماذا عندما تظما..!

من أيّ جراح الأرض ستشرب يا عطشي؟!

القصيدة التي افتتح بها مهرجان المربد الثاني عشر ببغداد في 24/11/1996

أقفرَت السُّوحْ
الخوفُ كتابٌ مفتوحْ
لا ظلٌّ يأتي
لا ظلَّ يروحْ
وتلبَّسَ وجهُ الذَّابحِ وجهَ المذبوحْ
من أيِّ جراحِ الأرضِ ستشربُ يا عطَشي؟!
كيف تأتي القصيدة؟!
ومن أين تملكُ
أنتَ الظَّما
المحاصر حَدَّ العَمى
أن تجيءَ برؤيا جديده؟!
...

كان جرحُكَ فيما مضى زاخراً بالدِّماءْ

كنتَ تكتبُ والكبرياءْ

فيضُ دَمْ

يتفجَّرُ ملءَ القلَمْ

ياه..

كم بائساً، موجِعاً يصبح الشِّعرُ

إذ يغتدي محضَ صوتٍ وفَمْ

تستفزُّ الألَمْ

تستفزُّ القيَمْ

ثمَّ إذ تتوقَّفُ ما بين سطرٍ وسطرٍ

تحسُّ الخواءْ

وتحسُّ النَّدمْ

وتحسُّ بأنّك ندّابةٌ

توقظُ الهمَّ

لا تستثيرُ الهمَمْ

كيف تأتي القصيده؟

...

كان لي وطنٌ

منذُ خمسين عاماً أُغنّي لهُ

راجفاً تحت رايتِهِ في المطَرْ

حدَّ قلبي انفطَرْ

«عشْ هكذا في علوٍّ..»

وأشعرُ دمعي انهمَرْ

فأغالطُهُ بالمطرْ:

مَن يُعلِّمُ أولادَنا اليوم أن يُنشدوا لمواطنهم؟

أن يقولوا لها، رغمَ كلِّ الأسى

جرحُنا ما رَسا

في شواطئ غيرِكِ مهما قسا

وجعُ الأرذلينْ؟

من يعلّمهم مثلَ هذا الحنينْ؟

فينادونها بالهوى

والجوى

لا ينادونها بالأنين

من يعلّم أولادنا أن يكونوا لأوطانهم

عاشقينْ؟!

..

أسطُري لا تَبينْ

ورؤايَ شتاتٌ موزَّعةٌ

بين شكّي بها واليقينْ

فكيف تجيءُ القصيده؟

ألكِي نكتبَ الشِّعرَ يا وطني

نتعمَّدُ إيقاظَ أوجاعِنا من مَكامِنِها؟

كلَّما جرحُ آمِنِها

فَزَّ

صار لشعرٍ جديدٍ ذريعَهْ؟

أفَما عادَ للشِّعر في أرضنا منبعٌ

غيرُ صوتِ الفجيعة؟!

أم نظلُّ نكابرُ يا وطني

بالذِّما

والدِّما

والقلوب الصَّديعة

فاطِمينَ على الشِّعرِ أطفالَنا

في الليالي المُريعة؟

أفليسَ لنا فرحٌ كي نبيعه؟!

..

لسبعِ سنينٍ نغالبُ أوجاعَنا

ونروّعُ بالصَّبر مَن راعَنا

ونهدّدُهُ بالقصائدْ

ونهدّدُهُ بالأغاني

ثمّ نأوي إلى دورِنا

لندثِّرَ أطفالنا بالأماني

وأي..

وحياتِكَ يا وطني

نستميتُ إلى حدِّ نُجفِلُ من هَولِ جرأتِنا

فيُثبّتُنا أنَّ غيظَكَ أجرا

ويُثبِّتُنا أنَّ جرحَكَ أضرى

ويُثبّتنا أنّنا بالذي فعلوا بك يا وطنَ الحبِّ

أدرى

يا ترابَ الحسينْ

نحن عوَّدَنا كلُّ تأريخنا

أن يكون بأعناقِنا الموتُ دَينْ

ما جرى الماءُ في الرافدَينْ

..

ولأولادِنا فوْقَ هذا

مروءتُنا

ونبوءتُنا

إنّ آخرَ شمسٍ ستُشرقُ من أرضِ بابلْ

بعدَها يُرفَعُ الملكوتْ

فإذا استُشهِدوا

فكما يَعتلي النَّسرُ قمَّتَهُ ليموتْ

لا كما تفطسُ العنكبوتْ

ولهذا استتَبُّوا

إنَّهم بدءُ كلِّ البدايات

ونهايةُ كلِّ النهايات

ومن بعَدِهم

سوف تُقفرُ كلُّ البيوتْ

..

ولذا سأقولُ

وللمرَّةِ الألف

والسَّنةِ السابعه

بَعدَنا تقَعُ الواقعه

ما لها عن منازلكم دافَعه

وستُقلَعُ حتّى محاجرُها

هذه الأمَّةُ الضائعه

سأقول بأنّا صَبَرنا إلى حَدٍّ ضجَّ بنا الصَّبرُ

واجتازَ صحراءه الشاسعه

وأقولُ بَنَينا

أقولُ وَفَينا

وأجَلْ.. قد فَعَلنا

ولكنّني أتلَفَّتُ حولي

فأُبصرُ ملءَ المدى ألفَ عينٍ على خدِّها

دامعه

أيُّها العَرَبُ اللا يَعونْ

بأنَّ المَنونْ

تترصَّدُهم واحداً واحداً

في ديارهم الخانعه

وسأبقى أسائلُ:

من أين تأتي القصيده؟

من فجيعتنا في فلسطين؟

أم من تَشَتُّتِنا في البلاد البعيده؟

ولَعَمرُكَ ما ضقتَ يا وطني

بل نفوسُ الرِّجالِ وأخلاقُهُم

ضِقْنَ

حتّى غدَونا نُفَشُّ عن أيِّما سببٍ

لِنَفرَّ إلى أيِّ أرضٍ جديده

يا بلادي التي أصبحتْ

وهي بين بَنيها

وحيده

..

هل أوصَلْنا صرخَتَنا يا وطني؟؟

هل أتقَنّا أن نُعلنَ من أجلِكَ

نصفَ الغضبِ الـ أعلَنّاهُ صغاراً

من أجل جميعِ شعوبِ الأرض المقهوره؟؟

أتغَيَّرت الصُّوره؟

أم نحن تغَيَّرنا يا وطني؟

..

كنّا نهتفُ ملءَ حناجِرِنا لفيتنام.. لكوريّا..

كوبا.. لشعوب الهند الصينيَّةِ

للسُّودِ المظلومين

هل أحسَنّا أن نصرخَ نفسَ الصَّرخةِ من أجل فلسطين؟!

هل نادَينا الشعبَ الليبيَّ كما نادَينا شعب الصِّين؟؟

ولا

لن أقول العراقْ

لأنَّ جريمتَهُ لا تطاقْ..

..

لأنَّ يدَ العالمِ الآن مغلولةٌ

صرخةَ الحقِّ مشلولةٌ

ولذا

فالعراقُ مُدانٌ على دمِهِ الآن بالإتّفاقْ

..

حسَناً

ستُقايضُ أمريكا دمَنا بالنّفطِ

ولن تنجحْ

وتُقايض عزَّتَنا، وكرامتَنا بالخبزِ

ولن نَسمحْ

وسنرفضُ يا عنوانَ كرامتِنا

أن تُوطأ، أو تُجرَحْ

يا علَماً

لا نُسْلمُهُ للرّيحِ

ولو كلُّ عراقيٍّ يُذبَحْ

..

وسأفهمُ أن يظلمَنا الأغرابْ

وسأفهمُ أن توصَدَ في أوجُهنا الأبوابْ

أن نؤكلَ

ما دامت للعالمِ أنيابْ

وشريعةُ غاب

حتّى هذا سأحاولُ أن أفهمَهُ

لكنْ لن أفهمَ أن يُصبحَ أوّلَ من يأكُلنا

إخَوتُنا الأعراب..

أختام الدم

القصيدة التي افتتح بها مهرجان المربد الثالث عشر ببغداد في 24/11/1997

مرّةً كنت طفلا
وأمسكتُ كفّ أبي
فارتجفتُ لفرط الأخاديد فيها
وسحبت يدي
قال: يا ولدي
أتمنّى لكفّك أن الجراحات لا تعتريها
ومضى، ومضيت..

نصفُ حيّ أنا، وأبي نصف ميْت
يوم أمسك كفّي للمرّة الثانيه
كنت ألمح نظرتَه الحانيه
وهو يسألني:
أوَ ما زلت تجفل من لمس كفّي؟؟

مجبر أن أقفّي

مجبر أن أقول له الآن

يا أبتي

هب دمي أن يُصفي

بعض أوجاعه..

هب يدي أن تلامس مبضعها

دون هذا التشفّي

وأبي كان يبكي

كنت أعلم أنّ أبي كان يبكي

وهو ينظر نحو يدي

بين خوف وشكٍّ

أنشر الآن باسم العراقْ

كل أيدي بنيه

ودماها على جانبيها تراقْ

يا أبي

أفتملك أن تدخل الآن هذا السباق؟

أم تراني إلى الآن غضّ اليدين؟؟

إنّ من عاش ظلم الحسين
كيف يُمسك شبّاكه بأكفّ رقاقْ
يا أبي؟!

هذي كفّي
جرحٌ فيها للموتى
جرحٌ للأحياء
جرحٌ ينضح للشهداء
جرحٌ للمحرومين
جرحٌ للمهزومين
جرحٌ للأموات الأحياء
وجراح تبكي لبنينا الأعداء
جرحٌ للجوعْ
جرحٌ للوطن الموجوعْ
جرحٌ للخادعْ
جرحٌ للمخدوعْ
جرحٌ للأنذالْ
جرحٌ لِعيون الأطفالْ
جرحٌ ينكأ جرحاً حدّ الزلزال

وأنشرها يا أبي

هي كفّك ليلة أمسكتَ كفّي فجفّلتنيْ

أنت قبّلتَني

غير أنك ما قلت لي إنّ كفّي ستصبح كفّك

إنّني سيحفّ بي الموت حفّك

ربما الحزن شفّكْ

ربما وجع القلب

لم تستطع معه أن تقول لطفلك عند الفراق

إنّ راحته سوف تغدو ككفّك

خارطة لجراح العراق

أمسكْ جذورَ السَّنا.. هذي تَواليها فقد هـوَت كلُّ شمسٍ من أعاليها
أمسَكْ بقايا ثقوب النَّجم.. إنْ ردمَتُ فـأيُّ ضـوءٍ بـه تـسـري لياليها؟
أمسَكْ جذوعَ الثَّرَى، فالأَرضُ أجمعُها تهتَزُّ رعـبـاً، وأنـت الآن غاليها
أنتَ الصغيرُ الكبيرُ المستَفَزُّ بها حـرّاً، وكـلُّ ذوي النُّعمى مَواليها
يا من تُحاصرُكَ الدُّنيا بأجمِعها فُـكَّ الحصارَ شهيداً عن أهاليها

..

فكّ عنها دمَكْ

فكّ عنها عماها الذي هدَمكْ

فكّ عنها الحصارْ

أيّهذا المحاصرْ

فالمجرّات مؤذنة بالرحيلْ

والمدارات تسرع للمستحيلْ

كوكبٌ واحد سوف يبقى يميلْ

عن مساراتها...

كوكب أعدمكْ

كوكب لم يزل يتقصّى دمكْ

وستشقى لتهديه..

أنت القتيل

سوف تشقى لتهديه

أنت القتيل

هكذا دائماً يا إمام النخيلْ

منذ أن كوّرتْ

منذ أن كل أوجاعها صورتْ

منذ صارت مصائرها آيتينْ

ليس بينهما بين بينْ

أن تكون بها الشمرَ، أو أن تكون الحسينْ
كنت تُذبح يا سيدي، يا عراقْ

هادياً كنتَ تُذبحْ
فادياً كنتَ تُذبحْ
صادياً كنتَ تُذبحْ

سمّ لي ساعةً من حياتك
ساعةً واحده
لم يكن دمُك الحرّ فيها صداقْ..
ثم تترك فيها شهودكْ
رافضاً أن يقودكْ
غير هذي الجراحْ
ونتيه على الكونْ
جمّ المروءة
دامي الجناحْ
تتهيّب حتى الرياحْ
أن تلامس جرحك

ليكنْ..

إنّ صرحك

بعد كلّ دم يستقيمْ

يتلألأ فيه سباك العظيمْ

ثم تزرع في الليل رمحكْ

تخرج الشمس مبتلّة بالدماءْ

ويجيء النداءْ

أيّها الوطن المبتلى بالرزايا

يا غزير المنايا

سوف تبقى إلى أبد الدهر

تحمل أوجاع كلّ البرايا

تتحمّل أوزار كلّ الخطايا

وتؤدّي قرابينها من دمائِك

كلّ جيل يجيء

سيرى وشمه فوق مائكْ

ويرى رسمه في سمائكْ

أنجماً لامعه

حولها مقلٌ دامعه

وصفاحْ
وأكفٌّ مقطعة بالجراحْ

أختامُ مجدكَ حتى آخر الزَّمن ... أكفُّ أبنائكَ الدّامين يا وطني
جرحاً فجرحاً.. رسَمْنا العمرَ خارطةً ... من رعشةِ المهدِ حتى رعشة الكفَنِ
ونحنُ نسألُ: هل غير الدماء لَنا ... ختمٌ نوَثِّقُ فيهِ عشقَنا الوَثَني؟!
أم إنَّنا عشقُنا لا يستقيمُ بنا ... إلاّ مع الموت، أو إلاّ مع الشَّجَنِ؟!
الله يا وطني.. الله يا وطني ... الله يا وطني.. الله يا وطني
إلى متى نأمَلُ الدُّنيا، ونأمَنُها ... ونحنُ منها بسَقفٍ غيرِ مؤتَمَنِ؟!

وليكن يا أبي
كلّ خوفٍ بنا
نحن أهلُهْ
كلّ موتٍ بنا
نحن أهلهْ
كلّما التام جرحٌ على كفّ جيل
فزّ في كفّ تاليه مثلهْ

يا أبي

نحن أطفالنا أخذوا يولدون

وجراحاتهم في المشيمه

ليس هذي شتيمه

نحن صرنا من الحزن نجفلُ منهم

وهُم قلّما يجفلون

يا عراقْ

ربما آخر الصوت هذا

بعده يُرفع الملكوتْ

فلتفتّح جميع المجاهيل آذانها

قبلما يعتريها السكوتْ

مَنْ يقُل أنّ بابل تفنى

بابل لا تموت

من يراهنْ على جوع أهل العراقْ

زادهم صبرهم

وهو ملء البيوتْ

من يظنّ بأنّ الزمنْ

فات أولادنا

فالمروءات أزمانها لا تفوتْ

وغداً سنرى

من بنا يرتوي

ومن الـ يلتوي

كالذبابة في شبك العنكبوتْ

الآن سأرفع هذي الأوراقْ

وستعلم كلّ الدنيا يا عبد الرزاقْ

أنك كنت الصوتْ

والوحيَ عراقْ..

المرتقى

القصيدة التي أفتتح بها مهرجان المربد الرابع عشر ببغداد في 24/ 11/ 1998

ما قلتُ يوماً سوف أفتحُ منفذاً لدمي
على هذه القصيدة
لأرى بها وجَعي يُراقْ
إلّا وجدتُ منافذي سُدَّتْ بأوجاع العراقْ

لك الحمدُ يا وطني إنَّ كلّ كأسَكَ كأسي
وأنَّك تسكنني بين نفسي ونفسي

ولذا سأعبرُ نحوَ جرحي من جراحِكْ
أنا ريشةٌ دميَتْ
ومازالت ترفرفُ في جناحِكْ
يا هائلَ الجنحَين

ما أبهى صعودَكَ في رياحك

..

وأحسُّ دمَكْ

أنا الريشةُ الراجفهْ

يُبلِّلُني أجمَعي

وجناحُكَ يضربُ في العاصفه..

اصعَدْ على الريح، والأمطار، والحلَك ... اصعَدْ فإنَّ مداها ذروةُ الفَلَكِ

اصعَدْ، فمرَقاكَ كفُّ الله تحرسُهُ ... وأنت ترقى عليهِ مُرتقى مَلَكِ

اصعَدْ.. سترتبكُ الدنيَا بآهلها ... وأنتَ تدمى عليها غيرَ مرتبكِ

اللهَ يا وطناً تُبقيه عزَّتُهُ ... طلْقَ المُحيّا ولو في قمَّةِ الضَّنكِ

اللهَ يا مالكي.. اللهَ يَا ملكي ... أفديكَ مشتبكاً في ألف مُشتَبَكِ

أفديك جرحاً كبيراً ليس تُسلِمُهُ ... أوجاعُ معتَركٍ إلاّ لمعتركِ

يا نُبلُ يا وطني

يا بذرَ خيرٍ نَما في أردأ الزَّمَنِ

كيف أدخلُ من جرحِكَ الآن نحو دمي؟

كيف أُفصحُ عن ألمي؟

لو يُطاوعني قلمي

لَكتبتُ في هذي القصيدةِ أنّني أهلي عدوّي

لكتبتُ أنّ دمي يُرَوّي

عاماً على عامٍ صحاريهم

وهم رعدٌ يُدَوّي

لكتبتُ أنَّ الأرض، لولا خوفُها

دارتْ مَدارَكْ

لكتبتُ أنَّ جميعَ أهلِ الأرض

في أعماقهم

حملوا شعارَكْ

جمعوا ثمارَكْ

ما اسّاقطَتْ بين الخرائبِ والدِّما

وبكوا دمارَكْ

إلاّ عمومتكَ التي هتكَتْ خيانتُها ستارَكْ

ورأوكَ محتضناً صغارَكْ

فتلصَّصوا يترقَّبون متى العدوُّ يهدُّ دارَكْ

اللهَ يا وطني

وأنت بنَيتَ سقفاً من ضلوعكَ

فوقهم

وأقَمتَ من شهداءِ بيتكَ حولَ عاريهم

جدارَك

اصعَدْ على النار، والأمطار، والظُلَم ... اصعَدْ، فإنَّ مداها ذروةُ الألَمِ
اصعَدْ، فحولَكَ حتى الرّيح نازفةٌ ... على النّيازكِ، والأفلاكِ، والسُّدُمِ
وليس في الكون من سقف تلوذُ به ... إلا جناحاك في هذا الدُّجى العرِمِ
اصعَدْ.. فلَيلُكَ فيه ألفُ موحشةَ ... وألفُ نصلٍ بجنحِ الليلِ مُلتَثِمِ
وألفُ نادبة تعلو هواتفُها ... وأنتَ تسعى إليها سعيَ مُعتصمِ
اصعَدْ.. جناحُكَ هذا لا قرارَ لهُ ... إلاّ على الموت، أو إلا على القِمَمِ
يا باذخَ الكبر، يا عملاقُ، يا وطني ... يا هائلَ الجرحِ، والأوجاعِ، والقيَمِ
معجونةً لصْقَ بعضٍ.. كلُّ نازفة ... تجري يضيءُ بها سَيلٌ من الشيَم
وأنت تبحثُ عن عصرٍ مقطَّعةٌ ... حبالُهُ.. عن زمانٍ بالغِ القِدَم
عن معشرٍ جرفَ الطوفانُ نخوتَهم ... فليس منهم سوى الأوتادِ والخيَمِ
عفَّى الزَّمانُ على من كنتَ تعرفُهم ... ولم يدَعْ غيرَ أشباحٍ بلا ذمَمِ
وأنتَ ما زلتَ تسعى في مقابرهم ... فما الذي تَرتجي من هذه الرِّمَمِ؟!
اصعَدْ.. هي الرّيح.. أنت اخترتَ صهوَتَها ... وأنتَ تدري بها مجنونةَ اللُّجُمِ
وأنتَ وحدَكَ من يلوي أعنَّتَها ... فاشكُمْ مَداها بهذا الغيظِ ينشَكِمِ
والغَيظُ أنتَ فلا والله ما اشتعلَتْ ... أرضٌ، ولا انفجرَتْ أرضٌ من الوَرَمِ
بمثلِ ما انفجرَ الصَّبرُ الرَّهيبُ لَظىً ... في هذه التُّربةِ الحُبلى بألف دمِ

يا هائلَ الضَّرَمِ

يا هُولةَ الصَّبرِ، والإقدامِ، والكرَمِ
أطلِقْ مداك فقد شابكتَ أوعرَها ... صخراً، وأوغَرَها صدراً.. ولم تُضَمِ

بلى نـزَفـتَ، ومـا زالـت تنزُّ دماً جراحُكَ الغُرُّ لكنْ.. دونما ندَمِ
لـلكبـريـاء، كـمـا علَّمتَنـا، هـرمٌ وسـوف نصعَدُ حتى قـمَّـةِ الهرمِ
فـإنْ تَـكُ الآن أمريكا بها إرَمـاً يـومـاً ستنقلبُ الـدُّنـيـا على إرَمِ
يـــا مُـــنـــحـــنـــى ألـــمـــي يا سيّدي.. يا عراقي.. يا نجيَّ دمي

نذرٌ بلا ندمِ

أنّي سأفصدُ شرياني على قلمي

وأكتبُ اسمَكَ في أبهى عناويني في أضلُعي.. في ضميري.. في دواويني
سأرسمُ العين.. من عيني سأمنحُهُ ضـوءاً.. وأعقفُهُ عَقفَ العَراجينِ
مـقـدّسـاً فيه سـرَّ الـنَّـخـلِ أجمعه معلّقاً فـيـهِ أسـرابَ الحساسينِ
ينقرْنَ من تَمره حيناً، ومن فرحي حيناً، فيثمَلْنَ بين الحينِ والحينِ
والـرّاء لَثغةُ عصفور لثغتُ بها طفلاً.. وظلَّتْ تُغنّي في شراييني
لليوم هلهولةُ أمّـي إذْ نطقتُ بها لـم تـألُ تنشرُني طفلاً وتطويني
سـأرفَـعُ الألـفَ القدّيس صاريةً إلى الغيوم.. فأسقيها، وتسقيني
والـقـاف قلبي لها بـيـتٌ وقافيةٌ وقـولُـهُ «قـاف والـقـرآن» يكفيني
أن أختم الآن باسمِ اللهِ قافيتي واسـمِ العراق الذي يبقى يُناديني

يا صبر أيوب.. مرة أخرى

الآن ضاقتْ على أقدامكَ السبلُ ... فانظُرْ إلى أينَ تَمضي أيُّها الجَمَلُ!
أمس احتَملتَ بعُذر الصَّبر مخرَزَهُم ... واليومَ قُلْ لي بأيِّ العُذرِ تَحتَمِلُ؟!
والصَّبرُ لو كانَ في مَحض الأذى كَرَمٌ ... لكنْ على الذُّلِّ صَبراً.. كيفَ يا جَمَلُ؟!
وبَينَنا وَطَنٌ تدمَى كرامَتُهُ ... وَكُلُّ مَوضِعِ عِزَّ فيهِ يُبْتَذَلُ
دَمٌ مُراقٌ، وأعراضٌ مُهَتَّكةٌ ... وأرضٌ اغتَصَبوها حَيثُما نَزَلوا
تَصيحُ عُذْرَتُها بالناس: وا شَرَفي ... والناسُ.. لا امرأةٌ فيهم، ولا رَجُلُ!
كأنَّهُم كلَّهم ماتوا فلا أحَدٌ ... إلا الطفولَةُ والأحجارَ تِقتَتِلُ!
وأنتَ تَنظرُ، والأبصارُ شاخصةٌ ... إليكَ.. والغَدُ، والتاريخُ، والمُثُلُ
ماذا سَتَفعلُ؟.. هل صَبراً كسابَقه؟ ... إذَنْ فَموتُكَ أجدَى أيُّها الجَمَلُ!
اللهَ يا وطني.. خمسونَ مُوجَعَةً ... وأنتَ تَنزِفُ، والأعرابُ ما سَألوا
لم يَترُكوا لكَ حتى في الرَّدى أمَلاً ... وأينَ.. من أينَ يأتي مِثلَكَ الأمَلُ؟
ما دام حاميكَ يا مسكين يا وطني ... هوَ الحَرامي الـعَلَيهِ الآن تَتكلُ!
خمسونَ عاماً دَمٌ يَجري، وَغائلَةٌ ... تَسري، وأرضٌ بسَيلِ النارِ تَغتَسِلُ
ونحنُ نَدفعُ عنها بالشَّخير فَإن ... أفاقَ أهليَ فالهَوساتُ والزَّجَلُ!
يا مَرحباً بحُماة الدار.. رَدْستُهُم ... عُرْسُ اليَشاميغَ تَزهو فوقَها العُقُلُ!
وَكلَّما فَرَغوا مَن هَوسَة قعَدوا ... كي يَستَريحوا مِن الجُهدِ الذي بَذَلوا!
وأنتَ يا وَطني تَرنو لِرادِسِهِم ... أكتافُهُ كيفَ، والأعضاءُ تَنفَتِلُ

بَيْنا صغارُكَ أحجارٌ وأذرعَةٌ هُم والدُّروعُ، وَعَصْفُ النارِ، والأجلُ!
وقاتلونَ لَئيماتٌ بَنادقُهُم بِكُلِّ حِقدِ بَني صهيونَ تَعتَمِلُ
يَثقّبون على طفلٍ به رَمَقٌ أضلاعَ والدِهِ، والموتُ مُنذَهِلُ
يرنو إلى والدٍ يرسي أضالعَهُ ليَحميَ ابنَهُ لكنْ نارُهُم تَصِلُ
تَثَقِّبُ الأبَ نَحوَ الطفلِ تاركةً حِقدَ اليهودِ مَدى التاريخِ يَشتَعِلُ!
دماكَ هذي، وهذا جُرحُكَ الخَضِلُ متى تَجِفُّ؟.. وهذا كيفَ يَندَمِلُ؟
مَا دامَ في كلِّ يومٍ بينَ أضلُعنا مَسنونَةٌ بِشِغافِ القلبِ تَنشَتِلُ
في كلِّ يوم لدَيهم خنجَرٌ صَدِئٌ مُثَلَّمُ الحَدِّ في أحشائِنا يَغِلُ
ونحنُ نَنزفُ، والأكوانُ أجمَعُها تَرنو إلينا، وَثَوبُ الصَّبرِ يَنبَزِلُ
حتى نَظَلَّ عُراةً.. ثمَّ تَفْجَؤنا سِتارةٌ فوقَ حَدِّ النَّصلِ تَنسَدِلُ
لتَستُرَ العُرَيَ، لا عُرّيَ الجراحِ بنا لكنْ لِتَستُرَ عُرّيَ النَّصْلِ يا جَمَلُ!
وَتُلهيَ الناسَ عن صَرعَى جَريمَتِهم كأنَّما القومُ ما غالوا، ولا قَتَلوا
وغالباً ما نَرى أيْدي عُمومَتِنا خلفَ السِّتارَةِ تَبكينا وتَحتَفِلُ!

الآن ضاقَتْ على أقدامكَ السُّبُلُ ضاقَتْ عليكَ الدُّنَى أيَّانَ تَنتَقِلُ
الآنَ صرْنا نعاجاً يُستَهانُ بها وَما لَهنَّ على دَفعِ الأذى قِبَلُ
شُكراً لقادَتنا.. شُكراً لوَقْفَتِهم صارَتْ كَرامَتُنا تَنْدَى لها المُقَلُ!
تَخوضُ أحذِيَةُ الغازينَ في دمِنا وفَرْطَ ما تَزدَرينا منهُ تَغتَسِلُ!
ونحنُ في كلِّ شبْرٍ من مَواطنِنا أهلٌ بِما ثُكِلَتْ أهلوهُمُ ثُكلُوا
ويَصرخونَ.. ولكنْ، كلُّ قادَتِهم لا يَسمَعونَ سِوَى ما قالَهُ هُبَلُ!

فأيُّ صَبْرٍ كهذا الصَّبرِ يا جَمَلُ؟!

الآنَ ضاقَتْ على أقدامكَ السُّبُلُ ضاقَتْ بك الدَّارُ، والأعْذارُ، والعِلَلُ

في كلِّ يومٍ يقولونَ احْتَملْ، فَغداً ... يَخلو الطريقُ، وتَمشي خَلفَكَ الإبِلُ
مُـعَـزَّزات.. مَهيبات هَـوادجُـهـا ... وَيـورِقُ الشَّيحُ، والعُلَّيقُ، والأثلُ
فَتَمضَغُ الشَّوكَ صَبراً في انتظَار غَد ... حتى إذا جاءَ ناحَتْ حَولَكَ السُّبُلُ
أنْ ضعتَ ما بَينَها.. حيناً لما اشتَبَكَتْ ... وتـارَةً فـرْطَ مـا أصحابُها نَكِلوا
ومَوطني.. هل رأيتُم مَوطناً قَفَصاً ... يُومَى فيُفتَحُ، أو يُومَى فَينقَفِلُ؟!
ونـحـنُ فـيـه حـمـامٌ بَـيـنَ مَـذأبَـة ... مَسعورَةٍ، كلَّما مَرُّوا بنا أكَلوا!
ها أعيُنُ القُدسَ تَبكي.. كلَّ آونَةً ... بَيتٌ بها عن بيوتِ الناسِ يَنعَزلُ
ويَستَحيلُ يَهودياً على مَضَضٍ ... ونحنُ نَنظرُ لا غَيظٌ، ولا خجَلُ
وها هوَ المَسجدُ الأقصى يَمُجُّ دماً ... وقـد تَـعـاوَرَهُ الأنـجاسُ والسَّفِلُ
تكـادُ قُـبَّـتُـهُ مـن فَـرط مـا خُـذلَـتْ ... بالمُسلمينَ، إلى الرَّحمن تَبتَهلُ
فأينَ أهلُكَ يا مَفجوعُ يا وطَني؟ ... إلا الحِجارةَ أهلوها هُـمُ الأهَـلُ
أمّا بَنُو عَمّهم.. طالَتْ شَواربهُم ... فقد تنادوا، وقد نادَوا، وقد زَغلُوا
وإذْ رَنَـتْ نَحوَ أولبرايت أعيُنُهُم ... مالَتْ إليهم بمُوقِ العَينِ فاعتَدَلوا!
يا مالئينَ فَـراغَ الصَّمت نَحْنَحَةً ... حتى إذا سُئِلوا، أو أُحرِجوا، سَعَلوا!
ويَـخـطُـبـونَ.. مَهيباتٌ مَنابرُهُم ... يَستَعرضونَ عليها أنَّـهُـم دُوَلُ
وأنَّـهُـم لَـهُـمُـو رأيٌ، وأمْـكـنَـةٌ ... مَـحـفـوظَـةٌ.. وبُـيـوتٌ كُلُّها أسلُ
حتى إذا قيلَ يَوماً ما، ولـو كَذِباً ... إنَّ العُروبةَ تَدعو أهلَها، جَفلوا!

يـا مُـدَّعـيـنَ بُـطـولات مُـزَيَّـفَـة ... حِجارةٌ بِيَدَيْ طفلٍ هيَ البَطلُ!
أمَّا الصِّغارُ.. فِدَى تلكَ الأكُف دَمي ... فَهُم هُـمُ الأنبياءُ الآنَ والرُّسُلُ!

أبناءَ أعمامِنا.. مِن أيِّ مُنْعَطَفٍ ... نَجيئكم، فَعَسى الأرحامَ تَتصِلُ؟

منَ العراق؟؟.. وَعَشرٌ قد مَضيْنَ على أوجاعِهِ، وهوَ في أوجاعِهِ جَبَلُ
لَكنْ يَعزُّ عليه أنْ خناجرُكُم ما زالَ لليوم منها واصِلٌ يَصِلُ!
أم من فلسطين؟.. هَذي، بينَ أعيُنكُم ذَبيحةً.. حَشَدُ أطفالٍ بها قُتِلوا
وَحَشدُ دور وأعراض قد انتُهكَتْ حتى غَدَتْ مثَلاً ما بَعدَهُ مَثَلُ
وما تَزالُ تُعاصيَ جِدُّ صَابرةٍ لكنَّها بِكُمُ أنتُم سَتَنخَذِلُ!

الفهرس

الصوت ملحمة شعرية في أربعة فصول 1972 ـ 1993 5
النُّبوءَةُ والسَّفَر 7
إرَم قبل الطُّوفان 18
الطُّوفان 33
إرَم بعد الطُّوفان 45
وصدقت النبوءة 55
الحُرّ الرياحي/مسرحية شعرية في ثلاثة فصول 57
شخَصيّات المسرحية 59
الفصل الأوّل 61
الفصل الثاني 95
الفصل الثالث 136
مشهد 158
قصائد في الحبّ والموت 181
حالة كانت... 182
انتهاء 183
ندم 184
اللؤلؤة القتيل 185
حالة تكون 187
يا لهذا النّدى! 188
الميسم 189
قراءة في أمواج البحر 190
ترف 192

في مهبّ الطفولة 194
جداول النّبيذ 196
بحارُ الزّبرجَد 199
جفافُ النَّبيذ 201
إهمال 203
عندما تتشعّب السُبُل 204
مشارط النار 205
الأشرعة المرتبكة 207
الزائر الأخير 208
الأقواس القاتلة 210
قلقٌ في ليلٍ متأخّر 212
إلى ولدي 214
وإلى ولدي 215
حضارة 216
مفارقة هندسية 217
غِنَى.. 218
طَمأنينة 219
إدمان 220
بين الأقنعة 221
الغيمة العائدة 222
انكسارات 224
حالة جديدة.... 226
عيون الماس 227
وفاءٌ متأخّر 232
مكالمة تلفونية 235
بعد فوات الأوان 1 238
عتاب 240
الظلال النزقة 243
صحوة 244

مشروع أغنية 245
محاولة ثانية لأغنية ثانية 247
استطالات 249
طعَمُ المناقير 251
أوجاع صامتة 254
شطارة 257
وجعٌ وراء بابٍ لا يُطرقْ 260
انكسار 263
نزيف ليلي 264
غربة 265
إلى ابنتي رغد 266
إلى ابنتي رغد أيضاً 267
غربةٌ في ليلة الميلاد.. 268
لو أخذتُم عيوني 269
هم كلُّ زهوك 272
لا تطرق الباب 275
ملفٌّ خاصّ 276
نداءٌ إلى شجر اللّيلك 277
دعاء في ليلة مقمرة 278
الدّهشةُ المنكسرة 279
قلَقُ النّهايات 281
لَوْلا.. 283
مياهُ النّور 285
صلاة 288
سؤال 289
وصيّة 290
وداع 292
البجعة المهاجرة 294
كتابة على الماء 295

محارة الكرستال 297
دموع الرّوح 299
يا بعيدون 300
انطفاء 301
قراءة في رسالة محايدة 306
قصائد كُتِبتْ لها 1995 309
بداية القلق 311
إهداء 313
تَداخُل 315
بَهاءُ الجنون 317
ندى 318
الإله الأسير 319
كلُّ الدروب تؤدّي 321
صيام 323
أجنحةٌ جديدةٌ لفرح قديم 324
وجرى جدوَلي في مياهِك 327
سلاماً يا أنوثتَها 330
غزلٌ عباسي 332
انتهاء النزيف 334
وجعٌ متأخّر 337
بَرمَجَة 338
وأنتِ افعلي ما تَشائين بعدي 343
بدايةَ الحزن 345
وانتصرتِ 346
حنينٌ في ليلة ممطرة 348
يا بنتَ إسماعيل 350
التباس 351
هروب 352
عندما تتشظّى المَرايا 354

انكسار الشراع الأخير 356
النّزيف القاتل 358
حديث النجوم 360
اللاجدوى 362
بعد فوات الأوان 2 363
أنوثة 364
بلَى.. عطَشي في راحَتيكِ 365
إهداءٌ آخر 366
براءة.. 368
إلى إيناس 369
في تَقاطُع الطُّرُق 370
سلاماً يا أعزَّ الناس عندي 371
بعد الصحو 372
يا عذبةَ الرّوح 374
يا بنتَ إسماعيل 2 375
قصائد كُتبَت لغيرها 377
إلى التي كانت صديقتها 379
أفَذَنْبُ العواصِف؟ 381
الجنوح 383
يا جناح البجع 387
يا آخر الوَهَج الخضيل 388
غافٍ وصوتُكِ في إغفَاءتي مطرٌ 389
إلى بتول 391
قصائد حبّ متفرّقة 393
أم انّك قد هجرتِ البحر؟ 395
وخذلَتَ التي هي صدقُك 398
رفيف الأجنحة 401
إلى «س» 403
والحاملات الثَّمَر 404

شفرة النّار 406
الغاشية 408
لزوم ما لا يلزم 410
متاهات 411
حنينٌ إلى ريام 412
إلى ريام 413
وإلى ريام أيضاً 415
سهر على مهود فارغة 417
قمر في شواطئ العمارة 419
انثيالات جنوبية 421
ومباركة أنت يا أمّ بيتي 423
وطن 426
دعاء.. 428
يا أمّ خالد 430
سهر على مهود فارغة 434
تهجّدات عراقية 437
الموجعة 439
عمر طويناه 443
منذ ذاك المطر 447
والآن ها قد قطعنا الشوط يا وطني 451
يا نجم ميسان 453
القافلة 457
سلام على بغداد 459
بعد فوات الأوان 461
من أيّ جراح الأرض ستشرب يا عطشي؟! 462
أختام الدم 472
المرتقى 482
يا صبر أيوب.. مرة أخرى 487

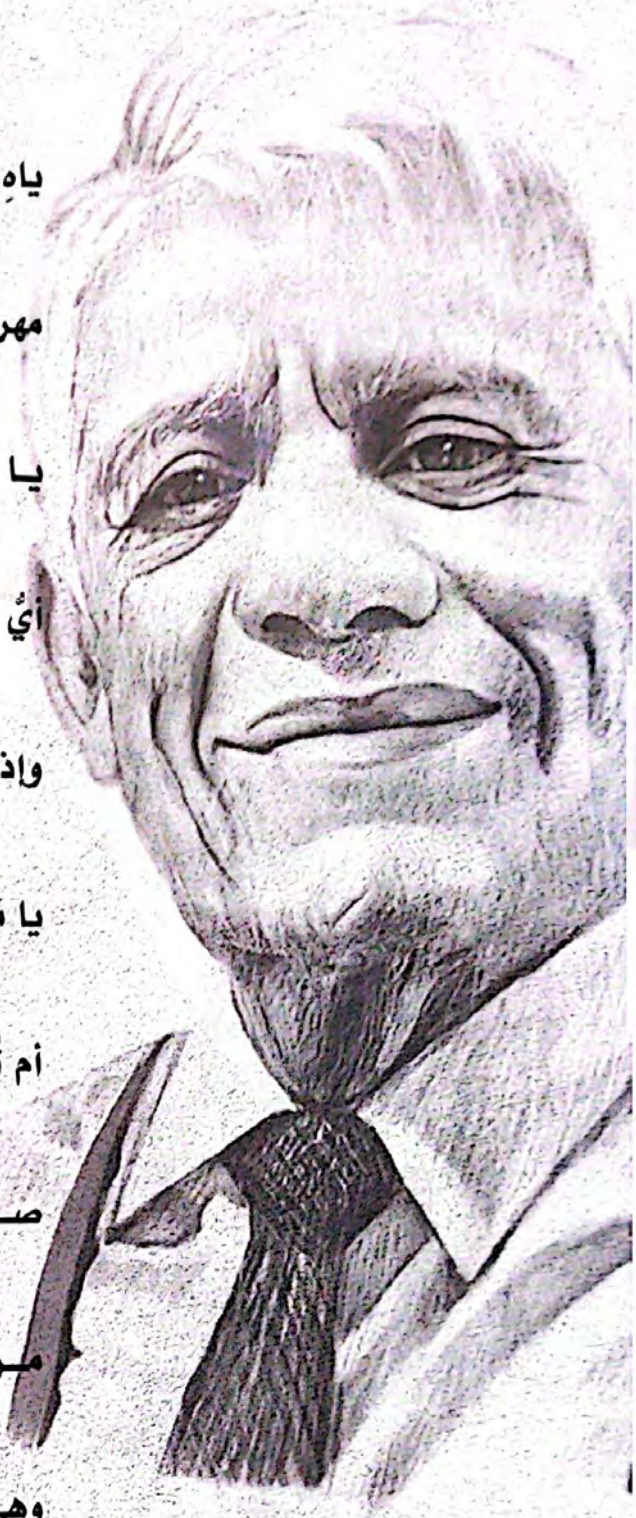

ياهِ.. سُبحـــانَ من خَلَقْ
فَـلَقٌ أيُّـــما فَـــلَقْ
مهرجـــانٌ مـن السَّـنا
فتـــحَ الثُّـوبَ وانـطلَقْ
يـا مَجـــرّاتِ جسمِـها
أيُّ كـــونٍ من الألَقْ؟!
أيُّ مَجـــرى أنـوثَـةٍ
فـــاضَ كالنَّهرِ واندلَقْ؟
وإذا العمـــرُ كـــلُّهُ
فـوقَ أمـــواجِهِ أنـزلَقْ
يا مَرايـــا جمـالِـها
هـــل خُلقتُنَّ من عَلَقْ؟!
أم تُـــرى بـابُ جَـنَّةٍ
خـــرَجتْ منه وانغَلَقْ؟!
صار قلـــبي وأضلُعي
حـولَ سيقـــانِها حَلَقْ
مـن جنـــونٍ ورغـبةٍ
وجـــحيمٍ مـن القَلَقْ
وهي تـــزهو وجسمُها
آيـــةٌ.. جلَّ من خَلَقْ!

ISBN 978-9922-628-92-9
9 789922 628929
Designed by: Maher Adnan
SUMER
Printing, Publishing&distribution
دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد- شارع المتنبي- مدخل جديد حسن باشا
009647700492576 - 009647711002790
Email: darstoor@gmail.com